

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م.

المركز الإسلامي للدراسات

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام
(المرتضى من سيرة المرتضى)

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الرابع والعشرون

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثالث:

حوارات وأسئلة من بعض المسلمين..

الفصل الأول:

لا تسأل تعنتاً..

أسئلة شامي وآخرين:

روى الصدوق عن محمد بن عمر بن علي بن عبد الله البصري،
عن محمد بن عبد الله بن أحمد بن جبلة، عن عبد الله بن أحمد بن
عامر الطائي، عن أبيه، عن الرضا عن آبائه، عن الحسين بن علي
«عليهم السلام» قال:

كان علي بن أبي طالب «عليه السلام» بالكوفة في الجامع، إذ قام
إليه رجل من أهل الشام فقال: يا أمير المؤمنين، إني أسألك عن أشياء.

فقال: سل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً.

فأحذق الناس بأبصارهم.

فقال: أخبرني عن أول ما خلق الله تبارك وتعالى.

فقال: خلق النور.

قال: فمم خلق السماوات؟!!

قال: من بخار الماء.

قال: فمم خلق الأرض؟!!

قال: من زبد الماء.

قال: فمم خلقت الجبال؟!

قال: من الأمواج.

قال: فلم سميت مكة أم القرى؟!

قال: لأن الأرض دحيت من تحتها.

وسأله عن سماء الدنيا: مما هي؟!

قال: من موج مكفوف.

وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضهما؟!

قال: تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ.

وسأله: كم طول الكواكب وعرضه؟!

قال: اثنا عشر فرسخاً، في اثني عشر فرسخاً.

وسأله عن ألوان السماوات السبع وأسمائها؟!

فقال له: اسم السماء الدنيا: رفيع وهي من ماء ودخان.

واسم السماء الثانية: قিদرا، [في المصدر قيدوم] وهي على لون النحاس.

والسماء الثالثة اسمها: الماروم [أو المادون. أو الهاروم] وهي على لون الشبه.

والسماء الرابعة اسمها: أرفلون وهي على لون الفضة.

والسماء الخامسة اسمها هيعون: [في المخطوطة: هيفوف.

وفي المصدر: هيفون] وهي على لون الذهب.

والسماء السادسة اسمها: عروس، وهي ياقوتة خضراء.

والسماء السابعة اسمها: عجماء وهي درة بيضاء.

وسأله عن الثور: ما باله غاض طرفه، ولا يرفع رأسه إلى

السماء؟!!

قال: حياء من الله عز وجل، لما عبد قوم موسى العجل نكس

رأسه (1).

وسأله عن المد والجزر: ما هما؟!!

قال: ملك موكل بالبحار يقال له: رومان، فإذا وضع قدميه في

البحر فاض، وإذا أخرجهما غاض.

وسأله عن اسم أبي الجن؟!!

فقال: شومان الذي خلق من مارج من نار.

وسأله: هل بعث الله نبياً إلى الجن؟!!

فقال: نعم، بعث إليهم نبياً يقال له: يوسف، فدعاهم إلى الله،

فقتلوه.

وسأله عن اسم إبليس ما كان في السماء؟!!

(1) في عيون أخبار الرضا زيادة تقول: وسأله عن الجمع بين الأختين، فقال:

يعقوب بن إسحاق: جمع بين حبار وراحيل، فحرم بعد ذلك، ففيه أنزل:

(وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ). راجع: عيون أخبار الرضا ج 2 ص 219

ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج 2 ص 483.

فقال: كان اسمه الحارث.

وسأله: لم سمي آدم آدم؟!

قال: لأنه خلق من أديم الأرض.

وسأله: لم صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين؟!

فقال: من قبل السنبلة، كان عليها ثلاث حبات، فبادرت إليها حواء فأكلت منها حبة، وأطعمت آدم حبتين، فمن أجل ذلك ورث الذكر مثل حظ الأنثيين.

وسأله عمن خلق الله من الأنبياء مختوناً؟!

فقال: خلق الله آدم مختوناً، وولد شيث مختوناً، وإدريس، ونوح⁽¹⁾، وإبراهيم، وداود، وسليمان، ولوط، وإسماعيل، وموسى وعيسى، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وسأله: كم كان عمر آدم؟!

فقال: تسعمائة سنة وثلاثين سنة.

وسأله عن أول من قال الشعر؟!

فقال: آدم.

قال: وما كان شعره؟!

(1) زاد في عيون أخبار الإمام الرضا: سام بن نوح. راجع: عيون أخبار الرضا ج2 ص219 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج2 ص484.

قال: لما أنزل إلى الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها
وهواها، وقتل قابيل هابيل قال آدم «عليه السلام»:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه
المليح (1)

فأجابه إبليس:

تنح عن البلاد وساكنيها ففي الفردوس ضاق بك
الفسيح (2)

وكننت بها وزوجك في قرار وقلبك من أذى الدنيا مريح
فلم تنفك من كيدي ومكري إلى أن فاتك الثمن

(1) أضاف في عيون أخبار الإمام الرضا:

أرى طول الحياة علي غماً وهل أنا من حياتي
مستريح

ومالي لا أجود بكسب دمع وهابيل تضمنه الضريح
قتل قابيل هابيل أخاه فوا حزناً لقد فقد المليح
وفي البيت الأخير اختلال.

راجع: عيون أخبار الرضا ج 2 ص 220 ومسند الإمام الرضا للطاردي ج 2
ص 484.

(2) في عيون أخبار الرضا: فبي في الخلد ضاق بك الفسيح.

الريح (1)

فلولا رحمة الجبار أضحى بكفك من جنان الخلدريح (2)

وسأله: كم حج آدم «عليه السلام» من حجة؟!

فقال له: سبعين حجة (3) ماشياً على قدميه. وأول حجة حجها كان معه الصرد يدلّه على مواضع الماء، وخرج معه من الجنة، وقد نهى عن أكل الصرد والخطاف.

وسأله: ما باله لا يمشي على الأرض؟!

قال: لأنه ناح على بيت المقدس، فطاف حوله أربعين عاماً يبكي عليه، ولم يزل يبكي مع آدم «عليه السلام» فمن هناك سكن البيوت.

(1) في عيون أخبار الرضا زيادة البيت التالي:

وبدل أهلها أثلاً وخمطاً بجنات وأبواب منيح

(2) في عيون أخبار الرضا زيادة تقول: وسأله عن بكاء آدم على الجنة، وكم

كان دموعه التي جرت من عينه؟!

قال: بكاء آدم مائة سنة، وخرج من عينه اليمنى قتل دجلة. ومن الأخرى مثل الفرات.

=

= راجع: عيون أخبار الرضا ج2 ص220 ومسند الإمام الرضا للطاردي ج2

ص485.

(3) في نسخة: سبع مئة حجة.

ومعه تسع آيات (1) من كتاب الله عز وجل مما كان آدم يقرأها في الجنة. وهي معه إلى يوم القيامة: ثلاث آيات من أول الكهف، وثلاث آيات من سبحان (2) وهي (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ)، وثلاث آيات من يس: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا).

وسأله عن أول من كفر وأنشأ الكفر؟!

فقال: إبليس لعنه الله.

وسأله عن اسم نوح ما كان؟!

فقال: كان اسمه السكن، وإنما سمي نوحاً، لأنه ناح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.

وسأله عن سفينة نوح «عليه السلام» ما كان عرضها وطولها؟!

قال: كان طولها ثمانمائة ذراع، وعرضها خمسمائة ذراع، وارتفاعها في السماء ثمانون ذراعاً.

ثم جلس الرجل وقال إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أول شجرة غرست في الأرض فقال: العوسجة. ومنها عصا موسى «عليه السلام».

وسأله عن أول شجرة نبتت في الأرض؟!

فقال: هي الدبا. وهو القرع.

(1) في عيون أخبار الرضا: ونزل ومعه تسع آيات.

(2) في عيون أخبار الرضا: من سبحان الذي أسرى.

وسأله عن أول من حج من أهل السماء؟!!

فقال له: جبرئيل «عليه السلام».

وسأله عن أول بقعة بسطت من الأرض أيام الطوفان؟! (1).

فقال له: موضع الكعبة وكان زبرجدة خضراء.

وسأله عن أكرم واد على وجه الأرض؟!!

فقال له: واد يقال له: سرنديب، سقط فيه آدم «عليه السلام» من

السماء.

وسأله عن شر واد على وجه الأرض؟!!

فقال له: واد باليمن يقال له: برهوت، وهو من أودية جهنم.

وسأله عن سجن سار بصاحبه؟!!

فقال: الحوت سار بيونس بن متى «عليه السلام».

وسأله عن ستة لم يركضوا في رحم؟!!

فقال: آدم، وحواء وكبش إبراهيم، وعصا موسى، وناقطة صالح،

والخفاش الذي عمله عيسى بن مريم، وطار بإذن الله عز وجل.

(1) في عيون أخبار الرضا زيادة تقول:

وسأله عن أطهر موضع على وجه الأرض لا يحل الصلاة فيه.

فقال له: ظهر الكعبة.

راجع: عيون أخبار الرضا ج 2 ص 221 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج 2

ص 486.

وسأله عن شيء مكذوب عليه ليس من الجن ولا من الإنس؟!

فقال: الذئب الذي كذب عليه إخوة يوسف «عليه السلام».

وسأله عن شيء أوحى الله عز وجل إليه ليس من الجن ولا من

الإنس؟!

فقال: أوحى الله عز وجل إلى النحل.

وسأله عن موضع طلعت عليه الشمس ساعة من النهار ولا تطلع

عليه أبداً؟!

قال: ذلك البحر حين فلقه الله عز وجل لموسى «عليه السلام»،

فأصابته أرضه الشمس، وأطبق عليه الماء فلن تصيبه الشمس (1).

وسأله عن شيء شرب وهو حي، وأكل وهو ميت؟!

فقال: تلك عصا موسى.

وسأله عن نذير أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس.

فقال: هي النملة.

وسأله عن أول من أمر بالختان؟!

قال: إبراهيم.

وسأله عن أول من خفض من النساء؟!

فقال: هاجر أم إسماعيل خفضتها سارة لتخرج من يمينها.

(1) في عيون أخبار الرضا: فلن تصيبه الشمس بعد هذا أبداً.

وسأله عن أول امرأة جرت ذيلها؟!!

فقال: هاجر لما هربت من سارة.

وسأله عن أول من جر ذيله من الرجال؟!!

فقال: قارون.

وسأله عن أول من لبس النعلين؟!!

فقال: إبراهيم «عليه السلام».

وسأله عن أكرم الناس نسباً؟!!

فقال: صديق الله يوسف بن يعقوب إسرائيل الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله.

وسأله عن ستة من الأنبياء لهم اسمان؟!!

فقال: يوشع بن نون وهو ذو الكفل، ويعقوب وهو إسرائيل(1)، والخضر وهو تاليا(2)، ويونس وهو ذو النون، وعيسى وهو المسيح، ومحمد وهو أحمد «صلوات الله عليهم».

وسأله عن شيء تنفس ليس له لحم ولا دم؟!!

فقال: ذاك الصبح إذا تنفس.

(1) في عيون أخبار الرضا: إسرائيل الله.

(2) في نسخة علل الشرايع: جعليا. وفي عيون أخبار الرضا: حلقيا. حليفا خ. ل.

وسأله عن خمسة من الأنبياء تكلموا بالعربية؟!!

فقال: هود، وشعيب، وصالح، وإسماعيل، ومحمد «صلى الله عليه وعليهم».

ثم جلس، وقام رجل آخر، فسأله وتعنّته، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن قول الله عز وجل: (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ) من هم؟!!

فقال: قابيل يفر من هابيل، والذي يفر من أمه موسى، والذي يفر من أبيه إبراهيم⁽¹⁾، والذي يفر من صاحبتة لوط، والذي يفر من ابنه نوح يفر من ابنه كنعان.

وسأله عن أول من مات فجأة؟!!

فقال: داود «عليه السلام» مات على منبره يوم الأربعاء.

وسأله عن أربعة لا يشبعن من أربعة؟!!

فقال: أرض من مطر، وأنثى من ذكر، وعين من نظر، وعالم من علم.

وسأله عن أول من وضع سكك الدنانير والدراهم؟!!

فقال: نمرود بن كنعان بعد نوح.

وسأله عن أول من عمل عمل قوم لوط؟!!

(1) زاد في عيون أخبار الرضا: يعني الأب المربي لا الوالد.

فقال: إبليس فإنه أمكن من نفسه.

وسأله عن معنى هدير الحمام الراحبية؟!

فقال: تدعو على أهل المعازف، والقينات، والمزامير والعيدان.

وسأله عن كنية البراق؟!

فقال: يكنى أبا هزال⁽¹⁾.

وسأله: لم سمي تبع تبعاً؟!

قال: لأنه كان غلاماً كاتباً، فكان يكتب لملك كان قبله، فكان إذا

كتب كتب: بسم الله الذي خلق صباحاً وريحاً.

فقال الملك: اكتب وابدأ باسم ملك الرعد.

فقال: لا أبدأ إلا باسم إلهي، ثم اعطف على حاجتك، فشكر الله

عز وجل له ذلك، وأعطاه ملك ذلك الملك، فتابعه الناس على ذلك

فسمي تبعاً.

وسأله: ما بال الماعز مفرقة⁽²⁾ الذنب، بادية الحياء والعورة؟!

فقال: لأن الماعز عصت نوحاً لما أدخلها السفينة، فدفعها فكسر

ذنبيها، والنعجة مستورة الحياء والعورة، لأن النعجة بادرت بالدخول

إلى السفينة فمسح نوح «عليه السلام» يده على حياها وذنبيها فاستوت

(1) في نسخة، وفي عيون أخبار الرضا: أبا هلال.

(2) في نسخة: معرقة. وفي أخرى: مرفوعة.

الإلية (1).

وسأله عن كلام أهل الجنة؟!!

فقال: كلام أهل الجنة بالعربية.

وسأله عن كلام أهل النار؟!!

فقال: بالمجوسية.

ثم قال أمير المؤمنين «عليه السلام» (2): النوم على أربعة أصناف: الأنبياء تنام على أفقيتها مستلقية، وأعينها لا تنام متوقعة لوحى ربها، والمؤمن ينام على يمينه مستقبل القبلة، والملوك وأبناؤها تنام على شمالها ليستمرؤوا ما يأكلون، وإبليس وإخوانه وكل مجنون وذئ عاهة تنام على وجهه منبطحاً (3).

ثم قام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن يوم الأربعاء وتطيرنا منه، وثقله، وأي أربعاء هو؟!!

قال: آخر أربعاء في الشهر، وهو المحاق، وفيه قتل قابيل هابيل أخاه، ويوم الأربعاء ألقى إبراهيم في النار، ويوم الأربعاء وضعوه في المنجنيق، ويوم الأربعاء غرق الله عز وجل فرعون، ويوم الأربعاء

(1) في عيون أخبار الرضا: فاستترت الإلية.

(2) في عيون أخبار الرضا: وسأله عن النوم على كم وجه هو؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام إلخ..

(3) وفي عيون أخبار الرضا: تنامون على وجوههم منبطحين.

جعل الله عاليها سافلها⁽¹⁾، ويوم الأربعاء أرسل الله عز وجل الريح على قوم عاد، ويوم الأربعاء أصبحت كالصرير، ويوم الأربعاء سلط الله على نمرود البقة، ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى «عليه السلام» ليقتله، ويوم الأربعاء خر عليهم السقف من فوقهم، ويوم الأربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان، ويوم الأربعاء خرب بيت المقدس، ويوم الأربعاء أحرق مسجد سليمان بن داود بإصطخر من كورة فارس، ويوم الأربعاء قتل يحيى بن زكريا، ويوم الأربعاء أظلم قوم فرعون أول العذاب، ويوم الأربعاء خسف الله بقارون، ويوم الأربعاء ابتلي أيوب بذهاب ماله وولده⁽²⁾، ويوم الأربعاء أدخل يوسف السجن، ويوم الأربعاء قال الله عز وجل: (أَنَا دَمَرْتَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ)، ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة، ويوم الأربعاء عقرت الناقة، ويوم الأربعاء أمطر عليهم حجارة من سجيل، ويوم الأربعاء شج وجه النبي «صلى الله عليه وآله» وكسرت رباعيته، ويوم الأربعاء أخذت العماليق التابوت.

وسأله عن الأيام وما يجوز فيها من العمل؟!!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين يوم سفر وطلب، ويوم

(1) في عيون أخبار الرضا: ويوم الأربعاء جعل الله عز وجل عاليها سافلها.

في عيون أخبار الرضا: بذهاب أهله، وماله، وولده.

الثلاثاء يوم حرب ودم⁽¹⁾، ويوم الأربعاء يوم الشؤم فيه يتطير الناس، ويوم الخميس يوم الدخول على الأمراء وقضاء الحوائج، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح⁽²⁾.

ونقول:

إننا نذكر في البداية إيضاحات العلامة المجلسي «رحمه الله»، ثم نذكر بعض ما نرى أنه قد يكون مفيداً، فنقول:

توضيحات العلامة المجلسي &

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

«من موج مكفوف» أي من جسم موج، ممنوع من السيالان بقدرته سبحانه، أو بأن أجملها بعد ما كانت سيالة. ويحتمل أن يكون كناية عن كونها مخلوقة من جسم لطيف قد استقر في محله، ولا ينزل ولا يسيل.

(1) في عيون أخبار الرضا: ويوم الاثنين يوم حرب ودم. ويوم الثلاثاء يوم سفر وطلب..

(2) أخذنا النص المتقدم وهوامشه من بحار الأنوار ج 10 ص 75 - 82 وتوجد قطع أخرى منه حول ألوان السماوات في ج 55 ص 88 وفي الخصال (ط) مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1424 هـ) ج 2 ص 378 وراجع: عيون أخبار الرضا ج 1 ص 241 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 218 فما بعدها، وعلل الشرايع ج 2 ص 593 - 598 وراجع ص 494 و 571 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج 2 ص 482 فما بعدها.

أو موجهها كناية عن تلالؤ الكواكب فيها، بناءً على أنها فيها. ويمكن أن يكون المقدار المذكور للكواكب لأصغر الكواكب التي في المجرة، إذا المرصودة منها على المشهور أكبر من ذلك بكثير، بل ما سوى القمر والسفليين أكبر من الأرض بأضعافها.

وقد أول بعض السالكين مسالك الفلاسفة اختلاف الألوان الواردة في هذا الخبر باختلاف أنواعها وطبائعها، فإنهم يقولون: ليس للسموات لون كما ستعرف إنشاء الله

وذكر السيد الداماد «رحمه الله» لتقدير الكواكب تأويلاً غريباً أوردته في مقام آخر، وإن كانت أقوالهم في أمثال ذلك لم تورث إلا ظناً

وقال «رحمه الله»:

قوله: «بشاشة الوجه المليح». لعل رفع المليح للقطع بالمدح، ويمكن أن يقرأ بشاشة بالنصب على التمييز.

وفي بعض النسخ بعده:

وما لي لا أجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح
قتل قابيل هابيل أخاه فوا حزنا لقد فقد المليح

قوله: «ما باله لا يمشي» أي الخطاف.

وقال الجوهري: العوسج: ضرب من الشوك، الواحدة عوسجة

وقال الفيروز آبادي: رعبت الحمامة رفعت هديلها وشددته(1).
قوله: «مفرقة الذنب» قال الفيروزآبادي: فرقع فلاناً: لوى عنقه، والافرنقاع عن الشيء: الانكشاف عنه والتتحي.
أقول: وفي بعض النسخ: معرقة الذنب أي مقطوعة، مجازاً من قولهم: عرقبه فقطع عرقوبه. وفي بعضها: مرفوعة الذنب وهو أظهر، والحياء بالمد: الفرج من ذوات الخف والظلف والسباع، وقد يقصر، وبطحه كمنعه: ألقاه على وجهه فانبطح(2).
 انتهى كلام العلامة المجلسي «رحمه الله»..

سل تفقهاً، ولا تسأل تغتاً:

إن سؤال التعت يعبر عن رذيلة أخلاقية، لأن المفروض هو: أن يكون دور المعرفة هو الإسهام في حل مشكلات البشر، وإزالة العوائق من طريقهم في مسيرتهم لإعمار الكون، واستجلاب الكمالات لهم، والنهوض بهم، وإخراجهم من دائرة الفقر والحاجة والعجز، إلى رياض الغنى، والواجدية، والقدرة والكمال..

فإذا حول مسار المعرفة عن هذا الاتجاه، وأريد لها أن تكون معولاً لهدم القيم، وفرض العجز، وتوطيد الفقر والحاجة، فإن هذا سيخرج من حدود كونه رذيلة، ليدخل في نطاق الجريمة القبيحة جداً

(1) بحار الأنوار ج 55 ص 88 و 89.

(2) بحار الأنوار ج 10 ص 82 و 83.

في حق الإنسان والإنسانية، والإساءة الصريحة لمنظومة القيم والمبادئ والغايات التي أراد الله لها أن تهيمن على مسيرة الإنسان في هذه الحياة..

هذا كله عدا كون سؤال التعنت يهدر الوقت، ويصرف الجهد، ويسهم في إنتاج التشوهات القبيحة في مرآة النفس التي أرادها الله على درجة من النقاء والصفاء، ويلوث طهرها بالأرجاس والردائل. ولأجل هذا جاء هذا التوجيه الرائع والرائد من أمير المؤمنين «عليه السلام»: «سل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً»، ليضع النقاط على الحروف، ويعيد الأمور إلى نصابها، وليقطع الطريق على المتعنتين وإفهامهم أن تعنتهم سيكون مفضوحاً أمامه، وأمام الناس، ليفرض عليهم من خلال هذا التحذير مراقبة حركتهم بأنفسهم، وأن يلتزموا في حوارهم بالحدود المعقولة، والمقبولة لدى العقلاء، حتى لا يدفعهم تعنتهم للمراوغات الباطلة، والعناد السمج والممجوج.

ما لا طريق لمعرفته إلا النقل:

وقد تضمنت الرواية المتقدمة أسئلة لا سبيل إلى الوصول إلى أجوبتها إلا بالنقل عن المعصوم الصادق المصدق، الذي يتلقى علمه من خالق الكون ومدبره وباعث الحياة.. من أجل ذلك لا بد من إثبات هذه العصمة، وهذه الصلة بالمعصوم، ثم الأخذ منه وعنه، والانتحاء إلى قوله فيه..

ولذلك، فنحن لا نرى حاجة، بل لا نجد سبيلاً لإثبات، ولا لنفي

كثير مما ذكرته الرواية المتقدمة، مثل الإجابة على سؤال مم خلق الله السماوات، أو الأرض، أو الجبال، وغير ذلك.. لأن أبواب الغيب موصدة أمامنا. ولا نرى أن التكهن والتظني، ينقع غلة، أو يجدي نفعاً.

مكة أم القرى: لماذا؟!!

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن مكة سميت أم القرى، لأن الأرض دحيت من تحتها.

وقال ياقوت: «سميت بذلك، لأنها أصل الأرض، منها دحيت»⁽¹⁾. ولعله أخذ قوله هذا عن الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها.

وقال القمي: إنما سميت أم القرى، لأنها أول بقعة خلقت⁽²⁾. ولكن في رواية عن الإمام الجواد «عليه السلام» قال: «ومكة من أمهات القرى»⁽³⁾.

(1) معجم البلدان ج 1 ص 302 و (ط دار إحياء التراث العربي - بيروت) ج 1 ص 254 و 255.

(2) تفسير القمي ج 1 ص 210 و 268 والبرهان (ط سنة 1415 هـ) ج 2 ص 451 عنه، وج 4 ص 805.

(3) بصائر الدرجات ص 245 و 246 و علل الشرايع ص 124 و 125 والبرهان (ط سنة 1415 هـ) ج 2 ص 451 وج 5 ص 374 وج 4 ص 804 وتفسير نور الثقلين ج 2 ص 78 وج 4 ص 557 وج 5 ص 322 ومعاني

فهذا التعبير يشير إلى أن أمهات القرى أكثر من بلد واحد.. ويتوافق من القول: بأن أم القرى هي المدينة الكبيرة، فإنها تكون بمثابة الأم والمرجع لما حولها من قرى وبلدات، كما عن الليث وغيره(1).

غير أن العبارة في رواية أخرى عن أبي جعفر «عليه السلام» جاء هكذا: «أم القرى مكة»(2)، وهذا التعبير يتوافق مع جميع الأقوال.

أحجام النيرات:

ولا مجال للموافقة على ما ذكرته الرواية السابقة عن طول الشمس والقمر وعرضهما، وعن طول الكواكب وعرضها، فإن ذلك لا يتوافق مع ما هو معروف من أن أحجامها أكبر من ذلك بالآلاف الأضعاف.. فضلاً عن تفاوتها فيما بينها بالأحجام، فالشمس أكبر من

-
- الأخبار ص53 و 54 والاختصاص للمفيد ص263 والفصول المهمة للحر العاملي ج1 ص413 = = و 414 وبحار الأنوار ج16 ص132 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص334.
- (1) معجم البلدان ج1 ص302 و 303 و (ط دار إحياء التراث العربي - بيروت) ج1 ص254.
- (2) راجع: تفسير العياشي ج2 ص31 وعلل الشرايع ص125 والبرهان (ط سنة1415هـ) ج2 ص451 و 452 وج5 ص374 وتفسير القمي ج2 ص268 وتفسير نور الثقلين ج4 ص557 وبحار الأنوار ج96 ص76 .

القمر بكثير، و..

إلا إن كان «عليه السلام» يكلم ذلك الشامي وفق اعتقاده، لا وفق ما يراه «عليه السلام» حقيقة وواقعاً. غير أن ذلك - لو صح - فالمتوقع أن يضم الأجوبة الصحيحة إلى الأجوبة التي يتوقعها ويريدها ذلك الشامي..

دموع آدم مثل دجلة:

وذكرت الرواية - حسب ما ورد في عيون الأخبار -: أن ما خرج من إحدى عيني آدم من دموع في بكائه على الجنة كان مثل دجلة، وأخرج من الأخرى مثل الفرات.

ونقول:

إن هذا غير معقول، فإن ما يخرج من العينين لرجل واحد في مئة سنة فقط لا يمكن أن يكون بهذا المقدار، ولا أقل منه بآلاف المرات.

حياء الثور من الله تعالى:

كما أن الحديث عن أن الثور لا يرفع رأسه إلى السماء، حياءً من الله تعالى، فإنه منذ عبد قوم موسى العجل نكس رأسه. قد يكون مسوقاً على هذا النسق أيضاً، أي وفق ما يعتقده ذلك اليهودي..

وقد روي ما يوافق هذا المعنى عن جميل بن أنس قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أكرموا البقر، فإنه سيد البهائم، ما

رفعت طرفها إلى السماء حياءً من الله عز وجل منذ عبد العجل»(1). وفي الروايات ما يدل على أن لبعض الأحداث تأثير في طبائع الطيور والحيوانات، فقد ذكر ابن قولويه أربع روايات تقول: إنه عندما قتل الإمام الحسين «عليه السلام» خرجت البومة من العمران إلى الخراب وآلت ألا تأوي إلا إلى الخراب، فلا تزال هي صائمة حزينة، فإذا جنها الليل ترن وتندب الحسين «عليه السلام» إلى الصباح(2).

قال المجلسي «رحمه الله»: «تدل هذه الأخبار على أن الثور لم يكن قبل عبادة بني إسرائيل العجل على هذه الخلقة، ولا استبعاد فيه»(3).

لكن ورد في خبر مرسل رواه الصفار عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم، يسترزق الله لولد آدم، والآخر على صورة الديك يسترزق الله للطير، والثالث على

(1) بحار الأنوار ج 13 ص 209 وج 61 ص 141 وعلل الشرايع (ط المكتبة الحيدرية سنة 1386 هـ) ج 2 ص 494 وتفسير نور الثقلين ج 2 ص 70 وقصص الأنبياء للجزائري ص 303 ومستدرك سفينة البحار ج 1 ص 384 وتذكرة الموضوعات للفتني ص 152 والموضوعات لابن الجوزي ج 3 ص 3.

(2) كامل الزيارات باب 31 وراجع: بحار الأنوار ج 61 ص 329.

(3) بحار الأنوار ج 61 ص 141.

صورة الأسد يسترزق الله للسباع، والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم. ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل إلخ.. (1).

وروى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسحاق بن الهيثم، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ، قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام» في وصف حملة الكرسي ما ملخصه: أن له أربعة أملاك يحملونه:

الأول: في صورة الثور، وهو سيد البهائم..

إلى أن قال: ولم يكن في هذه الصورة أحسن من الثور، ولا أشد انتصاباً منه، حتى اتخذ الملائكة من بني إسرائيل العجل إلهاً، فلما عكفوا عليه وعبدوه من دون الله خفض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياءً من الله أن عبد من دون الله شيء يشبهه، وتخوف أن ينزل به العذاب إلخ.. (2).

-
- (1) الخصال ج 2 ص 407 وبحار الأنوار ج 7 ص 130 و 131 وج 55 ص 28 والاعتقادات في دين الإمامية ص 45 وروضة الواعظين ص 45 ومستدرك سفينة البحار ج 7 ص 159 وتفسير نور الثقلين ج 5 ص 404 وتفسير الميزان ج 8 ص 171 ومجمع البحرين ج 1 ص 577 و 578.
- (2) تفسير القمي ج 1 ص 85 وبحار الأنوار ج 61 ص 140 وج 55 ص 21 و 22 وتفسير مجمع البيان ج 2 ص 160 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 261 و 262 وج 3 ص 389 وتفسير كنز الدقائق ج 1 ص 609.
- وراجع بخصوص الملك الموكل بالبحار: رواية الإمام الرضا «عليه السلام»

ونقول:

لعل الأقرب إلى الاعتبار هو ما ورد في هذين الخبرين.
ولا يبقى لما ذكره العلامة المجلسي «رحمه الله» مورد، إذ يكون ما ورد في خبر الشامي قد تعرض لبعض التصرف من قبل الرواة.

رومان ملك المد والجزر:

ونقول:

1 - المعروف: أن المد والجزر يكونان بسبب جاذبية القمر، فإنه متى حاذى جهة من البحر جذب مياهها إليه، فتنحسر عن الشواطئ. فيحصل الجزر، فإذا زال عن تلك الجهة ضعفت جاذبيته، فيكون المدّ، الذي يعني عودة المياه إلى حالته الأولى المعاكسة لحالة الجزر. ويتجلى ذلك بصورةٍ أتم حين يكون القمر في الحضيض، أي يكون في أقرب منازل له إلى الأرض.

2 - قد يقال: إن هذا الحديث لا ينسجم مع هذا الذي يذكرونه في تفسير المد والجزر.

غير أننا نقول:

في: مناقب آل أبي طالب ج2 ص383 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص203 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص59 وج9 ص346 وعلل الشرائع ج2 ص554 و 593 وبحار الأنوار ج10 ص84 و 76 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج2 ص507

أولاً: إنه لا يمكن رفع اليد عن النص لمجرد ظهور نظرية مبنية على الحدس والتخمين، نتيجة ملاحظة وجود تقارن بين حالتين، مع أن هاتين الحالتين قد تكونان مستندتين معاً إلى مؤثر ثالث ورابع أيضاً، فلا بد لرفع اليد عن الحدث من الاستناد إلى أدلة ملموسة ومحسوسة تفيد اليقين.

وبعبارة أخرى: إن الأدلة المفيدة لليقين لا يمكن أن تكون مجرد ملاحظاتٍ لظواهر معينة، لا دليل على علاقتها ببعضها سوى الحدس أيضاً.. أو أنها تقوم على استقراءات ناقصة، وشياع غير ظاهر الوجه..

وقد عرفنا: أن الناس ظلوا يعتقدون بأن الأرض مسطحة طيلة قرون متمادية، بل إن بعضهم لم يقتنع بكرويتها حتى الآن، حيث لا نزال نسمع ونرى من يصر على تسطيحها، ويكفر من يقول بخلاف ذلك إلى يومنا هذا.

ثانياً: قد يرى البعض: أن هذا النوع من الأخبار وارد على سبيل الرمز والكناية، فيراد بالملك تلك القوة التي تحدث المد والجزر، حيث لم يكن بالإمكان الحديث عن جاذبية القمر لمياه البحار، فإن ذلك سيواجه بالإنكار والاستهجان إن لم يكن بالسخرية والالتهام الباطل.

ولكن هذا الوجه إنما يمكن قبوله بعد إثبات صحة دعوى أن المد والجزر نتيجة جاذبية القمر بصورة قاطعة ونهائية.

ولكن يمكن القول:

لو صح أن السبب في المد والجزر هو وضع الملك رومان رجله في البحار، وإخراجها منه، لكان ينبغي أن يكون المد والجزر في جميع شواطئ البحار، ولا يقتصر على بعض المواضع اليسيرة بالقياس إلى ما لا يكون فيه مد ولا جزر.

ملاحظة:

ذكر الطريحي: أن ثمة رواية عن عبد الله بن سلام تقول: إن ثمة ملكاً يأتي الميت في قبره، ويأمره بكتابة أعماله في كتاب. واسم ذلك الملك رومان أيضاً⁽¹⁾. فهل رومان هذا هو نفس ذاك، أو هو غيره؟!

وإن كانا اثنين، فهل تسميتهما معاً بـ «رومان» قد جاء على سبيل الصدفة؟! أو أن ثمة تشابهاً بينهما؟! وما هو وجه هذا التشابه؟!

وعلى كل حال، فإن هذه الرواية ليست مما يعتد به من حيث السند، فضلاً عن أنها مخالفة لما ورد في القرآن والروايات، من أن هناك ملائكة تكتب كل أفعال الإنسان، وأنه يؤتى بكتابه، فيقول: (مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا)⁽²⁾..

(1) بحار الأنوار ج56 ص234 ومجمع البحرين ج3 ص82 وراجع: نفس الرحمن في فضائل سلمان للطبرسي ص627.
(2) الآية 49 من سورة الكهف.

وأيضاً، فلو صح هذا الخبر، فما الذي يمنع الإنسان من أن يكتب خصوص ما يراه حسناً، ويكتُم الكثير من أفعاله ومن أعماله السيئة، فلا يكتبها ويتستر عليها، بل ينكرها.

ألا ترى إلى قوله تعالى: (وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) (1)..

وغير ذلك من الآيات والروايات التي تكذب هذا الخبر.

إِسْمُ إِبْلِيسَ فِي السَّمَاءِ:

وتقدم: أن اسم إبليس في السماء هو الحارث.. مع أن القرآن يقول: إن الله تعالى خاطب إبليس، حين امتنع من السجود لآدم بقوله: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)؟! (2).

وفي آية أخرى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي)؟! (3).

ومن المعلوم: أنه تعالى قد خاطب إبليس بهذا الخطاب حين كان مع الملائكة في السماء.

إلا أن يقال: إن المقصود هو أن الملائكة هي التي كانت تسمي إبليس بـ «الحارث».

(1) الآية 21 من سورة فصلت.

(2) الآية 32 من سورة الحجر.

(3) الآية 75 من سورة ص.

غير أن بعض الأحاديث قد دلت على كراهة التكنية بأبي عيسى، وأبي الحكم، وأبي الحارث، وأبي القاسم إذا كان الاسم محمداً (1).
وفي رواية: ذكر أبا مالك، بدل أبي الحارث (2).
ودل بعضها على كراهة التسمية بالحارث أيضاً (3).
لكن هناك رواية أخرى عن النبي «صلى الله عليه وآله» تقول:

-
- (1) بحار الأنوار ج 101 ص 116 و 126 و 130 والهداية للصدوق ص 70 و (ط سنة 1418 هـ) ص 268 وفقه الرضا ص 31 و (ط سنة 1406 هـ) ص 239 والجامع للشرائع ص 458 وراجع: جامع أحاديث الشيعة ج 21 ص 348 ومستدرك الوسائل ج 15 ص 133.
- (2) الكافي ج 6 ص 21 ودعائم الإسلام ج 2 ص 188 وبحار الأنوار ج 16 ص 401 وج 101 ص 127 والخصال ج 1 ص 171 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) = = ص 250 وجواهر الكلام ج 31 ص 256 وتهذيب الأحكام ج 7 ص 439 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 21 ص 400 و (ط دار الإسلامية) ج 15 ص 132 ومستدرك الوسائل ج 15 ص 133 ومستدرك سفينة البحار ج 9 ص 194 وجامع أحاديث الشيعة ج 21 ص 347 وذكر أخبار إصبهان ج 2 ص 363.
- (3) النوادر للراوندي ص 9 و (ط مؤسسة دار الحديث - قم) ص 104 وبحار الأنوار ج 101 ص 130 ومستدرك الوسائل ج 15 ص 132 وجامع أحاديث الشيعة ج 21 ص 335 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج 11 ص 388.

ألا إن خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن وحارثة، وهمام (1).
 إلا أن يقال: إن اسم حارثة غير اسم الحارث، فيمكن أن تكون
 التسمية بأحدهما ممدوحة، وبالأخر مذمومة.
 كما أن التسمية بعبد الرحمان تتوافق مع ما صنعتها عائشة حين
 استشهد علي «عليه السلام»، وسمت أحد خدمها بعبد الرحمن بن
 ملجم (2).

المختونون من الأنبياء:

وعن الأنبياء الذين ولدوا مختونين نقول:

1 - ذكرت الرواية: أن آدم «عليه السلام» ولد مختوناً، مع أنه قد
 روي: أن عبد الله بن سلام سأل النبي «صلى الله عليه وآله»: هل اختن
 آدم أم لا؟!

-
- (1) بحار الأنوار ج 101 ص 127 والخصال ج 1 ص 171 و (ط مؤسسة النشر
 الإسلامي) ص 251 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 21 ص 399
 و (ط دار الإسلامية) ج 15 ص 131 وجامع أحاديث الشيعة ج 21
 ص 346 والتمهيد لابن عبد البر ج 24 ص 72 وكنز العمال (ط مؤسسة
 الرسالة) ج 16 ص 590 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج 27 ص 242
 والإصابة ج 4 ص 34 والكامل لابن عدي ج 6 ص 406.
 (2) راجع: تلخيص الشافي ج 4 ص 158 والجمل (ط النجف) ص 84 وبحار
 الأنوار ج 22 ص 234 وج 32 ص 341 و 342 وقاموس الرجال ج 10
 ص 475 والشافي ج 4 ص 356.

فقال «صلى الله عليه وآله»: نعم يا ابن سلام ختن نفسه بيده..

قال: صدقت يا محمد(1) ..

ولكن هناك رواية صحيحة السند، عن محمد بن قزعة، قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: إن من قبلنا يقولون: إن إبراهيم خليل الرحمان ختن نفسه بقدوم على دن، فقال: سبحان الله، ليس كما يقولون. كذبوا على إبراهيم.

فقلت له: صف لي ذلك.

فقال: إن الأنبياء، كانت تسقط عنهم غلفهم مع سرهم يوم السابع إلخ..(2).

وآدم من جملة الأنبياء، فيكون قد سقطت غلفته وسرته يوم السابع أيضاً.

وقد يقال: إن المقصود بالرواية ليس جميع الأنبياء، بل خصوص من ذكر أنهم ولدوا مختونين.

ولكن هناك رواية أخرى تقول: إن رسول الله «صلى الله عليه

(1) بحار الأنوار ج57 ص246 عن بعض الكتب القديمة، وعن كتاب: «ذكر الأقاليم، والبلدان، والجبال، والأنهار، والأشجار» ومستدرك سفينة البحار ج3 ص30.

(2) بحار الأنوار ج12 ص8 و 100 و 101 وج101 ص113 وعلل الشرايع (ط سنة 1386هـ) ص505 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص30.

وآله» قال: أول من اختتن إبراهيم، اختتن بالقدم على رأس ثمانين سنة(1). مما يعني: أن آدم لم يختن نفسه بيده، وإلا لكان هو أول من اختتن..

(1) النوادر للراوندي ص 23 و (ط مؤسسة الوفاء سنة 1403هـ) ص 147 وبحار الأنوار ج 73 ص 69 وج 12 ص 10 و 102 عنه. ونيل الأوطار ج 1 ص 137 ودعائم الإسلام ج 1 ص 124 وجامع أحاديث الشيعة ج 21 ص 385 و 386 ومستدرك الوسائل ج 15 ص 151 ومستدرك سفينة البحار ج 3 ص 31 وراجع: مسند أحمد ج 2 ص 322 و 418 و 435 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 4 ص 111 وج 7 ص 144 و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج 7 ص 97 والمستدرك للحاكم ج 2 ص 551 والسنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 325 وفتح الباري ج 11 ص 74 وعمدة القاري ج 22 ص 272 والمصنف للصنعاني ج 11 ص 175 والأدب المفرد للبخاري ص 267 وكتاب الأوائل للطبراني ص 36 والتمهيد لابن عبد البر ج 21 ص 59 وج 23 ص 139 والفايق في = = غريب الحديث ج 3 ص 72 وفيض القدير ج 1 ص 596 وكشف الخفاء ج 1 ص 267 والتفسير الكبير للرازي ج 20 ص 135 والجامع لأحكام القرآن ج 2 ص 98 وتفسير القرآن العظيم ج 1 ص 171 والدر المنثور ج 1 ص 115 والكامل لابن عدي ج 1 ص 222 وج 4 ص 183 وتاريخ مدينة دمشق ج 1 ص 141 وج 6 ص 199 و 201 وميزان الاعتدال ج 1 ص 59 ومعجم البلدان للحموي ج 4 ص 312 والكامل في التاريخ ج 1 ص 124 وسبل الهدى والرشاد ج 1 ص 308.

وفي الحديث المتقدم قوله: سأله عن أول من أمر بالختان، قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: إبراهيم..

قال بعضهم: يعني أنه أول من أمر بختان ولده، وأن هذا الأمر قد صدر له وكان عمره ثمانين سنة. وليس المراد: أنه هو نفسه قد اختتن بعد ثمانين سنة، فقد تقدم تكذيب ذلك في رواية صحيحة السند. وأنه ولد مختوناً⁽¹⁾.

ونقول:

ما ذكره هذا البعض لا يتناسب مع ظاهر الرواية المتقدمة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فالأولى الجمع بين الروايات بنحو آخر، وهو أن يقال: المقصود: أنه أول من اختتن، ولو بإمرار موسى على الموضع.

الخفاش يلد:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة في جملة الأشياء الستة التي خلقت من غير رحم: الخفاش، فقد يتوهم أن ذكره في غير محله، لأن الطير يبيض ولا يلد..

(1) راجع: علل الشرائع ج 2 ص 594 وعيون أخبار الرضا ج 2 ص 219 وبحار الأنوار ج 10 ص 77 وج 11 ص 36 وج 12 ص 3 و 151 وج 14 ص 2 وج 15 ص 296 ومستدرك سفينة البحار ج 3 ص 29 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج 2 ص 484 وتفسير نور الثقلين ج 3 ص 514.

والجواب: أنه قد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن خلقه الخفافش أقرب إلى خلقه ذوات الأربع منها إلى خلقه الطير. «وذلك أنه ذو أذنين ناشرتين، وأسنان، ووبر، وهو يلد ولاداً، ويرضع، ويبول، ويمشي إذا مشى على أربع. كل هذا خلاف صفة الطير»⁽¹⁾.

عصا موسى:

وذكر عصا موسى في جملة الستة التي لم تركض في رحم، وهي إنما تحولت إلى حية تسعى، والحية تبيض ولا تلد.. ويمكن أن يجاب: بأن احتمال أن تخلق حية بواسطة الرحم أيضاً مما لا يمكن أن نفيه. كما أن من الممكن أن يخلق الله من تلك العصا موجوداً آخر يكون من جنس ما يتولد في الأرحام. من أجل ذلك نقول: إن هذا يصحح أن تعد هذه العصا في جملة من لم يركض في رحم. **ويلاحظ هنا:** أنه «عليه السلام» إنما ذكر العصا، ولم يذكر ما تحولت إليه، وهو الحية!

(1) التوحيد للمفضل بن عمر الجعفي ص 73 وبحار الأنوار ج 3 ص 107 وج 61 ص 68 عنه، ومستدرك سفينة البحار ج 3 ص 138 وراجع: حياة الحيوان للدميري (ط دار القاموس) ج 1 ص 269.

يوشع بن نون وذو الكفل:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن يوشع بن نون هو ذو الكفل. وقال المجلسي «رحمه الله»: إن هذا خلاف المشهور. وقيل: هو حزقيل. وقيل: إنه وصي اليسع بن أخطوب، وقيل: هو زكريا، وقيل: إلياس. وقيل: هو اليسع نفسه(1).

وفي أخباره الواردة من طرق غير الشيعة ما يدل على أنه ليس يوشع.

وروى الصدوق، عن الدقاق، عن الأسدي، عن سهل، عن الإمام الجواد «عليه السلام» التصريح: بأن ذا الكفل لم يكن نبياً، وكان بعد سليمان. وكان يقضي بين الناس كما يقضي داود، ولم يغضب إلا لله عز وجل. وكان اسمه عويديا(2).

ومن الواضح: أن يوشع كان وصي موسى، ولم يكن وصي سليمان، فإنه كان قبل سليمان بعهود طويلة.

(1) بحار الأنوار ج 11 ص 36 وج 13 ص 406. وراجع: مجمع البيان ج 7 ص 59 و 60 وأنوار التنزيل للبيضاء ج 2 ص 89 والمحرر الوجيز ج 2 ص 317 وتفسير البحر المحيط ج 4 ص 178 والتفسير الكبير للرازي، وغير ذلك.

(2) قصص الأنبياء للراوندي ص 215 وقصص الأنبياء للجزائري ص 365 وبحار = الأنوار ج 13 ص 405 ومستدرك سفينة البحار ج 9 ص 138 وتفسير الميزان ج 17 ص 216.

الصرد دليل آدم:

وتقدم: أن الصرد كان يدل آدم على مواضع الماء في طريقه إلى الحج.

وقد روي عن أبي عبد الله ما يؤيد ذلك، فقد قال «عليه السلام»: وأما الصرد فإنه كان دليل آدم «عليه السلام» من بلاد سرانديب إلى بلاد جدة شهراً⁽¹⁾.

عمر آدم:

ذكرت الرواية: أن عمر آدم «عليه السلام» كان تسع مئة وثلاثين سنة⁽²⁾.

وهناك رواية أخرى عن الإمام الصادق «عليه السلام»⁽³⁾.

-
- (1) الخصال ج 1 ص 159 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص 327 وبحار الأنوار ج 11 ص 111 وج 61 ص 266 ومستدرك الوسائل ج 16 ص 123 وجامع أحاديث الشيعة ج 23 ص 44 ومستدرك سفينة البحار ج 6 ص 262 وقصص الأنبياء للجزائري ص 32.
- (2) علل الشرائع ج 2 ص 594 وعيون أخبار الرضا ج 2 ص 219 وبحار الأنوار ج 10 ص 77 وج 11 ص 247 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج 2 ص 484 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 71.
- (3) بحار الأنوار ج 11 ص 269 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج 3 ص 346.

وفي حديث آخر عن أبي جعفر «عليه السلام» كان عمره تسع مئة وستاً وثلاثين سنة. وبه قال البرقي وروي نحو ذلك عن ابن عباس (1).

وينافي هذا: ما رواه الصدوق عن ابن المتوكل، عن الحميري، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد الرحمان بن الحجاج، عن القاسم بن محمد، عن أبي جعفر «عليه السلام»: أتى آدم هذا البيت ألف آتية على قدمين (قدميه خ. ل.). منها سبع مئة حجة، وثلاث مئة عمرة (2).

فهذه الرواية صريحة في أن عمره «عليه السلام» قد زاد على الألف سنة.

-
- (1) بحار الأنوار ج11 ص267 عن قصص الأنبياء ص268 و 269 وعن سعد السعود ص40 وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج6 ص389 والطبقات الكبرى لابن سعد ج1 ص39 وتاريخ مدينة دمشق ج23 ص272 وتاريخ الأمم والملوك ج1 ص107 والكامل في التاريخ ج1 ص51.
- (2) قصص الأنبياء للراوندي ص52 وقصص الأنبياء للجزائري ص33 ومن لا يحضره الفقيه ج2 ص229 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج11 ص128 و 132 و (ط دار الإسلامية) ج8 ص91 و 94 وعوالي اللآلي ج2 ص97 وبحار الأنوار ج11 ص114 وج96 ص43 وجامع أحاديث الشيعة ج10 ص201 و 430 و 452 و 460 وجامع أحاديث الشيعة ج10 ص486.

فإن قيل: لا مانع أن يكون حجته وعمرته في عام واحد كأن يعتمر في رجب وغيره، ويحج في ذي الحجة.
ونجيب:

بأننا حتى لو قلنا بهذا، فإن مجموع السنوات يصير ألف سنة، فلا ينسجم مع القول: بأنه تسع مائة وثلاثون سنة، أو غير ذلك من الأقوال التي لا تصل إلى الألف.

وعن أبي هريرة، عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إنه كان كتب لآدم ألف سنة، فوهب ستين منها لداود، ثم رجع (1).
وعنه أيضاً: أنه وهب له أربعين سنة، ثم جحد (2).
وروي عن الصادق «عليه السلام» عن أول كتاب كتب في الأرض، فأجاب: أنه كتاب جعل آدم ستين سنة من عمره لداود (3).

(1) سنن الترمذي ج 5 ص 123 والكامل في التاريخ ج 1 ص 50 وبحار الأنوار ج 11 ص 268 وكنز العمال ج 6 ص 126 وتحفة الأحوزي ج 8 ص 364 وتاريخ مدينة دمشق ج 7 ص 392.

(2) سنن الترمذي ج 4 ص 332 والمستدرك للحاكم ج 2 ص 325 ومسند أبي يعلى ج 12 ص 9 وأحكام القرآن لابن العربي ج 2 ص 333 والجامع لأحكام القرآن ج 7 ص 315 والدر المنثور ج 3 ص 143 وتاريخ مدينة دمشق ج 7 ص 394 والبداية والنهاية ج 1 ص 97 وقصص الأنبياء لابن كثير ج 1 ص 43.

(3) الكافي ج 7 ص 378 ومستدرك الوسائل ج 13 ص 261 والجواهر السنية

وعن ابن عباس عن النبي «صلى الله عليه وآله»: كان عمر آدم ألف سنة، وكان عمر داود ستين سنة، فقال آدم: أي رب زده من عمري أربعين سنة.

فأكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة(1).

وفي إثبات الوصية: أنه وهب له منها سبعين(2). وهذا يوافق القول: بأنه عاش تسع مئة وثلاثين سنة.

والتوراة المتداولة تزعم: أن عمر آدم منذ نفخ الله فيه الروح إلى وفاته تسع مئة وثلاثون سنة(3).

= = 10 ص بحار الأنوار ج 11 ص 258 وج 47 ص 222 وقصص الأنبياء للجزائري ص 69 وجامع أحاديث الشيعة ج 18 ص 11 ومستدرك سفينة البحار ج 5 ص 337 و 338 وج 9 ص 31.

(1) المصنف لابن أبي شيبة ج 8 ص 47 والدر المنثور ج 1 ص 370 وج 4 ص 326 ومسند أبي يعلى ج 5 ص 99 - 101 والمعجم الكبير ج 12 ص 165 وكنز العمال ج 6 ص 134 والطبقات الكبرى لابن سعد ج 1 ص 28 وتاريخ الأمم والملوك ج 1 ص 106 والكمال في التاريخ ج 1 ص 51.

(2) بحار الأنوار ج 11 هامش ص 270 عن إثبات الوصية.

(3) بحار الأنوار ج 11 ص 268 و 269 وسعد السعود ص 40 عن السفر الثالث من التوراة المتداولة، والمعارف لابن قتيبة ص 56 و (ط دار المعارف - القاهرة) ص 19.

وروي ذلك عن ابن عباس(1).
وهو ما ذهب إليه المسعودي، واليعقوبي(2).
ونقله ابن طائوس في سعد السعود عن صحف إدريس(3).
وقيل: بل عاش تسع مئة سنة، واثنى عشرة سنة(4).

اسم نوح:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن نوحاً سمى نوحاً لأنه ناح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً. وأن اسمه كان «السكن».

ونقول:

1 - إن هذا لا يتلاءم مع الروايات التي تقول: إن اسم نوح: عبد الغفار، أو عبد الملك، أو عبد الأعلى(5).

قال الشيخ الصدوق «رحمه الله»: «الأخبار في اسم نوح كلها متقنة غير مختلفة، تثبت له التسمية بالعبودية، وهو عبد الغفار، والمملك

-
- (1) بحار الأنوار ج 11 ص 268 والكامل في التاريخ ج 1 ص 51.
 - (2) بحار الأنوار ج 11 ص 269 وعن مروج الذهب ج 1 ص 48 وتاريخ اليعقوبي ج 1 ص 7 وراجع إثبات الوصية.
 - (3) بحار الأنوار ج 11 ص 269 وسعد السعود ص 37 و 38.
 - (4) بحار الأنوار ج 11 ص 269 وسعد السعود ص 37 و 38.
 - (5) علل الشرايع (ط سنة 1385 هـ) ج 1 ص 28.

والأعلى..»(1).

2 - وعن بكائه على قومه نقول:

إن ما ذكره من أنه كان يبكي على قومه لا ينسجم مع الرواية التي تقول: إنه كان ينوح على نفسه(2).

3 - ما ذكر من أنه قد بكى ألف سنة إلا خمسين عاماً لا ينسجم

(1) علل الشرايع ج 1 ص 28 و 29 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 15 ص 225 و (ط دار الإسلامية) ج 11 ص 176 وبحار الأنوار ج 11 ص 286 و 287 وقصص الأنبياء للجزائري ص 80 وجامع أحاديث الشيعة ج 14 ص 185 = و 186 ومستدرك سفينة البحار ج 10 ص 160 وراجع: فيض القدير ج 3 ص 125 وتفسير السمعاني ج 3 ص 217 والتسهيل لعلوم التنزيل ج 2 ص 96 والإتقان في علوم القرآن ج 2 ص 363 و 381 وتفسير القمي ج 1 ص 328 والتفسير الصافي ج 2 ص 208 وتفسير نور الثقلين ج 2 ص 348 وج 4 ص 154.

(2) علل الشرايع ج 1 ص 28 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 15 ص 224 و (ط دار الإسلامية) ج 11 ص 176 وبحار الأنوار ج 11 ص 286 و 287 وجامع أحاديث الشيعة ج 14 ص 185 وتفسير القمي ج 1 ص 328 وتفسير نور الثقلين ج 2 ص 348 وج 4 ص 154 وتفسير السمعاني ج 6 ص 53 والمحرم الوجيز ج 2 ص 414 وزاد المسير ج 1 ص 319 والدر المنثور ج 3 ص 94 وقصص الأنبياء للراوندي ص 88 وقصص الأنبياء للجزائري ص 80.

مع الروايات التي تقول: إنه ناح خمس مئة سنة(1).

لغة أهل النار:

وعن قول الرواية المتقدمة: إن لغة أهل النار هي المجوسية نقول:

إن المجوسية دين، وليست لغة. وأتباع هذا الدين قد يكونون من الأعراق المختلفة، وقد تكون لغتهم العربية، أو الكردية، أو الفارسية، أو الهندية، أو الرومية أو غيرها.

غير أننا نشتم من هذه الرواية إرادة الطعن بأهل فارس باعتبار أنهم يرون أن دين المجوسية كان له انتشار واسع في بلادهم، ولم تزل العصبية تظهر بين العرب الذين يعيشون في المناطق المتاخمة لبلاد الفرس، وبين الفرس بصورة أو بأخرى.

لذكر مثل حظ الأنثيين:

وزعمت الرواية المتقدمة: أن السبب في كون ميراث الذكر مثل حظ الأنثيين هو: أن حواء قد أكلت من السنبلة حبة واحدة، وأطعمت آدم «عليه السلام» حبتين.

(1) علل الشرايع ج 1 ص 28 وقصص الأنبياء للجزائري ص 80 ومجمع البحرين ج 4 ص 387 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج 15 ص 224 و 225 وبحار الأنوار ج 11 ص 286 و 326 ومستدرك سفينة البحار ج 10 ص 160 وقصص الأنبياء للراوندي ص 88.

ونقول:

إن هذا لا ينسجم مع ما روي عن الأئمة «عليهم السلام»، مثل:

1 - ما عن الإمام الصادق «عليه السلام»، من أن الحبات كانت ثمانية عشر، أكلت حواء منها ستاً، وأكل آدم اثني عشر حبة⁽¹⁾.
إلا أن يقال: المراد ملاحظة نسبة ما أكلته حواء إلى ما أكله آدم، فإنها نسبة واحد إلى اثنين.

2 - ما عن أبي عبد الله «عليه السلام»، من أن السبب: هو أن المرأة «ليس لها عاقلة، ولا نفقة، ولا جهاد، وعد أشياء غير ذلك. وهذا على الرجال»⁽²⁾.

3 - في نص آخر عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: «لما جعل لها من الصداق»⁽³⁾.

(1) علل الشرايع (ط سنة 1385 هـ) ج2 ص571 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل = البيت) ج26 ص96 و (ط دار الإسلامية) ج17 ص438 وتفسير نور الثقلين ج1 ص451 وتفسير كنز الدقائق ج2 ص378 وقصص الأنبياء للجزائري ص47.

(2) المحاسن للبرقي ج2 ص329 وعلل الشرايع ج2 ص570 و 571 وبحار الأنوار ج101 ص327 و تفسير نور الثقلين ج1 ص451 وتفسير كنز الدقائق ج2 ص377.

(3) علل الشرايع ج2 ص570 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص536 وغوالي اللآلي ج2 ص151 وبحار الأنوار ج101 ص327 وفقه القرآن للراوندي

4 - وعن الإمام الرضا «عليه السلام»: إن سبب ذلك «أن المرأة إذا تزوجت أخذت، والرجل يعطي، فلذلك وفر على الرجال».

وعلة أخرى في إعطاء الذكر مثلي ما تعطى الأنثى، لأن الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت، وعليه أن يعولها، وعليه نفقتها. وليس على المرأة أن تعول الرجل، ولا تؤخذ بنفقتها إن احتاج، فوفر على الرجل لذلك. وذلك قول الله تعالى: (الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ) (1).

عصا موسى:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن أول شجرة غرست في الأرض هي العوسجة. ومنها عصا موسى.

ولكن في مقابل ذلك، ما روي عن الامام الصادق «عليه السلام»، من إن عصا موسى قضيب من آس الجنة، أتاه بها جبرائيل

ج 2 ص 359.

(1) علل الشرايع ج 2 ص 570 وعيون أخبار الرضا ج 1 ص 105 ومن لا يحضره الفقيه ج 4 ص 350 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 26 ص 95 و (ط دار الإسلامية) ج 17 ص 437 وبحار الأنوار ج 6 ص 103 وج 101 ص 326 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج 2 ص 424 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج 1 ص 352 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 477 وتفسير الميزان ج 4 ص 222 وحياة الإمام الرضا للقرشي ج 1 ص 304 وج 2 ص 58.

لما توجه تلقاء مدين(1).

أول شجرة نبتت في الأرض:

وذكرت الرواية المتقدمة أيضاً: أن أول شجرة نبتت في الأرض هي الدبا، وهي القرع..
وينافي هذا:

1 - ما روي عن الثمالي، عن أبي جعفر «عليه السلام»: أول شجرة نبتت على وجه الأرض النخلة(2).

(1) الغيبة للنعماني ص 125 و (ط سنة 1422 هـ) ص 243 وبحار الأنوار ج 13 ص 22 و 78 وج 52 ص 351 ومجمع البيان ج 7 ص 239 - 253 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 4 ص 323 وج 7 ص 432 وتفسير الميزان ج 8 ص 219 = = ومستدرک سفينة البحار ج 7 ص 265 وتفسير نور الثقلين ج 4 ص 120 ونفس الرحمن في فضائل سلمان للطبرسي ص 83 وراجع: تفسير البحر المحيط ج 1 ص 389 وتفسير الألوسي ج 1 ص 270 وج 20 ص 70.

(2) الأمالي للطوسي ج 1 ص 219 و (ط دار الثقافة) ص 215 وبحار الأنوار ج 12 ص 78 و 182 وج 62 ص 112 ومستدرک سفينة البحار ج 5 ص 364 وج 6 ص 286 وج 7 ص 111 وج 10 ص 228 وقصص الأنبياء للجزائري ص 166 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 12 ص 222 و (ط دار الإسلامية) ج 8 ص 556 ومستدرک الوسائل ج 16 ص 386 وجامع أحاديث الشيعة ج 15 ص 580.

2 - روى عامر بن واثلة أجوبة أمير المؤمنين «عليه السلام» لأحد يهود المدينة، وفيها قال «عليه السلام»:

«أما أول شجرة نبتت على وجه الأرض، فإن اليهود يزعمون أنها الزيتون، وكذبوا، ولكنها النخلة من العجوة نزل بها آدم «عليه السلام» معه من الجنة، فأصل النخل كله من العجوة.

قال له اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت (1).

وقريب من هذا الحديث روي عن الامام الصادق عن أمير المؤمنين «عليهما السلام» (2).

إلا إن كان المراد: أن القرع أول ما نبت بنفسه من الأرض، أما

(1) كمال الدين ص 172 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص 295 و 296 وبحار الأنوار ج 10 ص 21 وج 36 ص 220 و 379 وج 57 ص 40 وخصائص الأئمة ص 89 ومستدرك الوسائل ج 16 ص 386 ومقتضب الأثر للجوهري ص 16 وكتاب الغيبة للنعماني ص 99 والإستبصار للكراجكي ص 15 وجامع أحاديث الشيعة ج 23 ص 385 وإعلام الوري ج 2 ص 170 وتقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص 423.

(2) عيون أخبار الرضا ص 31 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 2 ص 56 و 57 وبحار الأنوار ج 10 ص 9 و 10 والخصال ج 2 ص 77 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص 476 وكمال الدين ص 175 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص 301 و 302 والاحتجاج ص 120 و (ط دار النعمان) ج 1 ص 336 و 337 وغاية المرام ج 1 ص 217.

النخلة، فنبتت أولاً في الجنة، ثم نقلت إلى الأرض.

يوسف أكرم الناس نسباً:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن يوسف «عليه السلام» أكرم الناس نسباً.

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

1 - ورد في نص الزيارة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أكرم العالمين حسباً، وأفضلهم نسباً» (1).

وزيارة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهذه الصيغة تدل على الأقل على أن ذلك كان معروفاً ومتداولاً عند الشيعة، من دون ظهور اعتراض أو نكير من أحد منهم، ولا سيما مع إشاعته بين الناس حتى في الزيارات.

2 - وفي خطبة لأmir المؤمنين «عليه السلام» قال عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أكرم خلق الله حسباً، وأشرفهم نسباً» (2).

3 - وقال ثابت بن قيس في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»: واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمه نسباً، وأصدقه

(1) بحار الأنوار ج 97 ص 176 والمزار الكبير لابن المشهدي ص 63.

(2) بحار الأنوار ج 32 ص 14 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج 1 ص 297

ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج 2 ص 11 و 272.

حديثاً(1).

وقد قرر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ما قال، ولم يعترض عليه بشيء.

ويتأكد لدينا هذا الشرف العظيم، والنسب الكريم إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما دل على أن جميع آبائه «صلى الله عليه وآله» إلى آدم «عليه السلام» كانوا أنبياء(2).

-
- (1) بحار الأنوار ج 17 ص 21 ومجمع البيان ج 9 ص 129 - 131 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج 9 ص 216 وتاريخ مدينة دمشق ج 10 ص 272 وج 40 ص 360 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 2 ص 676 والبداية والنهاية ج 5 ص 51 والسيرة النبوية لابن هشام ج 4 ص 987 والسيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 80 وسبل الهدى والرشاد ج 6 ص 288 .
- (2) بحار الأنوار ج 16 ص 374 وتفسير فرات (ط سنة 1410 هـ ق) ص 304 متناً وهامشاً، وتفسير القمي ج 2 ص 125 وتأويل الآيات ج 1 ص 396 ومجمع البيان ج 7 ص 323 و 324 والبرهان في تفسير القرآن (ط سنة 1417 هـ ق) ج 4 ص 191 - 193 واختيار معرفة الرجال ج 2 ص 488 وزاد المسير لابن الجوزي ج 6 ص 54 وتفسير ابن أبي حاتم ج 9 ص 2828 وتفسير السلمي ج 2 ص 83 وتفسير الثعلبي ج 7 ص 184 وتفسير البغوي ج 3 ص 402 والدر المنثور ج 5 ص 98 وتاريخ مدينة دمشق ج 3 ص 402 وسبل الهدى والرشاد ج 1 ص 235 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 1 ص 47 ومجمع الزوائد ج 7 ص 86 وتفسير السمعاني ج 4 ص 71 وتفسير القرآن العظيم ج 3 ص 365 .

وقد روي ذلك عن أبي جعفر الباقر والإمام الصادق، والكاظم «عليهم السلام»، وعن النبي «صلى الله عليه وآله».

أكرم وادٍ على وجه الأرض:

ونذكرت الرواية المتقدمة: أن أكرم وادٍ على وجه الأرض وادي سرنديب التي سقط آدم من السماء فيها.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

1 - إن سرنديب ليس وادياً، وإنما هو جزيرة، يقال: إن طولها فرسخ في مثله. وفيها جبل يرى من مسيرة أيام كثيرة..

2 - لماذا لا يكون وادي مكة، أو منى، أو وادي طوى أفضل وأكرم من وادي سرنديب، فقد وردت الروايات الكثيرة في فضل هذين الواديين، مثل:

ألف: عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال لمكة: «ما أطيبك من بلدة وأحبك إليّ الخ..» (1).

ومن الواضح: أن أحب البقاع إلى رسول الله «صلى الله عليه

(1) الدر المنثور ج 1 ص 123 وبحار الأنوار ج 57 ص 329 ومستدرك سفينة البحار ج 9 ص 411 والمستدرك للحاكم ج 1 ص 486 وصحيح ابن حبان ج 9 ص 23 ومعجم البلدان ج 2 ص 255 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 2 ص 196.

وآله» أشرفها، وأكرمها..

وإذا كان للموضع الذي هبط فيه آدم شرف وكرامة، فإن لموضع ولادة الرسول، ونشأته، وموضع ولادة وصيه علي شرف أعلى، وكرامة أعظم. وإنما حصلت مكة على هذا الشرف، ونالت هذه الكرامة.

ب: وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» حتى لما أراد أن ينطلق إلى المدينة التفت إلى البيت فقال: «إني لأعلم ما وضع الله في الأرض بيتاً أحب إليّ منك، وما في الأرض بلد أحب إليه منك الخ..»(1).

ولو كانت جزيرة سرانديب أكرم واد على وجه الأرض لكانت أحب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من سائر البقاع.

ج: عن الامام الصادق «عليه السلام»: شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله في القرآن هو الفرات، والبقعة المباركة هي كربلاء(2).

-
- (1) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج 2 ص 196 والدر المنثور ج 1 ص 123 وبحار الأنوار ج 57 ص 229 ومستدرك سفينة البحار ج 9 ص 411.
- (2) تهذيب الأحكام (ط دار الكتب الإسلامية) ج 6 ص 38 وبحار الأنوار ج 57 ص 202 و 203 عنه. وراجع: ج 13 ص 49 و 136 و 137 و ج 97 ص 229 وكامل الزيارات ص 48 و 49 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص 109 والمزار لابن المشهدي ص 115 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 14 ص 405 و (ط دار الإسلامية) ج 10 ص 314 والتفسير

د: روى المفضل بن عمر، عن الامام الصادق «عليه السلام»: أن بقاع الأرض تفاخرت، ففخرت الكعبة على البقعة كربلاء. فأوحى الله اليها: أسكتي، ولا تفخري عليها، فإنها البقعة المباركة التي نودي منها موسى من الشجرة.. وإنها الربوة التي آوت اليها مريم والمسيح. وإن الدالية التي غسل فيها رأس الحسين «عليه السلام» فيها غسلت مريم عيسى «عليه السلام»، واغتسلت لولادتها(1). هـ: روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: ما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا قيل لروحه: الحقي بوادي السلام. وإنها لبقعة من جنة عدن(2).

الصافي ج4 ص89 وتفسير نور الثقلين ج4 ص127 ومستدرك الوسائل ج17 ص23 والمزار للشيخ المفيد ص15 وفضل الكوفة ومساجدها للمشهدي ص13 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج9 ص325 وقصص الأنبياء للجزائري ص281.

(1) بحار الأنوار ج14 ص240 وراجع: ج13 ص25 وج53 ص12 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص225 وج9 ص87 وقصص الأنبياء للجزائري ص461 ومختصر بصائر الدرجات ص186 والهداية الكبرى للخصيبي ص400.

(2) الكافي ج3 ص243 وبحار الأنوار ج6 ص268 وج41 ص223 وج58 ص51 وج97 ص234 والفصول المهمة للحر العاملي ج1 ص331

و: عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: إن الله اختار من الأرض جميعاً مكة، واختار من مكة بكة، فأُنزل في بكة سرادقاً من نور الخ..(1).

ز: وقال تعالى: (وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)(2).

وقال سبحانه: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا)(3).

وقال تعالى: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(4).

وقال عز وجل: (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)(5).
وآيات أخرى..

-
- ومستدرك سفينة البحار ج 4 ص 224 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج 12 ص 103 وتفسير نور الثقلين ج 3 ص 557.
- (1) تفسير العياشي ج 1 ص 39 والبرهان (تفسير) ج 1 ص 85 وبحار الأنوار ج 96 ص 63 ومستدرك الوسائل ج 9 ص 336 وجامع أحاديث الشيعة ج 10 ص 62 ومستدرك سفينة البحار ج 1 ص 393.
- (2) الآية 71 من سورة الأنبياء.
- (3) الآية 81 من سورة الأنبياء.
- (4) الآية 30 من سورة القصص.
- (5) الآية 16 من سورة النازعات.

ولم نجد أحداً فسر أياً من هذه الآيات وسواها بوادي سرنديب فراجع..

أين هبط آدم؟!!

وحول ما ذكر، من أن آدم قد هبط في وادي سرنديب نقول:
إن ذلك لا يصح بدليل:

1 - ما رواه القمي «رحمه الله» عن أبيه، رفعه، قال: سئل الصادق «عليه السلام».. إلى أن قال: فهبط آدم على الصفا. وإنما سميت الصفا لأن صفي الله أنزل عليها، ونزلت حواء على المروة، وإنما سميت المروة لأن المرأة أنزلت عليها(1). والروايات بذلك مستفيضة(2).

2 - عن عطاء عن أبي جعفر: أن آدم «عليه السلام» قال: فأهبطنا برحمتك إلى أحب البقاع إليك.

قال: فأوحى إلى جبرئيل أن أهبطهما إلى البلدة المباركة مكة.. ثم ذكر إلقاء آدم على الصفا وحواء على المروة، فراجع(3).

(1) تفسير القمي ج 1 ص 43 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 61 وتفسير الميزان ج 1 ص 139 والبرهان (تفسير) ج 1 ص 81 وبحار الأنوار ج 11 ص 161 و 162 .

(2) راجع: تفسير الميزان ج 1 ص 150.

(3) تفسير العياشي ج 1 ص 36 والبرهان (تفسير) ج 1 ص 84 ومستدرك

3 - وهناك رواية أخرى عن الإمام الصادق «عليه السلام» تذكر هبوط آدم على الصفا، لا في سرنديب(1).

4 - وفي رواية عن الباقر «عليه السلام» قال: ووضع آدم على الصفا وحواء على المروة(2).

الصلاة على ظهر الكعبة:

ذكرت الرواية المتقدمة: أنه لا تجوز الصلاة على ظهر الكعبة. ويؤيده ما ورد في حديث المناهي، قال: نهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الصلاة على ظهر الكعبة(3).

الوسائل ج 9 ص 344 وبحار الأنوار ج 11 ص 183 وجامع أحاديث الشيعة ج 10 ص 85.

(1) الكافي ج 4 ص 190 والبرهان (تفسير) ج 1 ص 86 وراجع: علل الشرائع ج 2 ص 425 و 426 ومختصر بصائر الدرجات ص 219 و 220 وبحار الأنوار ج 11 ص 161 و 194 و 211 وج 96 ص 217 وجامع أحاديث الشيعة ج 10 ص 423 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 213 وتفسير الميزان ج 1 ص 138.

(2) الكافي ج 4 ص 196 وعلل الشرائع ج 2 ص 421 وتفسير العياشي ج 1 ص 35 وتفسير القمي ج 1 ص 43 ومستدرك الوسائل ج 9 ص 322 ومستدرك الوسائل ج 9 ص 344 وبحار الأنوار ج 11 ص 182 و 208 وج 96 ص 70 وجامع أحاديث الشيعة ج 10 ص 11 و 13 و 85.

(3) راجع: من لا يحضره الفقيه ج 4 ص 5 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل

ورواية الإمام الرضا «عليه السلام» عن آبائه عن علي «عليه السلام» قال: وسأله عن أظهر موضع على وجه الأرض لا تحل الصلاة فيه.

فقال له: ظهر الكعبة (1).

ولكن هناك رواية عن الإمام الرضا «عليه السلام»، في الذي تدركه الصلاة وهو على ظهر الكعبة قال:

إن قام لم يكن له قبلة. ولكن يستلقي على قفاه، ويفتح عينيه إلى السماء، ويعقد بقلبه القبلة التي في السماء: البيت المعمور، ويقرأ. فإذا أراد أن يركع غمض عينيه. وإذا أراد أن يرفع رأسه من الركوع فتح عينيه. والسجود على نحو ذلك (2).

وقد ادعى الشيخ «رحمه الله» الإجماع على مضمون هذا

(البيت) ج 4 ص 340 و (ط دار الإسلامية) ج 3 ص 248 باب حكم الصلاة على سطح الكعبة. وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج 2 ص 329 باب النهي عن الصلاة على ظهر الكعبة. وراجع: تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج 1 ص 124 وفتح العزيز للرافعي ج 3 ص 221.

(1) راجع: عيون أخبار الرضا ج 2 ص 221 ومسنَد الإمام الرضا للعطاردي ج 2 ص 486.

(2) الكافي ج 3 ص 392 وتهذيب الأحكام ج 2 ص 376 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 4 ص 340 و (ط دار الإسلامية) ج 3 ص 248 وغوالي اللآلي ج 3 ص 72 وجامع أحاديث الشيعة ج 4 ص 585.

الحديث (1).

وقد توقف فيه جماعة من المتأخرين، لأنه ينافي وجوب القيام والركوع والسجود، وحكموا: بأن المصلي على ظهر الكعبة يبرز بين يديه شيئاً منها، ويصلي إليه (2).

وقال الحر العاملي: يمكن حمله (أي حمل حديث الإمام الرضا «عليه السلام») على النافلة، أو على العجز عن القيام، أو على الضرورة.. (3).

كسر رباعية الرسول الأكرم ﷺ:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن رباعية رسول الله «صلى الله عليه وآله» كسرت، وشج وجهه يوم الأربعاء.

ونحن لا نريد الخوض في تحديد اليوم الذي شج فيه وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكننا نقول:

ورد في الروايات خلاف ما ذكر هنا، فقد سأل الصباح بن سيابة الإمام الصادق «عليه السلام»: كسرت رباعيته كما يقول هؤلاء؟!!

(1) الخلاف ج 1 ص 441.

(2) راجع: القواعد للعلامة ج 1 ص 26 والشرائع ج 1 ص 65 والذكرى ص 161 ومفتاح الكرامة ج 2 ص 82.

(3) وسائل الشيعة (ط آل البيت) ج 4 ص 340 و (ط الإسلامية) ج 3 ص 248.

قال: لا والله، ما قبضه الله إلا سليماً، ولكنه شج في وجهه(1).

هاجر تجر ذيلها:

وبعد.. فإن الرواية المتقدمة نسبت إلى هاجر زوجة إبراهيم: أنها جرّت ذيلها حين تخلصت من سارة التي كانت تؤذيها..

ونحن لم نرَ في حياة هاجر ما يدل على أنها من النوع الذي يتجرأ على ما لا يرضي الله تبارك وتعالى، بل كانت مثال المرأة الصالحة التي تلد لإبراهيم أفضل أولاده، هو إسماعيل النبي «الذبيح»، فما معنى: أن تنسب إليها الرواية المتقدمة الإقدام على أمر لا يحبه الله بل يبغضه، وهو جرُّ الذيل الذي أكدت الروايات على ذمه، وبينت مبعوضيته لله تعالى؟! (2).

بل هذه الرواية تمعن في تجسيد قباحة هذا الأمر وشناعته، حين ذكرت: أنه لم يسبقها إلى جر الذيل أحد من النساء، ولا سيما بعد مقارنتها بقارون، وأنه كان أول من جر ذيله من الرجال قارون، الذي خسف الله به وبداره الأرض، خلد الله ذمه في القرآن الكريم..

فهل أريد بذلك التشويش على هاجر، لأنها أم إسماعيل، ثم تنزيه

(1) إعلام الوری ج 1 ص 179 وبحار الأنوار ج 20 ص 96.

(2) راجع: وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 5 ص 41 ووسائل الشيعة

(ط = دار الإسلامية) ج 3 ص 367 باب كراهة إسبال الثوب، وتجاوزه

الكعبيين للرجل ومستدرك الوسائل 3 ص 262 نفس الباب.

سارة التي هي أم إسحاق، وكان اليهود يهتمون بتعظيمه وتقديمه على
إسماعيل؟!!

وحسبنا ما ذكرناه حول هذه الرواية، فإنه يكفي لوضع علامة
استفهام كبيرة حول صحتها، ويؤكد عدم إمكان الاعتماد عليها..

الفصل الثاني:

ابن الكواء وعلي عليه السلام..

ابن الكواء: هل كلم الله جميع خلقه؟!:

روى الرضي بإسناد مرفوع إلى الأصبع قال، سأل ابن الكواء أمير المؤمنين - وكان متعنتاً في المسائل - فقال: يا أمير المؤمنين، خبرني عن الله عز وجل، هل كلم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟! فقال: قد كلم الله جميع خلقه برهم وفاجرهم، وردوا عليه الجواب.

قال: فتقل ذلك على ابن الكواء، ولم يعرفه، فقال: وكيف كان ذلك؟!:

قال: أوما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبينا: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى..؟! فقد أسمعهم كلامه، وردوا عليه الجواب. كما تسمع في قول الله يا بن الكواء: (قَالُوا بَلَى..)(1)، وقال لهم: (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

(1) الآية 173 من سورة الأعراف.

أنا.. (1)، وأنا (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ). فأقروا له بالطاعة والربوبية.. (2).
ونقول:

طرح المسائل المشكلة على علي عليه السلام:

إن مواجهة أمير المؤمنين «عليه السلام» بالمسائل المشكلة من مختلف الفئات كانت هي السمة الطاغية على حياته «صلوات الله وسلامه عليه»..

كما أن الكثيرين من هؤلاء السائلين كانت نواياهم تتجه إلى إحراجه ولو بمقدار أن يتردد ولو في مسألة واحدة، طيلة عمره، لأنهم يريدون إسقاط معنى الإمامة فيه.

ولا يمكن استثناء ابن الكوا الخارجي الذي كان يحرص كل الحرص على هذا الأمر، ولم يزل يبذل المحاولة تلو الأخرى عله يظفر به.

(1) الآية 14 من سورة طه.

(2) خصائص الأئمة ص 87 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط = = مؤسسة الأعلمي) ص 102 عنه، وبحار الأنوار ج 5 ص 258 وج 40 ص 284 و 285 وج 64 ص 101 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج 11 ص 191 وتفسير العياشي ج 2 ص 41 وتفسير نور الثقلين ج 2 ص 99 وتفسير الميزان ج 8 ص 324 وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص 219.

حيرة ابن الكوا:

لقد فوجئ عبد الله ابن الكوا بجواب أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد كان يظن: أن الله تعالى لا يكلم إلا الأنبياء. وإذ به يسمع: أنه تعالى ليس فقط يمكن أن يكلم غير الأنبياء، بل هو قد كَلَّمَ بالفعل شرار خلقه وخيارهم على حد سواء. وأنهم قد ردوا عليه الجواب..

وكان الأشد على قلب ابن الكوا: أن يكون الجواب مذكوراً في القرآن بصورة صريحة ولا يتنبه له.

المضمون العام للآية:

إن الروايات التي شرحت الآية قد بينت: أن الله تعالى قد أخذ من بني آدم ذريتهم من ظهورهم - وكان ذلك في عالم الذر - وأشهدهم على ألوهيته، وعلى نبوة نبينا محمد «صلى الله عليه وآله»، وولاية مولانا أمير المؤمنين علي «عليه السلام».

وقد شهدوا بذلك. وأخذ الله عليهم الميثاق به. وأشهد الملائكة على قبولهم لهذا الميثاق.

وقد صرحت الآية المباركة أيضاً: بأنهم سيعتذرون يوم القيامة: بأنهم قد نسوا ميثاقهم في دار الدنيا، وعملوا بخلافه.

وقد توهم بعضهم: أن الآية تدل على أن الإنسان قد اختار أعماله في عالم الذر فهو يطبق في الدنيا ما اختاره في ذلك العالم.

وهو كلام غير دقيق، فإننا لا نرى أن الآية والروايات قد دلت

على شيء من ذلك.

عالم الذر.. والإشهاد:

ويمكن تلخيص الكلام في الآية بما يلي:

إن الإنسان يمر في عوالم مختلفة في حالاتها، وأحكامها، ونظامها. فهناك الحياة الآخرة، وحياة البرزخ، والحياة في هذه الدنيا. وهناك الحياة في الخزائن الإلهية التي لا حد لها. وإنما يتحدد الإنسان وغيره من المخلوقات ويُقدَّر بعد خروجه من الخزائن. ونزوله إلى الدنيا.

كما أن إخراج الله للإنسان من الخزائن، وإيجاده في الدنيا، يكون بإفاضة دفعية، بكلمة «كن»، فيأخذ أحكام الدنيا في تدرجه وفي حالاته وتلحقه أحكامها، ويخضع لنظمها. ويتكامل تدريجاً، إلى أن يحين نقله إلى العالم الآخر وهو عالم البرزخ، فتتبدل حالاته بما يتناسب مع أحوال عالمه الجديد، ويخضع لنظمه، وتلحقه أحكامه. إلى أن ينتهي إلى عالم الآخرة. وكل ذلك يكون بصورة تدريجية.

ولكن للإنسان من جهة أخرى وجه آخر، وهو حضوره لدى الله تعالى في خزائنه. وهو عالم آخر لهذا الإنسان غير عالم الدنيا. له أيضاً نظمه وأحكامه، فهو حضور دائم بين يدي الله، لا يعرض له التدرج، ولا الانتقال من حالة إلى أخرى، ولا يخضع في حضوره هذا لعوارض الزمان. وهذا هو عالم الملكوت، الذي أراه الله تعالى لإبراهيم في قوله: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَلْيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِنِينَ (1).

فإذا كان الوجه الدنيوي - كما يقول العلامة الطباطبائي - الذي نشاهده نحن من العالم الإنساني يفرق بين الآحاد، ويشتت الأحوال والأعمال، ويفرقها على قطعات الزمان، ويحجب الإنسان عن ربه. ويشغله بالماديات واللذائذ، فإن هذا التفرق والتشتت والتوزع في الزمان، والحجب عن الله، لا يقع في النشأة الأولى في الخزائن، فإنها اتصال دائم به تعالى، ولا يلحقه فيها أي من القذارات والتلوثات، التي هي من أحكام نشأة الدنيا..

ولذلك تقول الآية المباركة: إن هناك نشأة سابقة، أشهد الله فيها أفراد البشر على أنفسهم، فشهدوا له بالألوهية والربوبية وبغير ذلك مما قدمناه.

علي عليه السلام لابن الكواء: سل عما يعنيك:

عن صفوة الأخبار قال: قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: أخبرني عن بصير بالليل بصير بالنهار.

وعن بصير بالنهار أعمى بالليل.

وعن بصير بالليل أعمى بالنهار.

فقال «عليه السلام» له: [ويلك] سل عما يعنيك ودع ما لا

(1) الآية 75 من سورة الأنعام.

يعنيك.

[ويلك] أما بصير الليل بصير النهار، فهذا رجل آمن بالرسول [والأوصياء] الذين مضوا [وبالكتاب والنبیین، وآمن بالله]، وأدرك النبي فآمن به، [وأقر لي بالولاية]، فأبصر في ليله ونهاره.

[وأما أعمى بالليل أعمى بالنهار، فرجل: جدد الأنبياء والأوصياء، والكتب التي مضت، وأدرك النبي «صلى الله عليه وآله» فلم يؤمن به، ولم يقر بولايتي، فجدد الله عز وجل ونبيه «صلى الله عليه وآله» فعمي بالليل وعمي بالنهار].

وأما أعمى بالليل بصير بالنهار، فرجل: جدد الأنبياء الذين مضوا، [والأوصياء] والكتب⁽¹⁾. وأدرك النبي فآمن به، [فآمن بالله وبرسوله محمد «صلى الله عليه وآله»، وآمن بإمامتي وقبل ولايتي، فعمي بالليل وأبصر بالنهار] فعمي بالليل وأبصر بالنهار.

وأما أعمى بالنهار بصير بالليل، فرجل: آمن بالأنبياء والكتب، وجدد بالنبي [وولايتي، وأنكرني حقي] ، فأبصر بالليل وأعمى بالنهار⁽²⁾.

(1) أي وجدد الكتب.

(2) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي - الطبعة العاشرة) ص 104 و 105 والإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 543 و 544 و (ط دار النعمان) ج 1 ص 339 وبحار الأنوار ج 40 ص 283 عن كتاب صفوة الأخبار، وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين

ما بين المعقوفات أخذناه من كتاب الاحتجاج للطبرسي. وزاد على الرواية المتقدمة قوله: ويلك يا بن الكواء، فنحن بنو أبي طالب بنا فتح الله الإسلام وبنا يختمه.

قال الأصبغ: فلما نزل أمير المؤمنين «عليه السلام» من المنبر تبعته، فقلت: يا سيدي يا أمير المؤمنين، قويت قلبي بما بينت.

فقال لي: يا أصبغ، من شك في ولايتي فقد شك في إيمانه، ومن أقر بولايتي فقد أقر بولاية الله عز وجل، ولايتي متصلة: بولاية الله كهاتين - وجمع بين إصبغيه -.

يا أصبغ، من أقر بولايتي فقد فاز، ومن أنكر ولايتي فقد خاب وخسر، وهوى في النار، ومن دخل في النار لبث فيها أحقاباً⁽¹⁾.
ونقول:

قال المحقق التستري «رحمه الله»:

قلت: مصداق قوله «عليه السلام» في الجواب عن السؤال الأول من البصير بالليل والنهار: صرمة بن أبي أنس، من بني النجار من الأنصار، فإنه فارق الأوثان في الجاهلية وقال: أعبد رب إبراهيم.

ص208. وكتاب التوحيد للصدوق ص281 وتفسير فرات ص46 وتفسير

القمي ج2 ص106 وتأويل الآيات ج1 ص365.

(1) راجع: الاحتجاج للطبرسي ج1 ص543 و 544 و (ط دار النعمان) ج1

ص338 - 340 وبحار الأنوار ج10 ص83 عنه.

ولما قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة أسلم وحسن إسلامه، وهو القائل في الجاهلية في الله تعالى:

سبحوا الله شروق كل صباح طلعت شمسُه وكل هلال

وفي الإسلام وفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة بمكة لا يلقي صديقاً مواتياً
ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يوفي ولم ير
داعياً

فلما أتانا أظهر الله دينه وأصبح مسروراً بطيبة
راضياً

وعن السؤال الثاني من الأعمى بالليل والبصير بالنهار: أكثر الصحابة.

وعن السؤال الثالث من البصير بالليل والأعمى بالنهار: أمية بن أبي الصلت، فإنه كان في الجاهلية قرأ الكتب، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر: بأن نبياً يبعث قد أظل زمانه، فلما سمع بخروج النبي كفر حسداً له.

ولما أنشد النبي شعره قال «صلى الله عليه وآله»: آمن لسانه وكفر قلبه(1).

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي)
ص 105 وتفسير السمرقندي ج 1 ص 580 والمعارف لابن قتيبة ص 60

أسئلة ابن الكواء الخارجي:

وسأله ابن الكواء علياً «عليه السلام»: كم بين السماء والأرض؟!

فقال «عليه السلام»: دعوة مستجابة.

قال: وما طعم الماء؟!

قال: طعم الحياة.

وقالوا: وكم بين المشرق والمغرب؟!

فقال «عليه السلام»: مسيرة يوم الشمس.

قال: وما أخوان ولدا في يوم واحد، وماتا في يوم واحد، وعمر أحدهما خمسون ومائة سنة، وعمر الآخر خمسون سنة؟!

فقال «عليه السلام»: ولد عزيز وعزرة أخوة، لأن عزيزاً أماته الله مائة عام ثم بعثه.

وسأله عن بقعة ما طلعت عليها الشمس إلا لحظة واحدة؟!

فقال: ذلك البحر الذي فلقه الله لبني إسرائيل.

وعن إنسان يأكل ويشرب ولا يتغوط؟!

قال «عليه السلام»: ذلك الجنين.

وعن شيء شرب وهو حي، وأكل وهو ميت؟!

فقال: ذلك عصا موسى شربت وهي في شجرتها غضة، وأكلت لما التفتت حبال السحرة وعصيتهم.

وعن بقعة علت على الماء في أيام الطوفان؟!!

فقال «عليه السلام»: ذاك موضع الكعبة، لأنها كانت ربوة.

وعن مكذوب عليه ليس من الجن ولا من الإنس؟!!

فقال: ذلك الذئب، إذ كذب عليه إخوة يوسف.

وعن من أوحى إليه، لا من الجن، ولا من الإنس؟!!

فقال: (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) (1).

وعن أظهر بقعة على وجه الأرض، لا تجوز الصلاة عليها؟!!

فقال: ذلك ظهر الكعبة.

وعن رسول ليس من الجن ولا الإنس، والملائكة والشیاطین؟!!

فقال: الهدهد، اذهب بكتابي هذا؟!!

وعن مبعوث ليس من الجن، والإنس، والملائكة،

والشیاطین؟!!

فقال «عليه السلام»: ذلك الغراب، (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا) (2).

وعن نفس في نفس ليس بينهما قرابة ولا رحم؟!!

(1) الآية 68 من سورة النحل.

(2) الآية 31 من سورة المائدة.

فقال «عليه السلام»: ذلك يونس النبي في بطن الحوت.

قال: ومتى القيامة؟!!

قال: عند حضور المنية وبلوغ الأجل.

قال: وما عصا موسى؟!!

فقال «عليه السلام»: كان يقال لها: الإربية، وكان [نت] من عوسج، طولها سبعة أذرع بذراع موسى، وكانت من الجنة، أنزلها جبرائيل «عليه السلام» على شعيب «عليه السلام»⁽¹⁾.

ابن الكواء يسأل علياً عليه السلام:

1 - وعن الأصبع بن نباتة قال: خطبنا أمير المؤمنين «عليه السلام» على منبر الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، سلوني، فإن بين جوانحي علماً جماً. فقام إليه ابن الكواء، فقال: يا أمير المؤمنين، ما الذاريات ذرواً؟!!

قال: الرياح.

قال: فما الحملات وقرأ؟!!

قال: السحاب.

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب ج2 ص383 و 384 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص203 و 204 وبحار الأنوار ج10 ص84 - 86.

قال: فما الجاريات يسراً؟!!

قال: السفن.

قال: فما المقسمات أمراً.

قال: الملائكة.

قال: يا أمير المؤمنين، وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً.

قال: ثكلتك أمك يا ابن الكواء، كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً، فسل عما بدا لك.

قال: يا أمير المؤمنين سمعته يقول: (بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) (1).

وقال في آية أخرى: (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) (2).

وقال في آية أخرى: (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) (3).

قال: ثكلتك أمك يا بن الكواء، هذا المشرق، وهذا المغرب.

وأما قوله: (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ)، فإن مشرق الشتاء على حدة، ومشرق الصيف على حدة. أما تعرف ذلك من قرب الشمس وبعدها؟

وأما قوله: (بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ)، فإن لها ثلاثمائة وستين

(1) الآية 40 من سورة المعارج.

(2) الآية 17 من سورة الرحمن.

(3) الآية 9 من سورة المزمل.

برجاً، تطلع كل يوم من برج، وتغيب في آخر، فلا تعود إليه إلا من قابل في ذلك اليوم.

قال: يا أمير المؤمنين، كم بين موضع قدمك إلى عرش ربك؟!!

قال: تكلتك أمك يا بن الكواء سل متعلماً، ولا تسأل متعنّاً. من موضع قدمي إلى عرش ربي أن يقول قائل مخلصاً: «لا إله إلا الله».

قال: يا أمير المؤمنين، فما ثواب من قال: لا إله إلا الله؟!!

قال: من قال لا إله إلا الله مخلصاً طمست ذنوبه، كما يطمس الحرف الأسود من الرق الأبيض.

فإن قال ثانية: لا إله إلا الله مخلصاً خرقت أبواب السماوات وصفوف الملائكة حتى يقول الملائكة بعضها لبعض: اخشعوا لعظمة الله.

فإذا قال ثالثة: لا إله إلا الله مخلصاً، لم تنته دون العرش، فيقول الجليل: «اسكني، فوعزتي وجلالي لأغفرن لقائلك بما كان فيه».

ثم تلا هذه الآية: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (1).

يعني: إذا كان عمله صالحاً ارتفع قوله وكلامه.

قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن قوس قزح.

قال: تكلتك أمك، لا تقل: قوس قزح، فإن قزحاً اسم شيطان،

(1) الآية 10 من سورة فاطر.

ولكن قل: قوس الله، إذا بدت يبدو الخصب والريف.

قال: أخبرني يا أمير المؤمنين عن المجرة التي تكون في السماء.

قال: هي شرج في السماء، وأمان لأهل الأرض من الغرق، ومنه أغرق الله قوم نوح بماء منهمر.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن المحو الذي يكون في القمر.

قال «عليه السلام»: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، رجل أعمى يسأل عن مسألة عمياء، أما سمعت الله تعالى يقول: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) (1).

قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: عن أي أصحاب رسول الله تسألني؟!

قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن أبي ذر الغفاري.

قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر».

قال: يا أمير المؤمنين، فأخبرني عن سلمان الفارسي.

قال: بخ بخ سلمان منا أهل البيت، ومن لكم بمثل لقمان الحكيم، علم علم الأول والآخر.

(1) الآية 12 من سورة الإسراء.

قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن حذيفة بن اليمان.

قال: ذاك امرء علم أسماء المنافقين، إن تسألوه عن حدود الله تجدوه بها عارفاً عالماً.

قال: يا أمير المؤمنين، فأخبرني عن عمار بن ياسر.

قال: ذاك امرؤ حرم الله لحمه ودمه على النار: أن تمس شيئاً منها.

قال: يا أمير المؤمنين، فأخبرني عن نفسك.

قال: كنت إذا سألت أعطيت، وإذا سكت ابتدئت.

قال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن قول الله عز وجل: (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (1).

قال: كفره أهل الكتاب، اليهود والنصارى، وقد كانوا على الحق، فابتدعوا في أديانهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ثم نزل عن المنبر، وضرب بيده على منكب ابن الكواء. ثم قال: يا بن الكواء، وما أهل النهروان منهم ببعيد.

فقال: يا أمير المؤمنين، ما أريد غيرك، ولا أسأل سواك.

قال: فرأينا ابن الكواء يوم النهروان، فقليل له: ثكلتك أمك،

(1) الآيتان 103 و 104 من سورة الكهف.

بالأمس تسأل أمير المؤمنين عما سألته، وأنت اليوم تقاتله؟! فرأينا رجلاً حمل عليه فطعنه، فقتله (1).

2 - روى هذا الخبر إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات بأسانيده عن أبي عمرو الكندي، وابن جريح وغيرهما. وزاد فيه:

قال: فما معنى السماء ذات الحبك؟!!

قال: ذات الخلق الحسن.

قال: فكم بين المشرق والمغرب؟!!

قال: مسيرة يوم للشمس، تطلع من مطلعها فتأتي مغربها، من حدثك غير ذلك كذبك.

فسأله: من الذين بدلوا نعمة الله كفراً؟!!

فقال: دعهم لغيهم هم قريش.

قال: فما ذو القرنين؟!!

قال: رجل بعثه الله إلى قومه فكذبوه وضربوه على قرنه فمات، ثم أحياه الله، فبعثه إلى قومه، فكذبوه، وضربوه على قرنه فمات، ثم

(1) الإحتجاج ج 1 ص 612 - 617 و (ط دار النعمان) ج 1 ص 385 - 388 وبحار الأنوار ج 10 ص 121 - 123 وراجع ج 22 ص 329 و ج 56 ص 327 و ج 55 ص 90 و 159 وراجع: التبيان ج 9 ص 378 وتفسير العياشي ج 2 ص 283 والغارات ج 1 ص 177 وتفسير القمي ج 2 ص 337 ونفس الرحمن للنوري ص 213.

أحياء الله، فهو ذو القرنين.

[وحسب نص الطبرسي «رحمه الله» أنه قال: أخبرني عن ذي القرنين أنبياً كان أم ملكاً؟! وأخبرني عن قرنيه أمن ذهب كان أم من فضة؟!]

فقال: لم يكن نبياً، ولا ملكاً، ولم يكن قرناه من ذهب ولا فضة، ولكنه كان عبداً أحب الله فأحبه الله، ونصح الله فنصح الله له، وإنما سمي «ذا القرنين»، لأنه دعا قومه إلى الله عز وجل فضربوه على قرنيه، فغاب عنهم حيناً ثم عاد إليهم فضرب على قرنيه الآخرة وفيكم مثله⁽¹⁾.

ثم قال: وفيكم مثله.

(1) الإحتجاج ج 1 ص 545 و (ط دار النعمان) ج 1 ص 340 وعلل الشرائع ج 1 ص 39 وكمال الدين ج 2 ص 393 وبحار الأنوار ج 12 ص 180 وج 39 ص 39 وشجرة طوبى ج 1 ص 183 وتفسير الميزان ج 13 ص 374 وتفسير نور الثقلين ج 3 ص 294 والإيقاظ من الهجعة للحر العاملي ص 166 و 297 والغارات للثقفى ج 2 ص 740 ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص 148 والدر المنثور ج 4 ص 241 وكنز العمال (مؤسسة الرسالة) ج 2 ص 456 ومعاني القرآن ج 4 ص 283 وفتح القدير ج 3 ص 309 و 310 وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج 7 ص 468 وتفسير البغوي ج 3 ص 178 وتفسير الألوسي ج 16 ص 30 وسبل الهدى والرشاد ج 2 ص 348 .

وقال: أي خلق الله أشد؟!!

قال: إن أشد خلق الله عشرة: الجبال الرواسي، والحديد تتحت به الجبال، والنار تأكل الحديد، والماء يطفئ النار، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء، والرياح تقل السحاب، والإنسان يغلب الريح يتقيها بيديه ويذهب لحاجته، والسكر يغلب الإنسان، والنوم يغلب السكر، والهم يغلب النوم، فأشد خلق ربك الهم (1).

3 - عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي «عليه السلام» قال: سلوني عن كتاب الله (عز وجل)، فوالله ما نزلت آية منه في ليل أو نهار، ولا مسير ولا مقام إلا وقد أقرأنها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلمني تأويلها.

فقال ابن الكواء: يا أمير المؤمنين، فما كان ينزل عليه وأنت غائب عنه؟!!

قال: كان يحفظ علي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما كان

(1) الغارات ج 1 ص 177 - 183 وبحار الأنوار ج 10 ص 124 و 125 وج 57 ص 200 وراجع ج 40 ص 284 عن صفوة الأخبار، وج 12 ص 180 وتفسير القمي ج 2 ص 339 ونفس الرحمن للنوري ص 213. وراجع: مجمع الزوائد ج 8 ص 132 والمعجم الأوسط ج 1 ص 276 وكنز العمال ج 6 ص 177 والدر المنثور ج 1 ص 166 وتاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 401. وراجع: الإحتجاج ج 1 ص 545 و (ط دار النعمان) ج 1 ص 340 وعلل الشرائع ج 1 ص 39 وكمال الدين ج 2 ص 393.

ينزل عليه من القرآن وأنا عنه غائب، حتى أقدم عليه فيقرئني، ويقول لي:

يا علي، أنزل الله علي بعدك كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا، فيعلمني تأويله وتنزيله(1).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

إشكالات في تاريخ الحادثة:

يبدو: أن هذه القضية المشار إليها في الرواية الأولى قد جرت في أوائل خلافته «عليه السلام»، فإن فيها ذكر حذيفة بن اليمان، وقول أمير المؤمنين «عليه السلام» للناس: إن تسألوه عن حدود الله، تجدوه بها عارفاً عالماً، يدل على أنه كان لا يزال حياً إلى هذا الوقت. فإذا كان هذا الحوار قد جرى في مسجد الكوفة، فذلك يعني أن حذيفة قد عاش إلى حين انتقال علي «عليه السلام» من المدينة إليها،

(1) الأُمالي للطوسي (ط سنة 1414هـ) ص 523 و (ط أخرى) ج 2 ص 136 والإحتجاج ج 1 ص 617 و 618 و (ط دار النعمان) ج 1 ص 388 وبحار الأنوار ج 10 ص 125 وج 40 ص 186 وج 89 ص 78 وغاية المرام ج 5 ص 280 ومسند الإمام الرضا ج 1 ص 124. وكتاب سليم بن قيس ص 175 و (وتحقيق باقر الأنصاري - مجلد واحد) ص 331 ونهج السعادة ج 2 ص 676.

وذلك إنما حصل بعد أشهر من خلافته..

فيتناقض على قولهم: إن حذيفة «رحمه الله» قد توفي بعد البيعة لعلي «عليه السلام» بالخلافة بأربعين يوماً⁽¹⁾.

إلا إن قلنا: إن قوله «عليه السلام»: «إن تسألوه عن حدود الله تجدوه عارفاً عالماً» قد جاء على نحو القضية الحقيقية، لا الخارجية. **وقلنا:** إن الحديث عن تاريخ وفاته غير دقيق.

(1) رجال الشيخ الطوسي (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص 35 وقاموس الرجال = ج 3 ص 141 و 143 عنه، ورجال ابن داود ص 70 ونقد الرجال للتفرشي ج 1 ص 408 وجامع الرواة للأردبيلي ج 1 ص 182 والدرجات الرفيعة ص 288 والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج 2 ص 176 وطرائف المقال ج 2 ص 80 و 134 ومروج الذهب ج 2 ص 383 والفصول المهمة لابن الصباغ ج 1 ص 39 والكنى والألقاب ج 2 ص 236 وراجع: المستدرک للحاكم ج 3 ص 380 وعمدة القاري ج 16 ص 283 والتاريخ الصغير للبخاري ج 1 ص 105 والتاريخ الكبير للبخاري ج 1 ص 12 وج 3 ص 95 ومعرفة الثقات ج 1 ص 289 والتعديل والتجريح ج 2 ص 552 وتاريخ مدينة دمشق ج 12 ص 261 و 301 وج 55 ص 261 وتهذيب الكمال ج 5 ص 499 والإصابة ج 2 ص 39 وتهذيب التهذيب ج 2 ص 193 وتاريخ الإسلام ج 3 ص 493 والوافي بالوفيات ج 11 ص 251 والبدایة والنهاية ج 6 ص 232.

خصوصيات ظاهرة:

إنه «عليه السلام» حين سئل عن سلمان، وأبي ذر، وحذيفة، وعمار، أجاب بالخصوصية التي امتازوا بها، فذكر ميزة الصدق لأبي ذر، وميزة سلمان بالحكمة، والقرب من أهل البيت «عليهم السلام»، والشبه بهم في الهدى والسلوك. وميزة المعرفة بالمنافقين لحذيفة، وميزة الصلاح والتقوى لعمار، حتى استحق الجنة.

ولكنه حين سئل عن نفسه ذكر ميزة تخصيص رسول الله «صلى الله عليه وآله» له بالتعليم، وشدة اهتمامه هو بنيل هذا الذي أراد الله ورسوله له أن يناله..

الإخبار عن أهل النهروان:

إنه «عليه السلام» قد أخبر ابن الكواء عن أهل النهروان أيضاً رغم أن هذه القضية قد سبقت النهروان، ليقيم بذلك الحجة عليه، وعلى جميع من كان حاضراً لهذا الذي جرى، ومن بلغه ذلك.

وليكون هذا الإخبار تصديقاً عملياً لما ذكره عن نفسه، من أن الله ورسوله قد اختصاه بالعلم الخاص.. وقد أثمر هذا حين لقي الناس ابن الكواء في النهروان، فتعجبوا من ظهور مصداق قوله «عليه السلام» فيه حسبما تقدم.

قريش تبدل نعمة الله كفرًا:

1 - إن تفسيره لقوله تعالى: (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) (1) بقريش هو من قبيل التطبيق الصادق للآية على واحد من مواردها الظاهرة..

وقوله «عليه السلام»: «دعهم لغيهم» لعله أراد أن يشير به إلى أن الأيام ستكشف حقيقتهم، وسيظهر لهم ما وعد الله فيهم، وفي أمثالهم.

2 - ورد في روايات عديدة، وبعضها صحيح السند: أن المقصود بمن بدل (نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا) هو قريش (2)، فإن الله تعالى قد ذكر في آية البلاغ: أن الذين لا يرضون بتبليغ ولاية علي «عليه السلام» في عداد الكافرين. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ

(1) الآية 28 من سورة إبراهيم.

(2) البرهان في تفسير القرآن (ط مؤسسة البعثة - سنة 1416 هـ) ج 3 ص 306 - 308 والغارات للثقي ج 1 ص 181 وبحار الأنوار ج 9 ص 113 و 218 وج 24 ص 55 وج 31 ص 508 ونهج السعادة ج 2 ص 629 وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 5 ص 9 والمستدرک للحاكم ج 2 ص 352 و 467 وفتح الباري ج 7 ص 235 وعمدة القاري ج 17 ص 92 والسنن الكبرى للنسائي ج 6 ص 372 وكنز العمال (مؤسسة الرسالة) ج 2 ص 444 وتفسير العياشي ج 2 ص 229 والتبيان للشيخ الطوسي ج 6 ص 294.

لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (1).

وحين بلغ في يوم الغدير إمامة علي «عليه السلام»، وأخذ له البيعة نزل قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (2). فظهر بذلك المراد من النعمة، وظهر المراد بمن كفر بها، وذلك ظاهر لا يخفى.

علي عليه السلام ذو قرنيها:

إن مقتضى جوابه عن ذي القرنين هو أن يكون هذا الرجل من الأنبياء، ثم أشار إلى أنه هو «عليه السلام» مثل ذي القرنين، وقد ورد: أنه «عليه السلام» ذو قرنيها (3).

(1) الآية 67 من سورة المائدة.

(2) الآية 3 من سورة المائدة.

(3) الأمالي للصدوق ص 67 و 656 وفضائل الشيعة ص 15 ومعاني الأخبار ص 205 و 206 و 207 وروضة الواعظين ص 296 ووسائل الشيعة (ط) مؤسسة آل البيت) ج 20 ص 194 و (ط دار الإسلامية) ج 14 ص 140 والغارات ج 2 ص 742 والأمالي للمفيد ص 213 والعمدة لابن البطريق ص 261 و 262 و 265 ومشكاة الأنوار ص 152 وبحار الأنوار ج 27 ص 313 وج 39 ص 41 و 42 و 43 و 206 و 307 وج 40 ص 27 و 79 وج 65 ص 7 و 41 و 46.

شرح السماء، والثقوب السوداء:

الشرح: منفسح الوادي، ومسيل ماء، ولعله شبه به لشباهته به ظاهراً، أو لكونه منه أغرق الله قوم نوح «عليه السلام»⁽¹⁾.
ثم إننا لا ندري إن كان «عليه السلام» يقصد بشرج السماء هو ما يعرف في أيامنا هذه بالثقوب السوداء، التي تشبه منفسح الوادي، وتغيب النجوم فيه، وتختفي في ظلماته.

توضيحات ضرورية:

قال المجلسي «رحمه الله»: قوله «عليه السلام»: «أن يقول قائل مخلصاً: لا إله إلا الله»، لعل المعنى: أن القائل إذا قال ذلك يصل إلى العرش في أقرب من طرف العين.

والحاصل: أن السؤال عن قدر المسافة لا ينفعكم، بل ينبغي أن تسألوا عما يصل إلى العرش ويقبله الله تعالى من الأعمال.

وقال الجزري: فيه: «فما نهنها شيء دون العرش» أي ما منعها وكفها عن الوصول إليه⁽²⁾. والريف بالكسر: أرض فيها زرع

(1) بحار الأنوار ج 10 ص 124 وج 55 ص 90 والقاموس المحيط ج 1 ص 195.

(2) القاموس المحيط ج 3 ص 146 وبحار الأنوار ج 10 ص 124 وج 32 ص 96 وراجع: شرح سنن النسائي للسيوطي ج 2 ص 146 وحاشية السندي على النسائي ج 2 ص 146 وعون المعبود ج 2 ص 337 والنهاية

وخصب والسعة في المأكل والمشرب(1).

وطاً دجاجة، فحرمت بيضتها:

عمار الذهبي، عن أبي الصهباء، قال: قام ابن الكواء إلى علي «عليه السلام» وهو على المنبر، وقال: إني وطأت دجاجة ميتة، فخرجت منها بيضة، فأكلها؟!!

قال: لا.

قال: فإن استحضنتها فخرج منها فرخ، أكله؟!!

قال: نعم.

قال: فكيف.

قال: لأنه حي خرج من ميت، وتلك ميتة خرجت من ميتة(2).

-
- في غريب الحديث ج 5 ص 139 وتاج العروس ج 19 ص 108.
- (1) بحار الأنوار ج 10 ص 124 وج 34 ص 427 وج 82 ص 268 وفتح الوهاب ج 1 ص 285 ومغني المحتاج للشرييني ج 2 ص 36 وكشاف القناع ج 3 ص 155 ومستدرك سفينة البحار ج 8 ص 517 ولسان العرب ج 9 ص 128 وشرح مسلم للنووي ج 9 ص 146 وعمدة القاري ج 17 ص 231 والصحاح ج 4 ص 1367 والقاموس المحيط ج 3 ص 146.
- (2) مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 376 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 2 ص 196 وشرح الأخبار ج 2 ص 324 ومستدرك الوسائل ج 16 ص 190 وبحار الأنوار ج 63 ص 50 ومشارق أنوار اليقين ص 119.

ونقول:**ماذا يريد ابن الكواء؟!**

1 - لم يكن مقصود ابن الكواء الخارجي: أنه قد وطأ الدجاجة فعلاً، بل قصد صياغة سؤاله بهذه الطريقة.

2 - إن ابن الكواء كان مهتماً بأن يحرّج علياً «عليه السلام» ولو بمسألة واحدة، لكي يتمكن من الطعن بإمامته، وكان الله تعالى له بالمرصاد، فكان يواجه الخيبة تلو الخيبة، وتزداد قناعة الناس بإمامته «عليه السلام»، من خلال تلمسهم تفوقه في كل العلوم، وفي جميع الخصال..

ظاهرة سؤال الناس عن المبررات:

إن السؤال عن الدليل والمبرر، والعلة والسبب قد أصبح هو الظاهرة التي تميز علاقة أهل البيت بالناس. ولم يعد هناك أي حرج في أن يطلب أي كان من الحاكم تبرير أقواله وأفعاله. وإنما كان هذا ببركات وجودهم، وبفضل جهودهم «عليهم السلام» الرامية إلى ترسيخ هذه الطريقة في الناس، وهو نهج ينسجم مع الطبيعة البشرية، التي تريد أن تتعامل مع الأمور بوضوح، وأن تطمئن إلى صحة ما تقدم عليه في أقوالها، وأفعالها.

مبررات حرمة البيضة:

إن الحكم بحرمة البيضة التي تخرج الدجاجة الميتة لم يكن لأجل

وطئها وحسب، بل كان أيضاً لأجل موتها، كما أظهره قوله «عليه السلام»: «وتلك ميتة خرجت من ميتة».

وهذا الحكم إن كان تعبدياً فلا بد من التسليم والقبول، وإن لم يكن تعبدياً، فقد يقال: لعل الحديث عن البيض الذي لم يكتمل، ولم يتصلب، والذي لا يزال متجمعاً في أحشاء الدجاجة، ومتصلاً بها، ويفترض أن يتغذى، وينمو ويكبر حتى يتصلب قشره، ثم يخرج، فالحكم على هذا البيض الذي لم يكتمل بعد بأنه ميتة يكون مقبولاً ومعقولاً، ولذلك قبل ابن الكواء بهذا الجواب، وسكت..

ولو كان المقصود هو البيضة التي اكتملت، ولم يعد لها أي تأثير بمحيطها، ولم يبق إلا أن تخرج، فالأمر يكون ملتبساً، إلا إذا فرض أن هذه البيضة قد بقيت في جوف الدجاجة الميتة، وقتاً طويلاً، واكتسبت منها ما أوجب حرمتها. كما يشير إليه قوله: «لو استحضنتها فخرج منها فرخ إلخ..». إلا إن كان يريد أن يفترض أولاً: أن البيضة لم تتصلب، ولم تنفصل، ثم يفترض ثانياً: صورة ما لو تصلبت وانفصلت.. والله هو العالم.

نحن باب الله:

عن الأصبغ بن نباتة، قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين «عليه السلام»، فجاء ابن الكواء، فقال: «يا أمير المؤمنين، من البيوت في قول الله عز وجل: (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ

الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَاتَّوَا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا؟! (1).

قال علي «عليه السلام»: نحن البيوت التي أمر الله بأن تؤتى من أبوابها.

نحن باب الله وبيوته التي يؤتى منه. فمن بايعنا، وأقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها. ومن خالفنا، وفضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها.

فقال: يا أمير المؤمنين، (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ)؟! (2).

فقال علي «عليه السلام»: نحن أصحاب الأعراف، نعرف أنصارنا بسيماهم. ونحن الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار من أنكرنا وأنكرناه.

وذلك بأن الله عز وجل لو شاء عرّف الناس نفسه، حتى يعرفوه وحده، ويأتوه من بابه.

ولكنه جعلنا أبوابه، وصراطه، وسبيله، وبابه الذي يؤتى منه، فقال في من عدل عن ولايتنا، وفضل علينا غيرنا: فإنهم (عَنِ الصِّرَاطِ

(1) الآية 189 من سورة البقرة.

(2) الآية 46 من سورة الأعراف.

لناكبون(1)»(2).

وحسب نص الكليني: «نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط، فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه. إن الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف العباد نفسه، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله، والوجه الذي يؤتى منه. فمن عدل عن ولايتنا، أو فضل علينا غيرنا، فإنهم عن الصراط لناكبون. فلا سواء من اعتصم الناس به، ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة، يفرغ بعضها في بعض. وذهب من ذهب إلينا إلى عين صافية تجرى بأمر ربها، لا نفاذ لها ولا انقطاع»(3).

(1) الآية 74 من سورة المؤمنون.

(2) الاحتجاج ج 1 ص 540 و 541 و (ط دار النعمان) ج 1 ص 337 و 338 وتفسير فرات ص 45 وراجع: الكافي ج 1 ص 184 وتأويل الآيات الظاهرة ج 1 ص 86 و 176 والبرهان (تفسير) ج 1 ص 415 ونور الثقلين ج 1 ص 148 وبحار الأنوار ج 23 ص 248 و 249 و ج 8 ص 339 و 340.

(3) راجع: الكافي ج 1 ص 184 وبصائر الدرجات ص 517 ومختصر بصائر الدرجات (ط سنة 1370 هـ) ص 55 ومختصر البصائر (تحقيق مشتاق المظفر) ص 195 وبحار الأنوار ج 24 ص 253 وموسوعة أحاديث أهل

ونقول:

فأتوا البيوت من أبوابها:

بالنسبة للبيوت وأبوابها نقول:

علينا ملاحظة الأمور التالية:

1 - إن تفسير الأبواب بالأوصياء هو من باب التطبيق.

ويشير إلى ذلك: أنه قد روي تفسير هذه الآية عن أبي جعفر «عليه السلام» وأنه قال: يعني: أن يأتي الأمر من وجهه، أي الأمور كان (1).

2 - قال علي بن إبراهيم عنه هذه الآية: (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا): نزلت في أمير المؤمنين «عليه السلام»، لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولا تأتوا المدينة إلا من بابها» (2).

ومن الواضح: أن هذا اجتهاد من علي بن إبراهيم «رحمه الله»، وليس استناداً إلى نص صرح له بنزول الآية الشريفة بخصوص أمير المؤمنين «عليه السلام».

البيت للنجفي ج 2 ص 389 وج 6 ص 76 وغاية المرام ج 3 ص 69.

(1) المحاسن ص 224 وتفسير العياشي ج 1 ص 105 والبرهان (تفسير) ج 1

ص 415 وبحار الأنوار ج 2 ص 262 والتبيان للطوسي ج 2 ص 142.

(2) تفسير القمي ج 1 ص 68 والبرهان (تفسير) ج 1 ص 416.

3 - إن الآية لم تصرح بأن الحديث هو عن بيوت الله تعالى، ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» نقل الكلام إلى النقطة الأكثر حساسية وأهمية بالنسبة للبشر كلهم، وهو تحديد بيوت الله تعالى التي يجد فيها البشر كل حاجاتهم التي يريدون الاحتفاظ بها، للاستفادة منها في صنع إنسانيتهم، وتصحيح مسارهم، وضبط حركتهم في مسيرهم بها إلى مصيرهم..

4 - إن الوصول إلى الله تعالى، والدخول في دائرة الأمان عنده لا بد أن يكون بدخول بيته، ولكن بالطريقة الصحيحة والطبيعية، وهي أن يدخلوا البيوت من أبوابها. لأن من حاول الدخول من غير الباب سيعد سارقاً، أو مغيراً. وسيجد الموانع، والحجب، والحواجز، والجدر، وسيواجهه الصد والمنع من مواصلة السعي، والسؤال الملح عن سبب اختيار اسقاط هذه الموانع، التي لا يرضى صاحب البيت بإسقاطها وتجاوزها، ولا يمكن الحصول على رضا صاحب البيت بما يسخطه.

5 - وقد حدد علي «عليه السلام» كيفية دخول الباب، وذلك بأمرين:

أولهما: البيعة للإمام من أهل البيت، التي تعني اعطاء العهود والمواثيق على النصر، والالتزام بفروض الطاعة فيما يأمرهم به، وينهاهم عنه، بصفته قائداً وحاكماً، وإماماً. والمعونة على القيام بما تفرض سياسة العباد ومصالحهم القيام به.

الثاني: الإقرار بولايتهم «عليهم السلام»، التي تعني التسليم بأن الله تعالى جعل لهم الإمامة، وأوجب على الناس محبتهم، وتوليهم والبراءة من أعدائهم، فلا تكفي البيعة لهم عن الإقرار بالولاية لهم، وعقد القلب عليها. والالتزام بها، والتبني والاحتضان لها في عمق الوجدان والضمير، وحياطتها بالأحاسيس والمشاعر، لأن البيعة بمجردھا لا تعني الوصول إلى الله، فإنھا قد تنتهي عند التعامل المصلحي الدنيوي، ولا تتجاوزھ إلى الارتباط الروحي، وتهيئة أجواء الهداية والرعاية والتنشئة، وتصويب المسار فيما يرتبط بقضايا الإيمان والإعتقاد، فضلاً عن تهيئة الدواء الشافي، والغذاء الكافي للروح، وبناء علاقتها بالله على أسس صحيحة وسليمة، بالطرق القويمة، والحكيمة..

كما أن الاكتفاء بالتولي والتبري، وعدم المشاركة في النصر، والمعونة، وعدم التعرض لصيانة الأمة في أمنھا، ودفع أعدائھا، وحفظ مصالحھا، وضبط حركتها.. سيأتي متوافقاً عملياً مع مضمون الآية الكريمة: (أَفْتَوْمُنُونِ بَعْضَ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ).

وذلك لأن الدخول إلى بيوت الله معناه: الحصول على كل الرغائب، والأمن من جميع المعاطب، في الدنيا وفي الآخرة.

ولا يتحقق ذلك إلا بالالتزام بالنهج الإلهي التام في كل الاتجاهات، حتى يصبح الإنسان متمحضاً في خدمة الأهداف الإلهية في كل جهات وجوده.

وهذا يفرض الحضور الفاعل والمؤثر في مواضع رضا الله سبحانه كلها..

ويصبح كل تخلف بمثابة ثغرة في جدار بيت الأمن والأمان الإلهي، وتعريض للنفس إلى المهالك والمعاطب..

6 - واللافت هنا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد بيّن مورد التخلي عن ولايتهم «عليهم السلام» الذي معناه: إتيان البيوت من ظهورها.. وهو يقتضي الصد، والمنع من دخول تلك البيوت بهذه الطريقة المبعوضة لله تعالى - بينه - بصيغة: مخالفتهم وتفضيل غير أهل البيت على أهل البيت «عليهم السلام»، فقال: «ومن خالفنا، وفضل علينا غيرنا، فقد أتى البيوت من ظهورها».

فإتيان البيوت من ظهورها يتقوم بأمرين أيضاً:

أحدهما: نفس مخالفتهم، وعدم توليهم، وعدم الأخذ منهم، وإن لم يصل الأمر إلى العداء والبغض.

الثاني: تفضيل غيرهم وترجيحه عليهم. وإن اعترف لهم بقدر من الفضل، وهذا معناه: أن نفس هذا التفضيل، ونفس أن لا يكون معهم، سوف يجعله خارج دائرة بيوت الله، وسوف يحجبه عن الاهتداء إلى الأبواب، الأمر الذي يجعله في دائرة الهلاك، والبوار..

آيات سور الأعراف:

إن ما ذكره «عليه السلام» عن رجال الأعراف إنما أشار به إلى قوله تعالى: (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا

بِسْمِائِهِمْ وَتَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمِائِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ(1).

على الأعراف رجال:

وبالنسبة للأعراف، ورجالها نقول:

1 - إن سياق الرواية المتقدمة يعطي ما يلي:

ألف: إن الله تعالى هو الغاية ومنه يكون تحديد الوسيلة لكل من سلك طريق الحياة، فمن اتصل به، أو وصل إليه نجا وسعد، ومن حاد وضل عنه هلك وشقي..

ب: إن الوصول إليه تعالى يحتم الدخول إلى بيت رحمته وغفرانه من بابه المعد لذلك.

ج: لقد ربط «عليه السلام» في هذا النص بين آية: (وَأَثُوا بُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا). وبين آية: (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسْمِائِهِمْ)(2)، ليدل على أنه لا يصل إليه إلا من باب أهل البيت

(1) الآيات 46 - 49 من سورة الأعراف.

(2) الآية 46 من سورة الأعراف.

«عليهم السلام»، فإنهم هم باب الله الذي يؤتى منه.

د: إنه تعالى جعل التعلق بأهل البيت «عليهم السلام»، وتوليهم والبيعة لهم، وطاعتهم، والبراءة من أعدائهم، هو الصراط الذي يكون السلوك فيه بالأعمال الصالحة، من موجبات سالكه من المعاطب والمهالك، وهو ينقله إلى بر الأمان.

هـ: ثم جعلهم بابه الذي يؤتى منه.. وجعلهم على الأعراف، ليميزوا شيعتهم من مخالفيهم، ويشفعوا للفساق من محبيهم، ويحبس فيه قوم من المذنبين إلى أن يشفع لهم..

والأعراف:

1 - هو مكان عال مرتفع بين الجنة والنار، يشرفون منه على الخلائق، وعلى الجنة والنار.

2 - أو هو موضع يعرف فيه الخلائق أئمتهم بالإمامة والولاية فيسعدون بذلك أو إنكارهم لهم - فتكون لهم الخيبة والخسران.

3 - وهو أيضاً موضع معرفة الأئمة للخلائق، بأنهم شيعتهم وأنصارهم، لتكون هذه المعرفة هي جواز الخلائق إلى الجنة، أو السقوط في نار الله الموصدة التي تطلع على الأفئدة.

وهو قوله «عليه السلام»: «فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه».

4 - وهو أيضاً موضع يعرف فيه شرف وكرامة ومنزلة الأئمة عند الله.

وما تقدم إنما هو بالنظر إلى حال الآخرة.. وهذا هو المشار إليه في الرواية المتقدمة:

«نحن الأعراف يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط إلخ..» كما في رواية الكافي وغيره.

5 - وتطلق كلمة «الأعراف» أيضاً على حامل المعرفة، الذي يعرف الآخرون الله تعالى بوساطته، كالنبي والإمام. وهذا هو المراد بقوله في الرواية المتقدمة: «نحن الأعراف الذين لا يعرف الله تعالى إلا بسبيل معرفتنا» كما في رواية الكافي . والمراد معرفة الله تعالى في الدنيا.

6 - وأيضاً: الأعراف جمع عريف، وهو النقيب المتكفل بأمور قومه. كما أن الأشراف جمع شريف.

التعريف بالواسطة:

وقد ألمح «عليه السلام» إلى أن الله تعالى لم يعرف العباد بنفسه مباشرة، بل أراد أن يكون ذلك بواسطة دلالة الأئمة، وربط الخلق بهم، ليتولوا هم أمورهم، وليتصرفوا فيها بمعونة منهم، بابتغاء ما يصلحهم، من موضع الرفق والمحبة، إما مباشرة، أو بالدلالة لهم بالقول والفعل، أو على سبيل القدوة والأسوة..

وذلك رفقا منه تعالى بعباده، ومعونة لهم، وتخفيفاً عنهم. ولكي لا يزيدهم الإمهال تمرداً وطغياناً عليه سبحانه، أو استهانة بأمره ونهيه. ولغير ذلك من مصالح..

وقال «عليه السلام» حسب رواية الكافي: «نحن الأعراف، يعرفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط». أي يجعلنا عرفاء، ويقيمنا عليه.. أو يجعلنا أصحاب معرفة بأوليائنا وأعدائنا على الصراط..

وهذا يعني: أن أهل كل عصر لا يدخلون الجنة إلا إذا عرفوا إمام زمانهم، وتولوه، وصدقوه وتابعوه.

قال الملا صالح المازنداني: «بيان الحصر من وجهين: أحدهما: أن دخول الجنة لا يمكن لأحد من هذه الأمة إلا باتباع الشريعة النبوية، ولزوم العمل بها. ولا يمكن ذلك إلا بمعرفتها ومعرفة كيفية العمل بها. ولا يمكن ذلك إلا بتبيين صاحب الشريعة، والقائم بها، وإرشاده وتعليمه..

وذلك لا يمكن إلا بمعرفة المأموم للإمام، وحقيقة إمامته، وصدق ولايته له ليقنتدي به، ومعرفة الإمام للمأموم ليهديه، فإن دخول الجنة متوقف على معرفة الإمام للمأمومين، ومعرفتهم له.

ثانيهما: إن معرفة الأئمة «عليهم السلام» ومعرفة حقيقة إمامتهم، وصدق ولايتهم ركن من أركان الدين، ولا يدخل الجنة إلا من أقامه. ومن عرفهم كذلك وجبت معرفتهم له بذلك»⁽¹⁾.

(1) شرح أصول الكافي ج 5 ص 145.

ثم ذكر: أنه لا يشترط في ذلك المعرفة الشخصية العينية، بل الشرط هو المعرفة على وجه كلي.

العيون الكدرة:

وفي النص الذي ذكره الكليني: أن الذين لا يتولون أئمة الهدى، ويلجأون إلى الأخذ من غيرهم، فإنما يذهبون إلى «عيون كدرة، يفرغ بعضها في بعض».

والمراد ببيان: «أن الهدف من اعتصام الناس بالأئمة وبغيرهم، وتوليهم لهم، هو أن يجدوا عندهم من العلوم والمعارف ما به حياتهم، وصلاح أمورهم..» ويشبهون هذا بالماء الذي يعطي الحياة للأشياء المادية، ويريدون له أن يعطي الحياة للقلوب والأرواح.

وهذا ما فعله «عليه السلام» هنا، فإنه شبه علوم مخالفيهم «عليهم السلام» بعيون فيها ماء كدر، لا يستسيغ الناس شربه، ولا الاستفادة منه في أكثر مواضع الحاجة.

ولعل كدورته تشي بقلته، لأن الماء النابع يتخلص من الأغيار والأكدار، ويتغلب عليها، فإذا كان الماء كدراً دل ذلك على عدم قدرته على التخلص من الأغيار، وعجزه عن التغلب عليها، فكيف إذا كان مستعاراً من آبار أخرى، فإذا حصل الماء في إحداها، خلا ما سواها منه، لأن بعضها يفرغ في بعض، وهو ينضب بأخذ القليل منه..

وذلك لأن ما عند غير أهل البيت من علوم لا يعدو كونه مجموعة لمحات يسيرة مما وصل إليهم من الحكم والشرائع السابقة،

وقد اختلطت بكثير من الشبهات والأباطيل والأضاليل ولوثتها الخيالات والأوهام الفاسدة. ولا يكاد يتميز الصحيح من السقيم، والموبوء من السليم، فهم بحاجة إلى أن يستعير بعضهم من بعض، من تلك الأقدار التي لا رافد لها، وسرعان ما تنفذ وتضمحل. مع قصورها الظاهر عن الوفاء بالحاجات، ومع ضررها، وخطرها على الصحة والسلامة، بل على الوجود، وعلى الحياة.

أما علوم أهل البيت «عليهم السلام»، فهي الغاية في الصفاء والنقاء والسلامة، والطهارة، ولا نفاد لها ولا انقطاع. تجري في قلوبهم التقية، وتتفايض على أرواحهم الصافية النقية، من منابع الوحي والإلهام الرباني، وليست مشوبة بالآراء والأوهام، بل هي محض النواميس الإلهية، والأسرار الربانية.

نعرف أنصارنا بسيماهم:

1 - وقد ذكر «عليه السلام» من يتولون الأئمة «عليهم السلام» بوصف «أنصارنا»، ولم يقل «شيعتنا»، لأن المطلوب ليس مجرد التولي والاعتقاد. بل المقرون بالعمل والممارسة، إلى حد أن يصبح المعيار: هو ما ينفع أو يضر الشخص المطلوب منه التولي، بل أن يتجاوز حدود الذات وأنا ويرقى إلى البذل والتضحية في سبيل الآخرين. وذلك بالمبادرة إلى نصرهم بمختلف الوسائل المتاحة..

2 - إنه «عليه السلام» قد ذكر هنا معرفة العرفاء أنصارهم بسيماهم. ولم يذكر معرفتهم لأعدائهم بسيماهم أيضاً.. مع أن الآية

الشريفة أشارت إليهما معاً، فقد قال تعالى:

(وَعَلَى الْأَعْرَافِ رَجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ) (1)، ثم قال بعد ذلك: (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ) (2).

فقد صرحت الآية: بأن أصحاب الأعراف يعرفون الذين جمعوا واستكبروا، وأقسموا لا ينال الله المؤمنين برحمة - يعرفونهم - بسيماهم أيضاً.. فلماذا لم يشر الإمام إليهم في الرواية المتقدمة؟!
ونجيب:

بأن المتكلم إذا كان هو رب العالمين، فهو إنما يخبر عن حقيقة ما أعطاه للعرفاء من مقامات وكرامات، والذي أعطاهم إياه هو معرفة الأنصار والأعداء على حد سواء..

ولكن حين يكون المتكلم هو العرفاء أنفسهم عن أنفسهم، فإنهم يكتفون بذكر معرفتهم بأنصارهم، لإظهار شدة اهتمامهم بهم، وإظهار أن كل همهم هو السعي لإكرامهم وإعانتهم على الوصول إلى جنان الخلد.. وأن أمرهم مقدم عندهم على كل أمر وهو من أسباب فرح

(1) الآية 46 من سورة الأعراف.

(2) الآيتان 44 و 45 من سورة الأعراف.

الأئمة العرفاء وابتهاجهم، ولذلك لم يذكروا «عليهم السلام» أعداءهم، ولكي لا يتوهم متوهم: أن الدافع لهم هو رواسب وحزازات، وثارات شخصية، ورغبة في الانتقام لمجرد العداوة والبغض الذاتي والشخصي لهم.

دخول النار بإنكارهم عليهم السلام:

وقوله «عليه السلام»: لا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه، متوافق مع قوله «صلى الله عليه وآله»: «من مات ولم يعرف إمام وقته (زمانه) فقد مات ميتة جاهلية». وقوله «صلى الله عليه وآله»: «يحشر المرء مع من أحب».

الفصل الثالث:

سلوني قبل أن تفقدوني..

سائل آخر.. وأسئلة أخرى:

وقال «عليه السلام» في جواب سائل: أما الزوجان الذين لا بد لأحدهما من صاحبه، ولا حياة لهما، فالشمس والقمر.
وأما النور الذي ليس من الشمس، ولا من القمر، ولا النجوم ولا المصابيح، فهو عمود أرسله الله تعالى لموسى في التيه.
وأما الساعة التي ليس من الليل ولا من النهار، فهي الساعة قبل طلوع الشمس.
وأما الابن الذي أكبر من أبيه، وله ابن أكبر منه، فهو عزيز بعثه الله وله أربعون سنة، ولابنه مئة وعشر سنين.
وما لا قبلة له، فالكعبة.
وما لا أب له فالمسيح.
وما لا عشيرة له، فآدم(1).

(1) مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 385 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 2 ص 205
وبحار الأنوار ج 10 ص 87 و 88.

أخبرني عن القدر:

روي مسنداً عن الإصبع بن نباته، قال: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر، فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقر من قضاء الله؟!!

فقال: أفر من قضاء الله إلى قدر الله عز وجل (1) ..

نوادير محمد بن علي بن محبوب كما نقل الحلي مسنداً عن الصادق «عليه السلام» قال: كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يبرأ من القدرية في كل ركعة ويقول: بحول الله أقوم وأقعد (2).

وفي الطرائف: روي أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري، وإلى عمرو بن عبيد، وإلى واصل بن عطاء، وإلى عامر الشعبي: أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر، فكتب إليه الحسن البصري: إن أحسن ما انتهى إليّ ما سمعت أمير

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 85 والتوحيد للصدوق ص 369 وبحار الأنوار ج 5 ص 114 وج 41 ص 2 ونور البراهين ج 2 ص 320 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج 9 ص 164 وتفسير الميزان ج 13 ص 75 وج 19 ص 92.

(2) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 85 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 6 ص 362 و 287 و (ط دار الإسلامية) ج 4 ص 967 و 1280 ومستطرفات السرائر ص 602 وبحار الأنوار ج 82 ص 183 وجامع أحاديث الشيعة ج 5 ص 295.

المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» أنه قال: أتظن أن الذي نهاك دهاك؟! وإنما دهاك أسفلك وأعلاك، والله برئ من ذلك.

وكتب إليه عمرو بن عبيد: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: لو كان الزور في الأصل محتوماً كان المزور في القصاص مظلوماً.

وكتب إليه واصل بن عطا: أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: أيدلك على الطريق ويأخذ عليك المضيق؟!

وكتب إليه الشعبي أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: كل ما استغفرت الله منه فهو منك، وكل ما حمدت الله عليه فهو منه.

فلما وصلت كتبهم إلى الحجاج ووقف عليها قال: لقد أخذوها من عين صافية(1).

وقالوا: جاء رجل إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن القدر.

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 85 وبحار الأنوار ج 5 ص 59 وكنز الفوائد للكراكي ص 170 والطرائف لابن طاووس ص 329 وبحار الأنوار ج 5 ص 58 وتفسير الميزان ج 1 ص 103.

فقال: بحر عميق فلا تلجه.

فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر.

قال: طريق مظلم فلا تسلكه.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر.

قال: سر الله فلا تتكلفه.

قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر.

قال: فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أما إذا أبيت فإني سائلك: أخبرني أكانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمة الله؟!

قال: فقال له الرجل: بل كانت رحمة الله للعباد قبل أعمال العباد.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: قوموا فسلموا على أخيكم فقد أسلم، وقد كان كافراً.

قال: وانطلق الرجل غير بعيد ثم انصرف إليه، فقال له: يا أمير المؤمنين، أبالمشية الأولى نقوم ونقعد ونقبض ونبسط؟!

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: وإنك لبعيد في المشية؟!

أما إني سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجاً: أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شأؤوا؟!

فقال: كما شاء.

قال: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شأؤوا؟!

فقال: لما شاء.

قال: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاؤوا؟!!

قال: يأتونه كما شاء.

قال: قم فليس إليك من المشية شيء (1).

ونقول:

لو عرف حده فوقف عنده:

1 - إن أجوبة أمير المؤمنين «عليه السلام» هذه قد حملت للسائل إشارات كان الجدير به لو تأملها أن يكف عن إلحاحه بطلب الجواب. **ويجمع هذه الإشارات كلها جامع واحد هو:** أن ذلك السائل ليس من فرسان هذا الميدان، ولا هو من أهله. ومن هذه الإشارات هي التالية:

ألف: إن ذلك الرجل يتكأف علم هذا الأمر، أي أنه يحمل نفسه كلفة ومشقة في طلب شيء لو تعامل معه بصورة طبيعية، وبدون مشقة لم يحصل عليه، ولا يكون في متناول يده.

(1) إحقاق الحق (الملحقات) ج 32 ص 165 وكتاب التوحيد للصدوق ص 374 و 375 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص 365 و 366 وبحار الأنوار ج 5 ص 110 و 111 ونور البراهين ج 2 ص 312 و 313 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج 9 ص 81 والفصول المهمة للحر العاملي ج 1 ص 253.

ب: إنه يلقي بنفسه في بحر عميق، ليس من مصلحته إلقاء نفسه فيه.

ج: إنه يلقي نفسه في طريق مظلم لا يبصر فيه شيئاً. ومن لا يبصر شيئاً لا يصل إلى شيء، ويخشى عليه أن تزل قدمه فيهلك.

من خصوصيات القدر:

لقد بين «عليه السلام» في أجوبته هذه خصوصيات في القدر، هي التالية:

ألف: إنه بحر، والبحر مترامي الأطراف، متلاطم الأمواج، بعيد الأغوار، مشحون بالغرائب، زاخر بالعجائب.

ب: إنه سر من الأسرار الكبرى، فلا ينبغي التعرض لكشفه، بل هو سر الله سبحانه. وهذا يؤكد: أنه سيكون عصياً على فهم الناس العاديين، ولن يصل إليه إلا الأوحدي من الأنبياء والأوصياء، بتوفيق من الله تبارك وتعالى، وتسديد منه.

ج: إنه أمر بالغ الغموض والإبهام، ولا يمكن السير فيه إلا من نور الله قلبه وطريقه بنور العلم والحكمة.. وهم المخلصون من عباده.

القدر في التكوينات لا في الأحكام:

بالنسبة لقوله «عليه السلام»: إن رحمة الله تعالى سبقت أعمال العباد نقول:

قال في هامش كتاب البحار:

«كل واحد من آحاد الخلق محدود بحدود يتعين بها في وجوده، كالطول، والعرض، واللون، وسائر الأوصاف والروابط التي يرتبط بغيره بواسطتها، ككون الإنسان ابن فلان، وأخا فلان، وأبا فلان، وفي زمان كذا، ومكان كذا، وهكذا.

وإذا أمعنت النظر في ذلك وجدت: أن جميع أسباب وجود الشيء ذوات دخل في حدود وجوده وسائر ما يتعلق بوجوده، وأنها هي التي يتقدر بها الشيء.

غير أن كلاً من الأسباب أيضاً يتقدر بما يتقدمه من المقدرات، ولا محالة تنتهي إليه سبحانه، فعنده تعالى حقيقة ما يقدر به كل شيء، ويتحدد به كل أمر.

والأشياء إنما ترتبط به تعالى من جهة صفاته الفعلية التي بها ينعم عليها، ويقيم صلبها، ويدبر أمرها. كالرحمة، والرزق، والهداية، والإحياء، والحفظ، والخلق وغيرها، وما يقابلها.

فله سبحانه من جهة صفات فعله دخل في كل شيء مخلوق، وما يتعلق به من أثر وفعل. إذ لا معنى لإثبات صفة فيه تعالى متعلقة بالأشياء وهي لا تتعلق بها.

ولذلك فإنه «عليه السلام» سأل الرجل عن تقدم صفة الرحمة على الأعمال، ولا معنى لتقدمها مع عدم ارتباطها بها، وتأثيرها فيها، فقد نظم الله الوجود بحيث تجرى فيه الرحمة، والهداية، والمثوبة والمغفرة. وكذا ما يقابلها.

ولا يوجب ذلك بطلان الاختيار في الأفعال، فإن تحقق الاختيار نفسه مقدمة من مقدمات تحقق الأمر المقدر. إذ لولا الاختيار لم يتحقق طاعة ولا معصية، فلم يتحقق ثواب ولا عقاب، ولا أمر ولا نهى، ولا بعث ولا تبليغ.

ومن هنا يظهر وجه تمسك الإمام «عليه السلام» بسبق صفة الرحمة على العمل، ثم بيانه «عليه السلام»: أن الله مشية في كل شيء، وأنها لا تلغو، ولا تغلبه مشية العبد.

فالفعل لا يخطئ مشيته تعالى، ولا يوجب ذلك بطلان تأثير مشية العبد، فإن مشية العبد إحدى مقدمات تحقق ما تعلقت به مشيته تعالى، فإن شاء الفعل الذي يوجد بمشية العبد فلا بد لمشية العبد من التحقق والتأثير⁽¹⁾. انتهى.

ومهما يكن من أمر، فإن التكاليف والأحكام أمور اعتبارية غير تكوينية، ومورد القضاء والقدر بالمعنى الدائر هو التكوينيات. فأعمال العباد من حيث وجودها الخارجي كسائر الموجودات متعلقات القضاء والقدر، ومن حيث تعلق الأمر والنهي والاشتغال على الطاعة والمعصية أمور اعتبارية وضعية خارجة عن دائرة القضاء والقدر إلا بالمعنى الآخر الذي بينه أمير المؤمنين «عليه السلام» للرجل الشامي عند منصرفه من صفين كما في الروايات، ومحصله التكليف

(1) بحار الأنوار ج 5 هامش ص 111.

للمصالح تستدعى ذلك. فالقدر في الأعمال ينشأ من المصالح التي تستدعى التكليف الكذائي، والقضاء هو الحكم بالوجوب، والحرمة مثلاً بأمر أو نهى (1).

القدريّة مجوس هذه الأمة:

ولا بأس بالإلماح هنا إلى أن ثمة روايات كثيرة تدم القدريّة، وأنهم ملعونون على لسان سبعين نبياً (2). وأنهم مجوس أمّتي (3).

-
- (1) بحار الأنوار ج 5 هامش ص 112.
- (2) بحار الأنوار ج 5 ص 47 و 6 وكتاب المجروحين لابن حبان ج 1 ص 362 والطرائف لابن طاووس ص 344 والصراط المستقيم ج 1 ص 39 و ج 3 ص 64 وكتاب الأربعين للشيرازي ص 662 ومستدرك سفينة البحار ج 8 ص 429 ومجمع الزوائد ج 7 ص 204 وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص 77 وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص 142 وكتاب الأربعين للنسوي ص 51 و 52 ومسند الشاميين ج 1 ص 224 والجامع الصغير ج 2 ص 410 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 1 ص 119 و 135 و 136 وشرح مسند أبي حنيفة ص 202 و 365 وفيض القدير ج 5 ص 352 وتفسير الرازي ج 13 ص 184 وكتاب المجروحين لابن حبان ج 1 ص 362 وتاريخ مدينة دمشق ج 65 ص 156 و ج 67 ص 124 وسير أعلام النبلاء ج 8 ص 286 و ج 11 ص 418 وتاريخ جرجان ص 356 وسبل الهدى والرشاد ج 10 ص 158.
- (3) بحار الأنوار ج 5 ص 6 والمغني لابن قدامة ج 2 ص 419 وكشاف القناع ج 2 ص 146 ومستدرك سفينة البحار ج 8 ص 429 و ج 9 ص 340 وحديث

ولعل سبب ذلك: أن المجوس يقولون: بأن الإنسان مسلوب الإختيار، مجبور على أفعاله، لأنهم ينسبون الخير إلى الله، والشر إلى الشيطان، واسمهما عندهم: «يزدان وأهرمن»..

فأشبه القائلون بالجبر الإلهي المجوس في اعتقادهم الجبر الإلهي للبشر، وفي قولهم: إن الخير والشر من الله سبحانه..

ليس لك من المشية شيء:

وأما قول أمير المؤمنين في آخر الرواية المتقدمة: ليس لك من المشية شيء، فقد أراد به إبطال القول بأن للإنسان مشيئة مستقلة، لا يحتاج معها إلى عون الله وتوفيقه، فإن ذلك الرجل - فيما يظهر - بعد أن سمع جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» انتقل من الجبر الإلهي إلى التفويض الإلهي، وادعاء أن الإنسان هو الذي يشاء أفعاله، وليس لله مشيئة فيها..

خيثة ص 67 ومجمع الزوائد ج 7 ص 207 والمعجم الأوسط ج 9 ص 93
ومسند الشاميين ج 1 ص 322 وإفحام المخاصم ص 111 وكنز العمال (ط
مؤسسة الرسالة) ج 1 ص 137 والتاريخ الكبير للبخاري ج 2 ص 341
والجرح والتعديل للرازي ج 7 ص 52 والكامل لابن عدي ج 2 ص 207
وتاريخ مدينة دمشق ج 37 ص 97 وج 37 ص 274 وج 45 ص 275
والموضوعات لابن = = الجوزي ج 1 ص 275 وميزان الاعتدال ج 1
ص 570 وج 4 ص 377 ولسان الميزان ج 2 ص 332 وج 6 ص 256.

وهذا باطل أيضاً كما بينه له أمير المؤمنين «عليه السلام»..

كم شعرة في لحيتي ورأسي؟!

روى زكريا بن يحيى القطان، عن فضيل بن الزبير، عن أبي الحكم قال: سمعت مشيختنا وعلماءنا يقولون: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقال في خطبته: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة إلا نبأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة».

فقام إليه رجل، فقال: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر.

فقام أمير المؤمنين «عليه السلام» وقال: «والله، لقد حدثني خليلي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما سألت عنه، وإن على كل طاقة شعر في رأسك ملكاً يلعنك، وعلى كل طاقة شعر في لحيتك شيطاناً يستفزك، وإن في بيتك لسخلاً يقتل ابن رسول الله، وآية ذلك مصداق ما خبرتك به.

ولولا أن الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرتكم به، ولكن آية ذلك ما نبأت به عن لعنتك وسخلك ملعون».

وكان ابنه في ذلك الوقت صبياً صغيراً يحبو، فلما كان من أمر الحسين «عليه السلام» ما كان تولى قتله، وكان الأمر كما قال أمير

المؤمنين «عليه السلام»⁽¹⁾.

ونقول:

هذا هو سعد:

صرحت بعض الروايات: بأن الذي ألقى عليه هذا السؤال هو سعد بن أبي وقاص، وسخله هو عمر بن سعد. وفي الرواية ما يثبت صحة ذلك، حيث إن الذي قتل الإمام الحسين «عليه السلام»، هو عمر وهو سخل سعد بن أبي وقاص.

بنو بناتنا أبنائنا:

ذكرت الرواية: أن السخل سوف يقتل ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله». مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يخلف بعده ولداً

(1) الإرشاد للشيخ المفيد ج 1 ص 331 و 332 والإحتجاج للطبرسي ج 1 ص 618 و 619 و (ط دار النعمان) ج 1 ص 388 و 389 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 129 ومناقب آل أبي طالب ج 2 ص 105 ومدينة المعاجز ج 2 ص 172 وبحار الأنوار ج 10 ص 125 و 126 وج 34 ص 297 وج 41 ص 313 و 337 وج 42 ص 146 وج 44 ص 256 و 258 والعوالم، الإمام الحسين «عليه السلام» ص 143 ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص 211 ومستدركات علم رجال الحديث ج 4 ص 24 وإعلام الوری ج 1 ص 344 وعن الأمالي للصدوق ص 115.

ذكراً لصلبه، بل خُلف الزهراء وابنيها الإمامين الحسنين «عليها وعليهما السلام»، وقد نص القرآن في آية المباهلة على أن أبناء البنات مثل أبناء البنين، في بنوتهما لجدتهما. كما أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد صرح ببنوتهما له، فلا يصح نفيهما عنه، بل نفي بنوة أبناء البنات من مخلفات الجاهلية، الذين يقولون:

بنونا بنو أبائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل في كتابنا: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام».

وقلنا: إن الأمويين كانوا يسعون لإنكار بنوة الحسنين «عليهما السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولهم في ذلك مواقف أشرنا إليها، ودللنا عليها، فراجع.

علي عليه السلام عالم بالفتن وبأهلها:

إنه «عليه السلام» لم يكتف بقوله لهم: «سلوني قبل أن تفقدوني» بحيث أبقى الأمر لهم غائماً ومبهماً، بل صرح لهم بما يعطي أنه يريد جلب أنظارهم لمعالجة أمر يعنيه بأشخاصهم، وهو بالغ الخطورة على حياتهم ومستقبلهم، حين أشار إلى أنه عالم بالفتن وبأهلها بصورة تفصيلية، كما عرفهم بأن علمه هذا لا ينتهي عند حدود زمانه أو مكانه، ولا يقف عند أشخاص بأعيانهم.. بل هو علم له امتداداته، وتفصيله، التي يستطيع أن يفتح عيونهم عليها في كل زمان

إلى يوم القيامة..

التركيز على ما فيه نجاة:

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قد ركز إشارته على خصوص ما يرتبط بالهدى والضلال، ولم يتعد ذلك حتى إلى الحديث عن الفتن التي تنشأ عن ضائقة إقتصادية، أو عن استفزاز عصبية عشائرية، أو عن أنانيات طاغية أو نحو ذلك..

فإن ذلك لم يكن له كبير أهمية عنده، بل الذي كان يوليه أعظم الإهتمام هو ما يرتبط بالهداية والضلال، فإن من المهم معرفة الفتن التي لها هذه الخصوصية وسائقها وناعقها، بأشخاصهم وأسمائهم، لأن الدخول في فتن كهذه من شأنه أن يهلك الحرث والنسل، وأن يهدم الحياة، ويخطف الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، وأعظم الخسائر خسارة الدين والمصير، حين يبوء الإنسان بغضب الله تبارك وتعالى..

ولذلك قال لهم: «سلوني قبل أن تفقدوني، فو الله لا تسألوني عن فئة تضل مئة وتهدى مئة إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة..».

المحنة الكبرى:

إن هذا الحرص الظاهر منه «عليه السلام» على نجاة الناس من المهالك قد قوبل بهذا السؤال الوقح من رجل يدعي لنفسه مقاماً

خاصاً!! ويرشح نفسه لخلافة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وقد جعله عمر في الشورى التي جاءت بعثمان!!

ومن يرشح نفسه لأخطر مقام بعد مقام النبوة، كيف يستهتر إلى هذا الحد بدين الناس، وبمصيرهم ومستقبلهم في الدنيا والآخرة؟! وكيف يجيز لنفسه أن يسخر بسيد الأوصياء والأولياء، الذي يريد أن يهديهم إلى سبيل نجاتهم، وأن يمهد لهم المسالك، ويجنبهم مزالق المهالك؟!!

وأية محنة كان أمير المؤمنين «عليه السلام» يتعرض لها مع هذا الرجل وأمثاله؟!!

وإذا كان هذا حال وعقلية سعد، ونظائره، بما فيهم طلحة والزبير، اللذان سلّا السيوف، وحشدا عشرات الألوف لحربه، ورموه بسهام الحتوف، وشنا عليه حرباً طاحنة، حصدت حوالي عشرين، أو ثلاثين ألفاً من الناس، رغبة بالدنيا وزبارجها وبهارجها. فما بالك بالبعداء عن التهذيب والتأديب، ممن لم يعرف من الإسلام إلا اسمه، ومن الدين إلا رسمه، وهم الهمج الرعاع، الذين لا يميزون بين الناقة والجمال، ولا يعرفون الذئب من الحمل؟!!

وهل من يسأل عن عدد شعرات لحيته، يفكر بمصالح الأمة، ويتألم لحالها، ويكلف نفسه عناء التفكير بما ينفعها، ويصلحها؟! فضلاً عن أن يسهر الليالي، ويبذل الغالي والنفيس من أجل ذلك!!

لا يريد لعلّي أن ينشر علمه:

ولم يكن سعد يجهل علماً، بل كان يعرف أنه قد أوتي علوم الأولين والآخرين من رب العالمين، وأنه باب مدينة علم الرسول، وإمام المؤمنين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم. ولكنه أراد أن يصد علماً «عليه السلام» عن نشر علومه، لكي لا يظهر فضله في الناس، وذلك بدافع حسده له، وكان سعد حسوداً⁽¹⁾.

جواب علي عليه السلام لكسر غرور سعد:

- 1 - إن هذا التصرف الأرعن من سعد كان يحتاج إلى صدمة صادقة، لو لم تُعد ذلك الرجل إلى التوازن، فإنها تعرّف الناس به، ليتخذوا هم قرارهم في طريقة التعامل مع هذا النوع من الناس.
- 2 - وقد ظهر: أن القول الذي كان قد سمعه «عليه السلام» من الرسول «صلى الله عليه وآله» عن [سخل] سعد، كان المقصود به: كسر غرور سعد في مثل هذا الموقف الوقح منه، وأن يكون سبيل هداية للأمة حين تقع في ظلمات الشبهات والأضاليل.
- 3 - إن الحديث الذي أورده «عليه السلام» لسعد يمس رسول الله

(1) راجع: قاموس الرجال ج5 ترجمة سعد بن أبي وقاص، والمعيان والموازنة ص108 والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص53 و (تحقيق الشيري) ج1 ص73 والأمالى للطوسي ص716 وبحار الأنوار ج32 ص70 و خلاصة عبقات الأنوار ج3 ص27 .

«صلى الله عليه وآله» مباشرة، وهو يبين مدى الفجوة بين بيت سعد، وسعد ركن أساسي فيه، وبين بيت الرسول الذي كان علي وأبناؤه من مكوناته الأساسية أيضاً..

4 - إنه «عليه السلام» قد بين للناس أن باطن بيت سعد ليس كظاهره فيما يبدو لهم، بل هو بيت يتحدث رسول الله «صلى الله عليه وآله» فضلاً عن علي «عليه السلام» عن أجوائه السلبية.

وهو «عليه السلام» يقول: إن الأمور المستترة في هذا البيت سوف تظهر في المستقبل، وسيرى الناس مصداق أقوال الرسول «صلى الله عليه وآله» فيه..

وذلك يعني: أن هذا الذي صدر من سعد ليس غريباً عنه، ولا كان نزوة عارضة، بل هذه هي روحياته، وهذه هي دخيلته، وحقيقة مكونات ضميره..

5 - وقد جعل «عليه السلام» هذا الإخبار الغيبي الذي سيمضي عشرون سنة على تحققه دليلاً على صدق ما نقله عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حق سعد، من أن عند كل شعرة في لحيته ورأسه ملكاً يلعنه، أو شيطاناً يغويه.. ليكون ذلك حجة على من سيعيش إلى حين استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام». ثم ليكون منارة هداية للأجيال الآتية فيما يرتبط بما يجري على سبط الرسول وصحبه، وفيما يرتبط بسعد، وبابن سعد.. وسواهما ممن هم في خطهما..

علي عليه السلام عالم بعدد الشعرات:

وقد دل آخر كلامه «عليه السلام» عن أنه لولا عسر إثبات عدد الشعرات في رأس سعد ولحيته، لأخبره بعددها.. على معرفته «عليه السلام» بعددها.. ولكنها ستكون إجابة مثيرة للجدل، وسبيلاً للمكابرة.. ولن تنتفع الأمة بشيء من ذلك، ويتحقق بذلك مراد سعد. فعدل «عليه السلام» إلى ما هو أجدى وأنفع، فذكر له قول الرسول «صلى الله عليه وآله» فيه وفي ولده على النحو الذي تقدم.

علي عليه السلام خليل رسول الله صلى الله عليه وآله:

وقوله «عليه السلام»: حدثني خليلي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يدل على أن له «عليه السلام» مقام الخلوة للرسول «صلى الله عليه وآله»، وقد سرقوه منه ليتصدقوا به على غيره.

وقد أثبتنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ما يفيد في بيان هذا الأمر، فراجع الجزء الذي ذكرنا فيه المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وذلك بعد الهجرة إلى المدينة.

سلوني قبل أن تفقدوني:

قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: «أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض، قبل أن تشغر

برجلها فتنة تطأ في خطامها، وتذهب بأحلام قومها(1).

ونقول:

توضيحات:

1 - قال ابن عبد البر في الاستيعاب(2) وغيره: أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء هذا الكلام.

2 - وقال ابن ميثم: كنى بشعر رجلها عن خلو تلك الفتنة من

مدبر.

ثم نقل عن ابن الأثير قوله: ومنه حديث علي «عليه السلام»:

(1) نهج البلاغة (بشع عبده) ج 2 ص 130 وبحار الأنوار ج 10 ص 128 وج 66 ص 227 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 13 ص 101 وينايع المودة ج 1 ص 208 وج 3 ص 452 والتحفة العسجدية ص 149 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 7 ص 618.

(2) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ج 3 ص 39 و (ط دار الجيل) ج 3 ص 1103: قال: أحمد بن زهير: وأخبرنا إبراهيم بن بشار قال: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: ما كان من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب. وراجع: مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 318 والصراط المستقيم ج 1 ص 217 وجامع بيان العلم ج 1 ص 114 والإكمال في أسماء الرجال ص 128 وتاريخ ابن معين ج 1 ص 106 وأسد الغابة ج 4 ص 22 والوافي بالوفيات ج 21 ص 179 والمناقب للخوارزمي ص 90 وسبل الهدى والرشاد ج 11 ص 289.

قبل أن تشغل برجلها فتنة.

3 - وقوله «عليه السلام»: «تطأ في خطامها» قال ابن ميثم: إستعارة بوصف الناقة التي أرسلت خطامها، وخلت عن القائد في طريقها، فهي تخط وتعث، وتطأ من لقيت من الناس على غير نظام من حالها، وتذهب بأحلام قومها.

قال بعض الشارحين: أي يتحير أهل زمانها، فلا يهتدون إلى طريق التخلص عنها، ويحتمل أن يريد أنهم يأتون إليها سراعاً رغبة ورهبة، من غير معرفة بكونها فتنة(1).

هل يجهل علي عليه السلام طرق الأرض؟!

ويستوقفنا قوله «عليه السلام»: «لأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض، فهل يعقل أن يكون «عليه السلام» يجهل بعض طرق الأرض؟! وهل للسماء طرق؟! وبأي معنى؟! فكيف يدير شؤون الأرض وساكنيها، ويضطلع بإمامة أهلها، ويهمن على الأمور فيها؟! ونجيب بما يلي:

إنه «عليه السلام» «أعلم» ولم يقل «أعرف»، لأن العلم غير المعرفة، فإن المعرفة تعني الوصول الحسي للمعلوم. ولازم هذا أن يكون متعلقها المصاديق والجزئيات، لأن الكليات إنما تنال بالحدس الذي ينشأ من ملاحظة مجموعة من المصاديق والجزئيات، ثم

(1) بحار الأنوار ج 10 ص 129 وج 43 ص 128 و 129.

الانتقال منها إلى الجامع الكلي بينها، ويكون هو عقد نظامها.

ثم إنه لا يجب استحضار صور جميع المصاديق، كل مصداق على حدة بصورة تفصيلية، فمن يكون مسؤولاً عن بلد أو مدينة أو فرقة جيش مثلاً، يمكن أن يتصور تفاصيل أمورها من طرق ومسالك ومساحات عمران وغير ذلك. ويمكن أن يلتقط لها صورة جامعة.

كما أنه لو كان لديه ألف شاة مثلاً، فيمكنه: أن يتعرف على أشكالها وألوانها وأحجامها ويستحضرها في ذهنه بصورة تفصيلية، بحيث تكون نصب عينيه. ويمكنه أن يلتقط لها صورة جامعة، ثم يودع هذه الصورة في ذهنه لوقت الحاجة، فإن احتاج إليها أحضرها، وأعاد النظر فيها، ودل على ما يحتاج الدلالة عليه، وأشار إلى ما ينبغي الإشارة إليه..

وبعض الأمور التي يواجهها الإنسان يجب أن تكون دائمة الحضور لديه. وإلا لوقع في المحذور، فيجب مثلاً: أن يكون الإنسان مراقباً لله تعالى في جميع أحواله، وأن يكون فانياً فيه بكل وجوده كل لحظة لحظة من لحظات وجوده والطرق إليه يجب أن تكون محط نظره باستمرار، فلا يغفل عنها، فإن الغفلة تعني الانقطاع عنها، والإنقطاع عنها انقطاع عن الله..

ولكن لا يجب استحضار ألوان وأحجام، وأشكال الألف شاة، كما لا يجب استحضار أشكال وأحجام وألوان وأعداد كل حبات الرمل الربع الخالي وكل حفنة رمل توجد في أي بقعة من الأرض. إلا إذا

احتاج إلى العلم بها لتأييد مقام الإمامة، وصيانتها وحفظه في العقول والقلوب.. أو احتاج إلى ذلك للقيام بالمسؤوليات الموكلة إليه في هذه الحياة، من حيث هو إمام وحافظ ومسؤول عن كل شيء حتى عن البقاع والبهائم. وعن الشجر والحجر، وغير ذلك مما هو معني به، وإن كنا لا نعرف الكثير عن حدوده وتفصيله..

وبعدما تقدم نقول:

إن ملاحظة الروايات يعطي: أنه «عليه السلام» كان أحياناً يقول: فإني بطرق السماء أخبر منكم بطرق الأرض⁽¹⁾ حين يكون المطلوب هو تصور الجزئيات والمصاديق والتفاصيل الصغيرة والكبيرة.. وأحياناً يقول: فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض⁽²⁾.

(1) خاتمة المستدرك ج 3 ص 96 و غرر الحكم ودرر الكلم ج 1 ص 397 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج 2 ص 346 وكتاب سليم بن قيس ص 256 وعيون الحكم والمواعظ ص 285 وبحار الأنوار ج 34 ص 259 وج 52 ص 272 وج 53 ص 81 ومستدرك سفينة البحار ج 3 ص 99 وج 8 ص 59 وموسوعة أحاديث أهل البيت ج 3 ص 332 ونهج السعادة ج 7 ص 32 و 147.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج 2 ص 130 وبحار الأنوار ج 10 ص 128 وج 30 ص 670 وج 34 ص 259 وج 53 ص 81 وج 52 ص 272 وج 66 ص 227 وج 69 ص 227 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 13 ص 101 وينايع المودة ج 1 ص 208 وج 3 ص 452 والتحفة العسجدية ص 149 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 7 ص 618 وطرق حديث الأئمة الإثنا

وأحياناً يقول: «أخبر»⁽¹⁾ الذي قد يقال: إنه يتلاءم معهما،
ويصلح جامعاً لهما وبينهما.

يريد تحصينهم من الفتن:

قد أظهر هذا النص: أنه «عليه السلام» إنما كان يريد من الناس أن يسألوه، لا لمجرد أن يظهر لهم علمه، ويثبت لهم إمامته، بل لأنه يخشى عليهم بالفعل من خطر هائل، ويريد منهم أن يعدوا العدة لمواجهة، وهو خطر الفتنة التي تتربص بهم، والتي تخبط خبط عشواء، وتطيش لهولها الأبواب، وتذهب بالأحلام.

يقطع سبع مئة فرسخ لأجل سبع كلمات:

قيل: جاء رجل إلى مولانا أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقال:
جئتك من سبع مئة فرسخ لأسألك عن سبع كلمات.

عشر ص 90 وراجع: = = مختصر بصائر الدرجات ص 198 ومصباح
البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج 2 ص 155 وتفسير نور الثقلين ج 1
ص 424.

(1) بحار الأنوار ج 40 ص 153 وغرر الحكم ودرر الكلم لأمدي (ط سنة
1427 هـ ق) ص 403 وخاتمة المستدرک ج 3 ص 96 وعيون الحكم
والمواعظ ص 285 ومناقب آل أبي طالب ج 1 ص 318 والصراط المستقيم
ج 1 ص 216 ونهج الإيمان ص 271 ونهج الحق وكشف الصدق ص 346
وإحقاق الحق (الأصل) ص 291.

فقال: سل ما شئت.

فقال الرجل: أي شيء أعظم من السماء؟!

وأي شيء أوسع من الأرض؟!

وأي شيء أضعف من اليتيم؟!

وأي شيء أحر من النار؟!

وأي شيء أبرد من الزمهرير؟!

وأي شيء أغنى من البحر؟!

وأي شيء أقسى من الحجر؟!

قال «عليه السلام»: البهتان على البريء أعظم من السماء.

والحق أوسع من الأرض.

ونمائم الوشاة أضعف من اليتيم.

والحرص أحر من النار.

وحاجتك إلى البخيل أبرد من الزمهرير.

والبدن القانع أغنى من البحر.

وقلب الكافر أقسى من الحجر⁽¹⁾.

(1) بحار الأنوار ج 75 ص 31 وجامع الأخبار ص 383 فصل 96 ومستدرك

سفينة البحار ج 4 ص 441 ومعارج اليقين للسبزواري ص 383.

وثمة نص آخر:

هذا، وقد رويت هذه الأسئلة والأجوبة في مصادر أخرى، فعن ماجيلويه، عن العطار، عن محمد بن أحمد، عن أبي عبد الله الرازي عن سجادة - واسمه الحسن بن علي بن أبي عثمان - عن محمد بن أبي حمزة، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله، قال:

تبع حكيم حكيماً سبع مئة فرسخ في سبع كلمات، فلما لحق به، قال له: يا هذا، ما أرفع من السماء، وأوسع من الأرض، وأغنى من البحر، وأقسى من الحجر، وأشد حرارة من النار، وأشد برداً من الزمهرير، وأثقل من الجبال الراسيات؟!!

فقال له: يا هذا، الحق أرفع من السماء، والعدل أوسع من الأرض، وغنى النفس أغنى من البحر، وقلب الكافر أقسى من الحجر. والحريص الجشع أشد حرارة من النار، واليأس من روح الله أشد برداً من الزمهرير. والبهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات(1).

(1) الخصال (ط سنة 1324 هـ. ومؤسسة النشر الإسلامي) ج 2 ص 382 و (في طبعة سنة 1403) ص 348 وبحار الأنوار ج 75 ص 447 و 190 و 447 وفي ص 454 عن سعد بن عبد الله، مرفوعاً، غير أنه قال: تبع حكيم حكيماً تسع مئة فرسخ، وأمالى الصدوق، المجلس 43 ص 148 و (ط مؤسسة البعثة سنة 1417 هـ) ص 317 وعن الغايات للشيخ جعفر بن أحمد القمي ص 95 ومعاني الأخبار ج 1 ص 177. وراجع الاختصاص للمفيد

ونقول:

1 - إننا لا نحتاج إلى إغداق شأبيب المدح والثناء على هذا السائل العاقل الرشيد، فإن نفس قطعه هذه المسافات الشاسعة: (سبع مئة أو تسع مئة فرسخ) لأجل سبعة مسائل يدل على حبه للعلم، ومعرفته بقيمته، وبأهله الحقيقيين..

2 - إن الأسئلة التي طرحها السائل ليست للتعجيز، وإظهار القدرة، بل هي أسئلة عملية، زاخرة بالحياة، مفعمة بالعطاء، غنية بالخير، مشرقة بنور الهدى..

3 - ولعل هذه الروايات تحكي لنا واقعة واحدة، فإن الأسئلة وأجوبتها شديدة التقارب، وربما تكون قد حصلت مع أمير المؤمنين «عليه السلام» كما صرح به النص المذكور أولاً. مع ملاحظة أمرين:

أحدهما: أن الناس كانوا يتحاشون التصريح باسم علي «عليه السلام» خوفاً من الملاحقة والعقوبة، أو كرهاً وحسداً، فلا زلت إلى أيامنا هذه تسمع البعض ينقل كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» ولا يصرح باسمه، بل يقول: قال بعض الحكماء، أو روي عن بعض

ص247 ومستدرك = الوسائل ج12 ص59 وجامع أحاديث الشيعة ج14 ص30 وج16 ص343 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص357 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج2 ص90 وج7 ص116 وج12 ص282 وفيض القدير ج1 ص149.

الحكماء.

الثاني: أن التعبير عن أمير المؤمنين «عليه السلام» بالحكيم ليس فيه غضاظة فإنه «عليه السلام» رأس الحكماء وسيدهم.

4 - يبدو: أن ثمة تصحيفاً لكلمتي سبع وتسع، لأنهما متشابهتان في الرسم، وعدم الاهتمام بنقط الكلمات في السابق.

5 - إن تعبير النص الثاني عن التابع السائل بالحكيم يدل أيضاً على أنه لم يكن رجلاً عادياً، بل كان يعرف قيمة العلم وأهله، لأنه كان من أهله..

سل وإن كانت أربعين:

جاء رجل إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فقال: جئتكَ لأسألك عن أربعة مسائل.

فقال «عليه السلام»: «سل وإن كانت أربعين».

فقال: أخبرني ما الصعب وما الأصعب؟!

وما القريب وما الأقرب؟!

وما العجب وما الأعجب؟!

وما الواجب وما الأوجب؟!

فقال «عليه السلام»: «الصعب هو المعصية، والأصعب فوت

ثوابها.

والقريب كل ما هو آت، والأقرب هو الموت.

والعجب هو الدنيا، وغفلتنا فيها أعجب.

والواجب هو التوبة، وترك الذنوب هو الأوجب»⁽¹⁾.

ونقول:

هذا النص واضح المعاني، ظاهر المباني، غير أننا نذكر القارئ
بأمرين:

أولهما: أنه «عليه السلام» يضع سائله أمام حقيقة: أنه هو «عليه السلام» المرجعية العلمية القادرة على تقديم الأجوبة الصحيحة والصريحة في كل ما يهم الناس معرفته، وأنه لا يخرجه سؤال، ولا تهمة كثرة الأسئلة، ولا نوعها، ولا مستوى الإبهام أو الدقة فيها..

ثانيهما: إن أسئلة ذلك الرجل، جاءت على درجة كبيرة من الغموض والإبهام، حيث لا يمكن تحديد وجهتها، ولا معرفة المجالات التي انطلقت منها، ولا مجال للتكهن بها..

وهذا يجعل أجوبتها عرضة للإنكار، والنقض بسهولة.. ولكن ذلك لم يحصل، فقد رأينا: أن السائل قد استسلم للأجوبة، ولم يستطع أن يسجل عليها أي تحفظ..

ولعل السبب في ذلك: أحد أمرين، لم يمنع افتراقهما وتمايزهما من اجتماعهما أيضاً حين تتوافر الدواعي، وتتوافق الأغراض لهذا الجمع..

(1) جامع الأخبار ص382 و 383 وبحار الأنوار ج75 ص31.

الأمر الأول: أن يكون «عليه السلام» قد استطاع أن يلامس ما كان يدور في خلد ذلك السائل، ويكشف عنها بأدق بيان، وأوضح عبارة.

الأمر الثاني: أنه «عليه السلام» قد وضع السائل أمام واقع جديد لم يجد سبيلاً للهروب منه، حين نقله من عالم الأوهام والأباطيل ليوأجه حقائق التكوين، وواقع الحياة الذي يتلمسه بعقله، ووجدانه، وفطرته، وبكل وجوده. ولا يمكنه الهروب من أي من هذين الأمرين، فلن يستطيع أحد مقاومة ما تقضي به الفطرة، ويحكم به العقل، ويرضاه الوجدان فيما يرتبط بصحة العلاقة بالله تعالى، القائمة على أساس عبودية الخلق وطاعتهم له تعالى. والحذر من معصيته، ولزوم التراجع والتوبة عن كل ما يدخل في هذا السياق.

كما أن أحداً لا يستطيع أن يتنكر للموت القاهر للعباد، ولا الهروب منه. وليكن الموت هو الراصد والحافظ الأمين للإنسان من الانزلاق إلى هوة الغفلة في حب الدنيا، والضياع في متاهات الشهوات..

أنت الكريم، والعالم، والطيب:

وقالوا: لما مات عثمان بن عفان جلس أمير المؤمنين «عليه السلام» مقامه، فجاءه أعرابي وقال: يا أمير المؤمنين، إني مأخوذ بثلاث علل: علة النفس، وعلة الفقر، وعلة الجهل.

فأجاب أمير المؤمنين «عليه السلام» وقال: «يا أبا العرب،

علة النفس تعرض على الطبيب، وعلة الجهل تعرض على العالم، وعلة الفقر تعرض على الكريم».

فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين، أنت الكريم، وأنت العالم، وأنت الطبيب.

فأمر أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم، وقال: «تتفق ألفاً بعلة النفس، وألفاً بعلة الجهل، وألفاً بعلة الفقر»⁽¹⁾.

ونقول:

1 - لسنا بحاجة إلى التأكيد على جامعة علي «عليه السلام» للعلوم على اختلافها، ولكل مزايا الخير في أعلى وأشرف مراتبها. وقد بينت هذه الرواية أن هذا الأمر كان هو المرتكز في أذهان الناس على اختلافهم، في الثقافات والأحوال والاتجاهات، من أهل الحضر كانوا أم من أهل الوبير..

2 - قد رأى هذا الأعرابي أن أمير المؤمنين قد جمع هذه المزايا الثلاث: العالم، والطبيب والكريم. وقد صدق «عليه السلام» القول بالفعل. حيث منحه ألف درهم، ليعالج بها فقره، وألفاً ليعالج بها جهله، وألفاً ليعالج بها نفسه.

3 - لعل المقصود بعلاج النفس: إما تهيئة ما يكفها عن محارم الله

(1) جامع الأخبار ص 383 و 384 وبحار الأنوار ج 41 ص 43.

سبحانه وتعالى، بتهيئة ما يكون به تلبية رغباتها بالطرق المحللة، والمشروعة - فإن كان بحاجة إلى الزواج تزوج، أو بحاجة إلى سفر للقاء من ينصحه، ويدله على مكارم الأخلاق.. هياً له ما يعينه على ذلك..

أو تهيئة وسائل الشفاء من أمراض جسدية، من خلال دلالة أطباء الأبدان على ما ينفعه في ذلك.

وربما يكون المقصود هو ما يشمل هذا أو ذاك.

الفصل الرابع:

أسئلة ذعلب..

أُسئلة ذُعلب:

حدثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي، قال: حدثنا أحمد بن الحسن القطان وعلي بن أحمد بن موسى الدقاق، ومحمد بن أحمد السناني، قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثني محمد بن أبي السري، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد بن طريف الكناني، عن الأصبغ بن نباتة، قال:

لما جلس علي «عليه السلام» في الخلافة وبايعه الناس، خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لابساً بردة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، منتعلاً نعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، متقلداً سيف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فصعد المنبر، فجلس عليه متمكناً، ثم شبك بين أصابعه، فوضعها أسفل بطنه، ثم قال:

يا معشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني. هذا سبط العلم، هذا

لعاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، هذا ما زقني رسول الله «صلى الله عليه وآله» زقاً زقاً.

سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي وسادة، فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة، فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل، فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في.

وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟! ولولا آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وبما يكون، وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)(1).

ثم قال: «عليه السلام»: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو سألتكموني عن أية آية، في ليل أنزلت، أو في نهار أنزلت، مكيها ومدنيها، سفريها وحضرها، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها، إلا أخبرتكم.

فقام إليه رجل يقال له ذعلب، وكان ذرب اللسان، بليغاً في الخطب، شجاع القلب، فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاة صعبة،

(1) الآية 39 من سورة الرعد.

لأخجلنه اليوم لكم في مسألتني إياه.

فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك؟!!

فقال: ويلك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره.

قال: فكيف رأيته؟! صفه لنا.

قال: ويلك! لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان، ويلك يا ذعلب، إن ربي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون، ولا بقيام - قيام انتصاب - ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصف باللطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقّة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسة، قائل لا بلفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كل شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج.

فخر ذعلب مغشياً عليه، ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها.

ثم قال «عليه السلام»: سلوني قبل أن تفقدوني.

فقام إليه الأشعث بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف تؤخذ

من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب، ولم يبعث إليهم نبي؟!!

فقال: بلى يا أشعث، قد أنزل الله عليهم كتاباً، وبعث إليهم نبياً،

وكان لهم ملك سكر ذات ليلة، فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبتها، فلما أصبح تسامع به قومه، فاجتمعوا إلى بابه، فقالوا: أيها الملك، دنست علينا ديننا فأهلكته، فاخرج نطهرك ونقم عليك الحد.

فقال لهم: اجتمعوا واسمعوا كلامي، فإن يكن لي مخرج مما ارتكبت وإلا فشأنكم.

فاجتمعوا، فقال لهم: هل علمتم أن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأمنا حواء؟! **قالوا:** صدقت أيها الملك.

قال: أفليس قد زوج بنيه من بناته، وبناته من بنيه؟! **قالوا:** صدقت، هذا هو الدين، فتعاقدوا على ذلك، فمحا الله ما في

صدورهم من العلم، ورفع عنهم الكتاب، فهم الكفرة، يدخلون النار بلا حساب، والمنافقون أشد حالاً منهم.

فقال الأشعث: والله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلى مثلها أبداً.

ثم قال «عليه السلام»: سلوني قبل أن تفقدوني.

فقام إليه رجل من أقصى المسجد، متوكئاً على عكازة، فلم يزل يتخطى الناس حتى دنا منه فقال: يا أمير المؤمنين، دلني على عمل إذا أنا عملته نجاني الله من النار.

فقال له: اسمع يا هذا، ثم افهم، ثم استيقن، قامت الدنيا بثلاثة: بعالم ناطق مستعمل لعلمه، وبغني لا يبخل بماله على أهل دين الله عز

وجل، وبفقر صابر، فإذا كتم العالم علمه، وبخل الغني، ولم يصبر
الفقر، فعندها الويل والثبور، وعندها يعرف العارفون بالله أن الدار
قد رجعت إلى بدئها، أي إلى الكفر بعد الإيمان.

أيها السائل، فلا تغترن بكثرة المساجد، وجماعة أقوام أجسادهم
مجتمعة وقلوبهم شتى.

أيها الناس، إنما الناس ثلاثة: زاهد، وراغب، وصابر.
فأما الزاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه، ولا يحزن على شيء
منها فاتته.

وأما الصابر فيتمناها بقلبه، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها
نفسه، لما يعلم من سوء عاقبتها.

وأما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام.

قال: يا أمير المؤمنين، فما علامة المؤمن في ذلك الزمان؟!

قال: ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حق فيتولاه، وينظر إلى ما
خالفه فيتبرأ منه وإن كان حبيباً قريباً.

قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين.

ثم غاب الرجل فلم نره، وطلبه الناس فلم يجدوه.

فتبسم علي «عليه السلام» على المنبر ثم قال: ما لكم، هذا أخي
الخضر «عليه السلام».

ثم قال «عليه السلام»: سلوني قبل أن تفقدوني. فلم يقم إليه أحد.

فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه «صلى الله عليه وآله»، ثم قال للحسن «عليه السلام»: يا حسن، قم فاصعد المنبر، فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي، فيقولون: إن الحسن لا يحسن شيئاً.

قال الحسن «عليه السلام»: يا أبه، كيف أصد وأتكلم وأنت في الناس تسمع وترى؟!

قال: بأبي وأمي، أوارى نفسي عنك، وأسمع وأرى ولا تراني.

فصعد الحسن «عليه السلام» المنبر، فحمد الله بمحامد بليغة شريفة، وصلى على النبي وآله صلاة موجزة، ثم قال: أيها الناس، سمعت جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وهل تدخل المدينة إلا من بابها.

ثم نزل، فوثب إليه علي «عليه السلام» فتحمله، وضمه إلى صدره.

ثم قال للحسين «عليه السلام»: يا بني، قم فاصعد فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي، فيقولون: إن الحسين بن علي لا يبصر شيئاً!، وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك.

فصعد الحسين «عليه السلام»، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه وآله صلاة موجزة، ثم قال: معاشر الناس، سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: إن علياً مدينة هدى، فمن دخلها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

فوثب علي «عليه السلام» فضمه إلى صدره وقبله، ثم قال:

معاشر الناس، اشهدوا أنهما فرخا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ووديعته التي استودعنيها، وأنا استودعكموها.
معاشر الناس، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» سائلكم عنهما(1).

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

للتوضيح فقط:

1 - عبارة: لو ثبتت لي الوسادة: كناية عن الإستيلاء على الأمر والتمكن منه.

2 - قال العلامة المجلسي «رحمه الله» عن إفتاء أهل الكتاب بكتبهم: «ويحتمل أن يكون المراد به: بيان أنه في كتابهم هكذا، لا

(1) الأمالي للصدوق ص 422 - 425 و (ط أخرى) ص 280 والتوحيد للصدوق = = ص 304 - 308 وراجع ص 109 وبحار الأنوار ج 10 ص 117 - 121 وراجع ج 4 ص 97 و 32 ونور البراهين للجزائري ج 2 ص 144 - 156 وشجرة طوبى ج 1 ص 188 - 190 وروضة الواعظين ص 118 ومستدرك الوسائل ج 11 ص 101 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج 2 ص 135 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص 352 - 355 وغاية المرام ج 5 ص 240 - 242 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري ص 89 - 91. وفي الاحتجاج ج 1 ص 609 - 612 وراجع ص 493 والاختصاص ص 230 وعن الارشاد ص 23 و 120.

الحكم بالعمل به، أو أريد به الإفتاء فيما وافق شرع الإسلام، وإلزام الحجة عليهم فيما ينكرونه من أصول دين الإسلام وفروعه»⁽¹⁾.

3 - قال العلامة المجلسي أيضاً: «قوله «عليه السلام»: «والمنافقون أشد حالاً منهم» تعريض بالسائل لأنه كان منهم»⁽²⁾.

علي عليه السلام يمثل الرسول صلى الله عليه وآله:

ذكرت الرواية السابقة: أن علياً «عليه السلام» لما بويع خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لابساً بردته، منتعلاً نعله، متقلداً سيفه، فصعد المنبر وقال: سلوني قبل أن تفقدوني.

ونقول:

إن ثمة مواضع عديدة فعل فيها علي وولده وأحفاده «عليهم السلام» مثل ذلك.

وهذا منه ومنهم «عليهم السلام»، إنما هو ليفهموا الناس أنهم دون سواهم يمثلون رسول الله «صلى الله عليه وآله» شكلاً ومضموناً.

فهو حين يعتن بعمامة الرسول «صلى الله عليه وآله» يشير لهم إلى أنه يحمل شعاره، ويرث زعامته وسؤدده، لأن العمائم بمثابة

(1) بحار الأنوار ج 10 ص 121.

(2) نفس المصدر.

التيجان، التي تشير إلى السيادة والزعامة، والعزة والكرامة.

وحين ينتعل نعله، يشير إلى أنه هو الذي يتأثر خطي الرسول «صلى الله عليه وآله»، ويسير على نهجه، ويتبع أثره..

وإذا تردى ببردته فكأنه يقول لهم: إن رداء الرسول «صلى الله عليه وآله» إذا كان هو الإسلام، وسيكون الإسلام رداءه أيضاً. الذي يغطي ويهيمن على جميع أجزاء ومساحات وجوده، ويشتمل عليها، فلا تشذ عنه، ولا تنتكر له.

وحين يجلس متمكناً على المنبر، يشير إلى أنه إذا تمكن من أمر الخلافة، ووجد الأعوان على إصلاح الأمور التي تمثل بالتشبيك بين الأصابع، فإنه سيقم دين الله سبحانه، وسيحمي عباد الله بهذا السيف الذي هو سيف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيف الرسول هو سيف الله، وسيف الإسلام.. ولماذا لا يكون المجاهد القوي، والمضحي السخي، والصادق والمدافع، والمكافح عن نهج الرسول «صلى الله عليه وآله»، وعن حرمة الدين وأهله، تماماً كما ناضل وجاهد وضى ودافع في جميع أدوار حياته.

وإذا قال لهم: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنما يؤكد لهم أنه وحده الذي يحيط بكل ما يحتاجون إليه مما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم.

وهو يؤكد: على أن من واجبه أن يسعوا إلى نيل المعارف التي يحتاجونها، وأن يبادروا إلى السؤال عن كل ما يهمهم في دنياهم وآخرتهم، وأنهم إن قصرُوا في ذلك، فاللوم يقع عليهم.

ثم هو يشير إلى أن فقدانهم إياه نقصان حظ، وخسارة لهم.

ثم أوضح لهم: أنه هو سبط العلم، وأنه نفس الرسول «صلى الله عليه وآله»، حتى إن لعبه «عليه السلام» هو لعب الرسول «صلى الله عليه وآله». فإذا كان الصحابة يلتزمون البركة من لعب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فما أحراهم أن يلتمسوا البركة في لعب علي «عليه السلام»، فإنه مثله في الخصوصيات والآثار المادية والمعنوية.

ثم وصف «عليه السلام» لهم ما عنده من علوم، وبين لهم مجالاتها، وامتداداتها، وتنوعها، وشمولها.. وأشار إلى شدة مطابقتها للحقيقة.

ثم قرر لهم: أنه «عليه السلام» يعلم بما كان ويكون إلى يوم القيامة.

ويكون بذلك قد محضهم النصيحة، حين أكد لهم إمامته الواقعية، التي منحه الله ورسوله إياها، وأكد أن الإمامة في ولده، في الحسن «عليه السلام» أولاً، ثم في الحسين «عليه السلام» ثانياً. وأبطل إمامة أسلافه ومن يأتي بعده من غير الأئمة من ولده «عليهم السلام»، لأنهم يفقدون هذه الخصوصيات كلها.

وقد ذكرت الرواية: أن ملك المجوس قد برر ارتكابه جريمة الزنا بابنته في حال سكره: بأن آدم «عليه السلام» قد زوج بناته من أبنائه.

وهو كلام باطل في حد نفسه حتى لو صح - ولا يصح ذاك أبداً -
أن آدم «عليه السلام» قد فعل ذلك، للأسباب التالية:

أولاً: لأن تحليل زواج الأبناء بالبنات لا يعني تجويز الزنا بهن.

ثانياً: إن تحليل ذلك بين الإخوة لا يعني تحليله بين الأب وابنته،
فضلاً عن أن يكون بنحو الزنا.

ثالثاً: إن هذا الادعاء غير صحيح، وحيث إن ذلك يحتاج إلى بعض
البسط في البيان، فإننا نفرّد فصلاً مستقلاً، وهو الآتي بعد هذا الفصل
مباشرة.

لا تجهلك قريش:

وقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لولده الإمام الحسن «عليه
السلام»: اصعد المنبر، فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي،
فيقولون: إن الحسن لا يحسن شيئاً.

ونقول:

إن ذلك يدلنا على أمور كثيرة، نذكر منها:

1 - إنه «عليه السلام» يرى: أن قبيلة قريش هي المشكلة، وهي
التي تحاول الطعن بأهلية وملكات وميزات ولده الإمام الحسن «عليه
السلام».

وهو يريد من ولده: أن يتكلم على المنبر، ليسمع الناس كلامه،
وليظهر لهم فضله بصورة مباشرة، وليعرف الناس من هم أولئك

الذين يشيعون الأكاذيب عنه، لكي لا يُخدَعوا بشائعاتهم حين يخفون أنفسهم، ليظن الظان: أن هذا هو رأي الناس فيه، وأن قريشاً بعيدة عن هذا الجور، وليس لها دور في إطلاق هذه الشائعات.

كما أنه «عليه السلام» يريد أن يكون ذلك بمثابة تكذيب عملي ملموس لما تشيعه قريش من طعن وأباطيل، فإنه أوقع في النفس، وأعظم تأثيراً.

وليتذكر الناس هذا الموقف في مستقبل الأيام.. ويعرفوا أنها خطة مدبرة منذ زمن بعيد، وإن الأمور لا تجري بصورة عفوية..

2 - إنه «عليه السلام» وإن كان قد سمع كما سمع الناس رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرر إمامة الحسنين «عليهما السلام» بقوله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».. ولكنه كان يعرف: أن قريشاً كانت قادرة على التمويه على الناس. ولو بادعاء: أن العاطفة هي التي دعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأن يقول هذا القول، وأنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعلم الغيب، ولو علم أن ولده لا يحسن شيئاً لم يقل في حقه ما قال.. وقد أشاعوا عنه «صلى الله عليه وآله» أنه يقول في الرضا وفي الغضب.. إلى غير ذلك من ترهات وأباطيل ينسجونها للتشكيك، أو فقل: لإبطال أثر النص النبوي الشريف.

فأراد «عليه السلام»: أن يجسد للناس عملياً كذبهم فيما يحاولون التسويق له، وخداع الناس به..

3 - إنه «عليه السلام» كان ينظر إلى المستقبل، وما يكون بعده نظرة ثاقبة. ويخطط لمعالجة السلبيات التي ستظهر فيه، وكان يحاول صيانة الناس من شائعات أهل الباطل، وحفظ السلامة لهم في دينهم، وفي حياتهم السياسية والاجتماعية..

وهو بذلك يعطي درساً لكل الناس بأن عليهم جميعاً أن يتحملوا مسؤولياتهم في الحياة وبعد الممات. وأن مهماتهم لا تقتصر على معالجة ما يواجهونه في حال حياتهم.. بل عليهم أن يرصدوا الحركة العامة، وتأثيراتها في الحاضر والمستقبل، حتى فيما يلقي إليها من أهل الأهواء والأطماع.

الحسان يخطبان:

إن الإمام الحسن «عليه السلام» حين تحرّج في تصديه للخطابة بحضرة والده، لم يكن يخشى من أن يصاب بالإرتباك، والعي لو أنه خطب في حضرته. ولكنه أراد أن يقدم نموذجاً للأدب وللخلق الرفيع الطافح بالتواضع، وبالتعظيم لو والده العظيم. فإنه لا يريد أن يرى نفسه رافعاً صوته فوق صوت والده، ولو لأجل أن يسمع الناس كلامه. ولأجل ذلك امتثل امر والده، وأرضاه والده باستجابته له، بأن يكون في موضع يسمع فيه كلامه ولا يريه شخصه.

خطبة الحسين عليه السلام:

وما أروعها من خطب بليغة التزم فيها الحسان «عليهما السلام»

بالأدب مع والدهما، وأديا فيها حقها، ونصحا للأمة حيث وجهها الأمة إلى المصدر والمعين الأصفي لمعارفها وعلومها، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خلال علي «عليه السلام»، الذي هو الباب الموصل إليه دون سواه، بل هو مدينة هدى، فمن دخلها نجا، ومن تخلف عنها غرق..

الفصل الخامس:

امتداد نسل آدم ﷺ..

زواج أبناء آدم عليه السلام:

وقد ورد في الرواية التي ذكرناها في الفصل السابق: أن ملك المجوس برر ارتكابه جريمة الزنا بابنته: بأن الله تعالى لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم، وأمنا حواء، وقد زوج بنيه ببناته، وبناته من بنييه.

فقالوا له: صدقت هذا هو الدين.

وقد وعدنا في ذلك الفصل: أن نفرد لبيان هذا الموضوع فضلاً مستقلاً لبيان ما نعتقد أنه الحق فيه، وقد حان الآن موعد الوفاء بذلك الوعد، فنقول:

بداية توضيحية:

إننا قبل تفصيل القول في هذا المورد نشير إلى ما يلي:

1 - إن القول بأن آدم قد زوج بنيه بناته، هو قول المجوس، وإن ذلك من دينهم.

2 - إن هذا القول هو مذهب غير الشيعة أيضاً، وهو في رواياتهم.

3 - إن بعض علماء الشيعة - وهو السيد الطباطبائي «رحمه الله» - لم ير بهذا القول بأساً⁽¹⁾.

4 - إن كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يدل على قبوله بمقولة المجوس هذه.

أكرم الخلق على الله:

وقد تضمن النص المتقدم ما يدل: على أن ما ذكره «عليه السلام» من قول المجوس لا يعني أنه يعتبره حقاً، ولم يذكره على سبيل الرضا والالتزام بمضمونه، ففيه: أن ملك المجوس قال لقومه: إن أكرم الخلق على الله هو أبونا آدم، وأما حواء.

وهذا غير صحيح، فإن أكرم الخلق على الله هو نبينا محمد «صلى الله عليه وآله»، وعلي، والسيد فاطمة الزهراء، ثم الأئمة، وإبراهيم الخليل، ثم أولوا العزم من الأنبياء «عليهم السلام»، وليس آدم وحواء من هؤلاء.. نعم.. هو من الأنبياء، وأبو البشر.

قبح تزويج الأخوة بالأخوات:

ثم إن تزويج الإخوة بالأخوات مما لا يمكن صدوره عن الله تبارك وتعالى، وتوضيح ذلك:

أن العدلية يرون: أن للحسن واقعية وقيمة ذاتية في الأفعال، وأن

(1) تفسير الميزان ج 4 ص 144 و 145.

هذه القيمة هي التي تجعل العقل يرجح ذلك الفعل.. كما أن القبح أمر واقعي في الأفعال، وفيه خصوصية سيئة تجعل العقل يرفضه ويأباه.

فالفعل الحسن هو ما ينبغي فعله عند العقلاء، ويستحق فاعله عليه المدح. والقبيح هو ما ينبغي تركه، ويستحق فاعله الذم. أي أن عقل جميع العقلاء يدرك أن هذا ينبغي فعله، وذاك ينبغي تركه. وهذا الإدراك هو المراد بحكم العقل، بالحسن والقبح.

وهذا ما يصطلح عليه بالعقل العملي، لأن المدرك هو مما ينبغي أن يفعل أو يترك.

أما العقل النظري فهو الذي يتعلق فيما ينبغي أن يعلم، مثل الكل أعظم من الجزء ونحو ذلك.

وإدراك المصلحة والمفسدة، وإدراك الكمال والنقص هو من موارد العقل النظري، لأن هذا مما ينبغي أن يعلم.

أما إدراك أن هذا مما ينبغي فعله، لأنه كمال للنفس، أو لأن فيه مصلحة، فيدخل في دائرة العقل العملي.

والدخول في بيان الأقسام المختلفة والوصول إلى المعايير في ذلك يحتاج إلى بسط في القول وتوسع في البيان. وليس ههنا محله.. فيمكن مراجعة الكتب التي بحثت هذا الموضوع، ولعل أيسرها كتاب أصول الفقه للشيخ محمد رضا المظفر «رحمه الله».

وبملاحظة ما ذكرناه، نقول:

إن من المعلوم: أن الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد الواقعية

وليست مجرد أمور مجعولة تكتسب قيمتها من نفس إنشائها وجعلها. وهذا معناه: أنه لا يمكن أن يكون زواج الأخ بأخته حلالاً، ثم يصير حراماً، لأن المنع فيه إنما هو لخصوصية ومفسدة واقعية هي دعت إلى إلزام الناس بالإبتعاد عنه.

والمصالح والمفاسد قد تكون ظاهرة ومعلومة، وقد تكون مما يحتاج إلى تعليم وكشف، وبيان، فإذا تولى الشارع الكشف عن هذه المصالح والمفاسد، فيدرك العقل القبح والحسن في مجال العمل، من حيث يحكم بأن ما فيه مصلحة واقعية لا بد أن يكون مما ينبغي فعله، وما فيه مفسدة واقعية فهو مما ينبغي تركه.

وحكم الشارع بحرمة زواج الأخ بأخته، حكماً مؤبداً، ومرتباً على الموضوع بعنوانه الأولي. أي من حيث هو أخ وأخت، يكشف عن وجود مفسدة واقعية اقتضت هذا الحكم.. فيأتي العقل العملي ليحسن أو ليقبح عمل ما ظهرت مصلحته، أو الإجتنب عما ظهرت مفسدته..

ولعل هذا هو السبب في حكم السبزواري بقبح زواج الأخ بأخته فيما يرتبط بأبناء آدم «عليه السلام».

الصحيح من القول:

والروايات التي بين أيدينا تصب في اتجاهين:

أحدهما: القول: بأن انبثاق النسل كان بتزويج الإخوة بالأخوات.

الآخر: رفض صحة هذا القول بحزم وبشدة.

ونرى: أنه لا بد من رفض بعض الأخبار القليلة جداً التي تحدثت عن تزويج الإخوة بالأخوات:

أولاً: لأنها موافقة لما يقوله غير أهل البيت وشيعتهم، فاحتمال صدورها على سبيل التقية قوي، ويكفي في التقية أن لا يعرضوا شيعتهم لبعض المتاعب من أولئك الناس.

ثانياً: لأن ما ورد في الأخبار النافية لهذا الأمر من تعليل واستدلال متوافق مع المنطق المعقول والمقبول.

بالإضافة إلى أمور أخرى تسهل على الباحث الركون إليها، والتعويل عليها في الالتزام بهذا القول.

ماذا عن الروايات؟!:

فمن الروايات التي تؤيد تزويج الإخوة بالأخوات نذكر:

1 - روايتهم: أن قابيل قال: لا عشت يا هابيل في الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني، وتريد أن تأخذ أختي الحسنة وأخذ أختك القبيحة؟!!

فقال له هابيل ما حكاك الله، فشدخه بحجر فقتله. روي ذلك عن أبي جعفر - أي الطبري - وغيره من المفسرين (1).

(1) بحار الأنوار ج 11 ص 219 والتبيان للشيخ الطوسي ج 3 ص 493 وتفسير مجمع البيان ج 3 ص 315 والتفسير الصافي ج 2 ص 28 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 609.

توضيح هذه الرواية ليست مروية من طرق الشيعة، بل نقلها الطبرسي في مفسري أهل السنة.

2 - عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت علي بن الحسين «عليه السلام» يحدث رجلاً من قريش قال: لما تاب الله على آدم، واقع حواء ولم يكن غشياً منذ خلق وخلقت إلا في الأرض، وذلك بعدما تاب الله عليه.

قال: وكان آدم يعظم البيت وما حوله من حرمة البيت، وكان إذا أراد أن يغشى حواء خرج من الحرم وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشياً في الحل ثم يغتسلان إعظاماً منه للحرم، ثم يرجع إلى فناء البيت.

قال: فولد لآدم من حواء عشرون ولداً ذكراً، وعشرون أنثى، فولد له في كل بطن ذكر وأنثى، فأول بطن ولدت حواء هابيل ومعه جارية يقال لها: إقليما.

قال: وولدت في البطن الثاني، قابيل ومعه جارية يقال لها: لوزا، وكانت لوزا أجمل بنات آدم.

قال: فلما أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة، فدعاهم إليه وقال: أريد أن أنكحك يا هابيل لوزا، وأنكحك يا قابيل إقليما.

قال قابيل: ما أَرْضَى بهذا، أتنكحني أخت هابيل القبيحة وتنكح هابيل أختي الجميلة؟!!

قال آدم: فأنا أقرع بينكما، فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزا،

وخرج سهمك يا هابيل على إقليما زوجت كل واحد منكما التي خرج سهمه عليها.

قال: فرضيا بذلك، فاقترعا.

قال: فخرج سهم هابيل على لوزا أخت قابيل، وخرج سهم قابيل على إقليما أخت هابيل.

قال: فزوجهما على ما خرج لهما من عند الله.

قال: ثم حرم الله نكاح الأخوات بعد ذلك.

قال: فقال له القرشي: فأولداهما؟!!

قال: نعم.

قال: فقال القرشي: فهذا فعل المجوس اليوم.

قال: فقال علي بن الحسين «عليه السلام»: إن المجوس إنما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله.

ثم قال علي بن الحسين «عليه السلام»: لا تنكر هذا، أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثم أحلها له؟! فكان ذلك شريعة من شرائعهم ، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك(1).

(1) بحار الأنوار ج11 ص225 و 226 والإحتجاج (ط دار النعمان) ج2 ص43 - 45 والتفسير الصافي ج1 ص418 وتفسير نور الثقلين ج1 ص435 وتفسير كنز الدقائق ج2 ص344 وتفسير الميزان ج4 ص147 وقصص الأنبياء للجزائري ص65.

3 - ابن عيسى، عن البزنطي قال: سألت الرضا «عليه السلام» عن الناس كيف تناسلوا من (عن خ) آدم «عليه السلام»؟!

فقال: حملت حواء هابيل وأختاً له في بطن، ثم حملت في البطن الثاني قابيل وأختاً له في بطن. فزوج هابيل التي مع قابيل وتزوج قابيل التي مع هابيل، ثم حدث التحريم بعد ذلك (1). وهذه الرواية صحيحة من حيث السند.

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»: هذان الخبران محمولان على النقية، لاشتغال ذلك بين العامة (2).

روايات الرأي المعتمد:

1 - قال اليعقوبي: «وقد روى بعضهم: أن الله عز وجل أنزل لهابيل حوراء من الجنة، فزوجه بها، وأخرج لقابيل جنية، فزوجه بها، فحسد قابيل أخاه على الحوراء، فقال لهما آدم: قربا قرباناً! فقرب هابيل من تين زرع، وقرب قابيل أفضل كبش في غنمه لله، فقبل الله قربان هابيل، ولم يقبل قربان قابيل، فازداد نفاسة وحسداً، وزين له

(1) بحار الأنوار ج 11 ص 226 وقرب الإسناد ص 366 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج 1 ص 51 والتفسير الصافي ج 1 ص 417 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 433 وتفسير كنز الدقائق ج 2 ص 343.

(2) بحار الأنوار ج 11 ص 226.

الشيطان قتل أخيه، فشدخه بالحجارة، حتى قتله (1).

2 - ابن الوليد، عن أحمد بن إدريس ومحمد العطار معاً، عن الأشعري، عن أحمد بن الحسن بن فضال، عن أحمد بن إبراهيم بن عمار، عن ابن نويه، عن زرارة قال: سئل أبو عبد الله «عليه السلام»: كيف بدأ النسل من ذرية آدم «عليه السلام»، فإن عندنا أناساً يقولون: إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم «عليه السلام»: أن يزوج بناته من بنيهِ، وأن هذه الخلق كلهم أصله من الإخوة والأخوات.

قال أبو عبد الله «عليه السلام»: سبحان الله، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، يقول من يقول هذا: إن الله عز وجل جعل أصل صفوة خلقه، وأحبائه وأنبيائه ورسله، والمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطيب؟! والله لقد تبينت أن بعض البهائم تنكرت له أخته، فلما نزا عليها ونزل كشف له عنها، وعلم أنها أخته أخرج غرموله، ثم قبض عليه بأسنانه ثم قلعه، ثم خر ميتاً.

قال زرارة: ثم سئل «عليه السلام» عن خلق حواء، وقيل له: إن أناساً عندنا يقولون: إن الله عز وجل خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى، قال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً! يقول من يقول

(1) تاريخ اليعقوبي (ط النجف) ج 1 ص 2 و (ط دار صادر) ج 1 ص 6 و 7.

هذا: إن الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه، وجعل لمتكلم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام؟! يقول: إن آدم كان ينكح بعضه بعضاً، إذا كانت من ضلعه؟! ما لهؤلاء؟! حكم الله بيننا وبينهم.

ثم قال: إن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من طين أمر الملائكة فسجدوا له، وألقى عليه السبات، ثم ابتدع له خلقاً، ثم جعلها في موضع النقرة التي بين ركبتيه، وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل، فأقبلت تتحرك، فانتبه لتحركها، فلما انتبه نوديت أن تنحي عنه، فلما نظر إليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنها أنثى، فكلمها فكلمته بلغته، فقال لها: من أنت؟! فقلت:

فقلت: خلق خلقتني الله كما ترى.

فقال آدم عند ذلك: يا رب، من هذا الخلق الحسن الذي قد أنسني قربه والنظر إليه؟! فقال الله:

فقال الله: هذه أمتي حواء (1).

(1) علل الشرائع ج 1 ص 17 و 18 وبحار الأنوار ج 11 ص 220 و 221 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 20 ص 365 و 366 و (ط دار الإسلامية) ج 14 ص 277 وجامع أحاديث الشيعة ج 20 ص 5 و 394 والتفسير الصافي ج 1 ص 415 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 430 وتفسير كنز الدقائق ج 2 ص 340 وقصص الأنبياء للراوندي ص 57 و 58 وقصص الأنبياء للجزائري ص 61.

ملاحظة سنديّة:

يمكن القول بأن هذه الرواية معتبرة من حيث السند، فإن أحمد بن محمد بن يحيى بن عثمان الأشعري وإن كان لم يوثق في الرجال، ولكنه من مشايخ الإجازة، وقد روى عنه الأجلة، مثل محمد بن يحيى العطار، وأحمد بن محمد بن إدريس.

وأما أحمد بن إبراهيم، وابن نوبة، فقد وقع في السند قبلها ابن فضال، وقد جاء في خبر معتبر رواه الشيخ الطوسي عن وكيل الناحية المقدسة: أن خذوا ما رووا وذرّوا ما رأوا (1).

3 - أبي، عن محمد بن يحيى العطار، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمد بن أورمة، عن النوفلي، عن علي بن داود اليعقوبي، عن الحسن بن مقاتل، عن سمع زرارة يقول:

سئل أبو عبد الله «عليه السلام» عن بدء النسل من آدم كيف كان، وعن بدء النسل عن ذرية آدم، فإن أناساً عندنا يقولون: إن الله عز وجل أوحى إلى آدم يزوج بناته ببنيه، وأن هذا الخلق كله أصله من الإخوة والأخوات؟!

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

(1) الغيبة للشيخ الطوسي ص 389 و 390 والفصول المهمة للحر العاملي ج 1 ص 593 وجامع أحاديث الشيعة ج 1 ص 229 وبحار الأنوار ج 2 ص 252 وج 51 ص 358 ومستدرک سفينة البحار ج 6 ص 42 وج 7 ص 203.

يقول من قال هذا: بأن الله عز وجل خلق صفوة خلقه وأحبابه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطهر الطاهر الطيب، فوالله لقد تبينت أن بعض البهائم تنكرت له أخته فلما نزا عليها ونزل كشف له عنها فلما علم أنها أخته أخرج غرموله، ثم قبض عليه بأسنانه حتى قطعه فخر ميتاً، وآخر تنكرت له أمه، ففعل هذا بعينه، فكيف الإنسان في إنسيته وفضله وعلمه، غير أن جيلاً من هذا الخلق الذي ترون رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم، وأخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه، فصاروا إلى ما قد ترون من الضلال والجهل بالعلم، كيف كانت الأشياء الماضية من بدء أن خلق الله ما خلق وما هو كايين أبداً.

ثم قال: ويح هؤلاء، أين هم عما لم يختلف فيه فقهاء أهل الحجاز، ولا فقهاء أهل العراق، إن الله عز وجل أمر القلم فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كايين إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بألفي عام. وإن كتب الله كلها فيما جرى فيه القلم في كلها تحريم الأخوات على الإخوة مع ما حرم.

وهذا نحن قد نرى منها هذه الكتب الأربعة المشهورة في هذا العالم: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، أنزلها الله عن اللوح المحفوظ عن رسله صلوات الله عليهم أجمعين، منها: التوراة على موسى «عليه السلام» والزبور على داود «عليه السلام»، والإنجيل

على عيسى «عليه السلام»، والقرآن على محمد «صلى الله عليه وآله»، وعلى النبيين «عليهم السلام»، وليس فيها تحليل شيء من ذلك.

حقاً أقول: ما أراد من يقول هذا وشبهه إلا تقوية حجج المجوس، فما لهم قاتلهم الله؟!!

ثم أنشأ يحدثنا كيف كان بدء النسل من آدم، وكيف كان بدء النسل من ذرية، فقال: إن آدم «عليه السلام» ولد له سبعون بطناً في كل بطن غلام وجارية، إلى أن قتل هابيل، فلما قتل قابيل هابيل جزع آدم على هابيل جزعاً قطعته عن إتيان النساء، فبقي لا يستطيع أن يغشى حواء خمسمائة عام، ثم تخلص ما به من الجزع عليه، فغشى حواء فوهب الله له شيئاً وحده ليس معه ثان، واسم شيث هبة الله، وهو أول من أوصى إليه من الآدميين في الأرض.

ثم ولد له من بعد شيث يافث، ليس معه ثان، فلما أدركا وأراد الله عز وجل أن يبلغ بالنسل ما ترون، وأن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرم الله عز وجل من الأخوات على الإخوة أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها «نزلة»، فأمر الله عز وجل آدم أن يزوجه من شيث، فزوجه منها، ثم أنزل بعد العصر حوراء من الجنة اسمها «منزلة»، فأمر الله تعالى آدم أن يزوجه من يافث، فزوجه منها، فولد لشيث غلام، وولدت ليافث جارية، فأمر الله عز وجل آدم حين أدركا أن يزوج بنت يافث من ابن شيث، ففعل،

فولد الصفوة من النبيين والمرسلين من نسلهما، ومعاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوا من الإخوة والأخوات (1).

4 - وقد روى الصدوق القسم الأخير من الحديث: عن زرارة، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن آدم «عليه السلام» ولد له شيث وأن اسمه هبة الله، وهو أول وصي أوصي إليه من الأدميين في الأرض، ثم ولد له بعد شيث يافث.. إلى آخر الرواية المتقدمة (2).

ملاحظة: هذه الرواية صحيحة حسب.. وعد الشيخ الصدوق «رحمه الله» في مشيخة من لا يحضره الفقيه.

5 - ابن المتوكل، عن الحميري، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مقاتل بن سليمان، عن الصادق «عليه السلام» عن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: أوصى آدم إلى شيث وهو هبة الله ابن آدم، وأوصى شيث إلى ابنه شبان وهو ابن نزلة الحوراء التي أنزلها الله على آدم من الجنة، فزوجها ابنه شيثاً الخ.. (3).

(1) علل الشرائع ج 1 ص 18 - 20 وبحار الأنوار ج 11 ص 223 و 224 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 431 و 432 وتفسير كنز الدقائق ج 2 ص 341 و 342 وقصص الأنبياء للجزائري ص 63 و 64.

(2) من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 381 وجامع أحاديث الشيعة ج 20 ص 391.

(3) بحار الأنوار ج 11 ص 225 وج 17 ص 148 وج 33 ص 57 والإمامة والتبصرة ص 21 والأمالى للصدوق ص 486 و 487 وكمال الدين ص 211 ومن لا يحضره الفقيه ج 4 ص 175 والأمالى للشيخ الطوسي

6 - كتاب المحتضر للحسن بن سليمان نقلاً من كتاب الشفاء والجلء بإسناده عن معاوية بن عمار قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن آدم أبي البشر: أكان زوج ابنته من ابنه؟!

فقال: معاذ الله، والله لو فعل ذلك آدم «عليه السلام» لما رغب عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما كان آدم إلا على دين رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقلت: وهذا الخلق من ولد من هم، ولم يكن إلا آدم وحواء؟! لأن الله تعالى يقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)(1). فأخبرنا: أن هذا الخلق من آدم وحواء «عليهما السلام»، فقال «عليه السلام»: صدق الله، وبلغت رسله، وأنا على ذلك من الشاهدين.

فقلت : ففسر لي يا ابن رسول الله.

فقال: إن الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما ولدت حواء بنتاً، فسمها عناقاً، فكانت أول من بغى على وجه الأرض، فسلط الله عليها ذنباً كالفيل ونسراً كالحمار فقتلها، ثم ولد له أثر عناق قابيل بن آدم، فلما أدرك قابيل ما يدرك الرجل أظهر الله عز

ص442 وبشارة المصطفى ص136 وقصص الأنبياء للراوندي ص369

وغاية المرام ج2 ص204.

(1) الآية 1 من سورة النساء.

وجل جنية من ولد الجان يقال لها: جهانة، في صورة إنسية، فلما رآها قابيل ومقها، فأوحى الله إلى آدم: أن زوج جهانة، من قابيل فزوجها من قابيل، ثم ولد لآدم هابيل، فلما أدرك هابيل ما يدرك الرجل أهبط الله إلى آدم حوراء واسمها: ترك الحوراء، فلما رآها هابيل ومقها فأوحى الله إلى آدم: أن زوج تركاً من هابيل.

ففعل ذلك، فكانت ترك الحوراء زوجة هابيل بن آدم.

إلى أن قال:

وإن هابيل يوم قتل كانت امرأته ترك الحوراء حبلى، فولدت غلاماً، فسماه آدم باسم ابنه هابيل.

وإن الله عز وجل وهب لآدم بعد هابيل ابناً فسماه شيثاً، ثم قال :
ابني هذا هبة الله.

فلما أدرك شيث ما يدرك الرجل أهبط الله على آدم حوراء يقال لها: ناعمة في صورة إنسية، فلما رآها شيث ومقها، فأوحى الله إلى آدم: أن زوج ناعمة من شيث، ففعل ذلك آدم، فكانت ناعمة الحوراء زوجة شيث، فولدت له جارية، فسماهها آدم حورية، فلما أدركت أوحى الله إلى آدم: أن زوج حورية من هابيل بن هابيل، ففعل ذلك آدم، فهذا الخلق الذي ترى من هذا النسل الخ..(1).

(1) بحار الأنوار ج 11 ص 226 - 228 ومستدرك الوسائل ج 14 ص 361 و 362 وجامع أحاديث الشيعة ج 20 ص 393 .

7 - عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: إن آدم ولد له أربعة ذكور، فأهبط الله إليهم أربعة من الحور العين، فزوج كل واحد منهم واحدة فتوالدوا، ثم إن الله رفعهن وزوج هؤلاء الأربعة أربعة من الجن، فصار النسل فيهم، فما كان من حلم فمن آدم، وما كان من جمال فمن قبل الحور العين، وما كان من قبح أو سوء خلق فمن الجن (1).

8 - عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: قال لي: ما يقول الناس في تزويج آدم ولده؟! قال:

قال: قلت: يقولون: إن حواء كانت تلد لآدم في كل بطن غلاماً وجارية، فتزوج الغلام الجارية التي من البطن الآخر الثاني، وتزوج الجارية الغلام الذي من البطن الآخر الثاني، حتى توالدوا.

فقال أبو جعفر «عليه السلام»: ليس هذا كذاك، ولكنه لما ولد آدم هبة الله وكبر سأل الله أن يزوجه، فأُنزل الله له حوراء من الجنة، فزوجها إياه، فولد له أربعة بنين، ثم ولد لآدم ابن آخر، فلما كبر أمره فتزوج إلى الجان، فولد له أربع بنات، فتزوج بنو هذا بنات هذا، فما كان من جمال فمن قبل الحوراء، وما كان من حلم فمن قبل آدم، وما

(1) تفسير العياشي ج 1 ص 215 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 433 وتفسير كنز الدقائق ج 2 ص 344 وبحار الأنوار ج 11 ص 244 وج 60 ص 97 وقصص الأنبياء للجزائري ص 68.

كان من خفة فمن قبل الجان.

فلما توالدوا صعدت الحوراء إلى السماء(1).

9 - عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»:

جعلت فداك، إن الناس يزعمون: أن آدم زوج ابنته من ابنه.

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: قد قال الناس ذلك، ولكن يا سليمان: أما علمت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: لو علمت أن آدم زوج ابنته من ابنه لزوجت زينب من القاسم، وما كنت لأرغب عن دين آدم؟!

فقلت: جعلت فداك، إنهم يزعمون: أن قابيل إنما قتل هابيل لأنهما تغaira على أختهما.

فقال له: يا سليمان تقول هذا؟! أما تستحيي أن تروي هذا على نبي الله آدم؟!

فقلت: جعلت فداك، ففيم قتل قابيل هابيل؟!

فقال: في الوصية.

ثم قال لي: يا سليمان، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم أن يدفع الوصية واسم الله الأعظم إلى هابيل، وكان قابيل أكبر منه، فبلغ ذلك قابيل فغضب، فقال: أنا أولى بالكرامة والوصية، فأمرهما أن

(1) تفسير العياشي ج 1 ص 216 وبحار الأنوار ج 11 ص 244 وتفسير نور

الثقلين ج 1 ص 433.

يقربا قرباناً بوحي من الله إليه، ففعلا، فقبل الله قربان هابيل، فحسده قابيل فقتله.

فقلت له: جعلت فداك، فممن تناسل ولد آدم؟!!

هل كانت أنثى غير حواء؟! وهل كان ذكر غير آدم؟!!

فقال: يا سليمان، إن الله تبارك وتعالى رزق آدم من حواء قابيل، وكان ذكر ولده من بعده هابيل، فلما أدرك قابيل ما يدرك الرجال أظهر الله له جنية وأوحى إلى آدم أن يزوجها قابيل، ففعل ذلك آدم، ورضي بها قابيل وقنع، فلما أدرك هابيل ما يدرك الرجال أظهر الله له حوراء وأوحى الله إلى آدم أن يزوجها من هابيل، ففعل ذلك، فقتل هابيل والحوراء حامل، فولدت حوراء غلاماً، فسماه آدم: هبة الله، فأوحى الله إلى آدم: أن ادفع إليه الوصية واسم الله الأعظم.

وولدت حواء غلاماً، فسماه آدم شيث بن آدم، فلما أدرك ما يدرك الرجال أهبط الله له حوراء وأوحى إلى آدم: أن يزوجها من شيث بن آدم ففعل، فولدت الحوراء جارية فسمها آدم حورة، فلما أدركت الجارية زوج آدم حورة بنت شيث من هبة الله بن هابيل، فنسل آدم منهما، فمات هبة الله بن هابيل، فأوحى الله إلى آدم: أن ادفع الوصية واسم الله الأعظم وما أظهرتك عليه من علم النبوة، وما علمتك من الأسماء إلى شيث بن آدم، فهذا حديثهم يا سليمان⁽¹⁾.

(1) تفسير العياشي ج 1 ص 312 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 610 وبحار

10 - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان بن يحيى، عن خالد بن إسماعيل، عن رجل من أصحابنا من أهل الجبل، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: ذكرت له المجوس، وأنهم يقولون: نكاح كنكاح ولد آدم، وإنهم يحتاجوننا بذلك. **فقال:** أما أنتم فلا يحتاجونكم به، لَمَّا أدرك هبة الله قال آدم: يا رب، زوج هبة الله.

فأهبط الله عز وجل له حوراء، فولدت له أربعة غلمة، ثم رفعها الله.

فلما أدرك ولد هبة الله قال: يا رب، زوج ولد هبة الله.

فأوحى الله عز وجل إليه أن يخطب إلى رجل من الجن - وكان مسلماً - أربع بنات له على ولد هبة الله، فزوجهن، فما كان من جمال وحلم فمن قبل الحوراء والنبوة. وما كان من سفه أو حدة فمن الجن (1).

11 - علي بن حاتم، عن أبي عبد الله بن ثابت، عن عبد الله بن أحمد، عن القاسم بن عروة، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر «عليه

الأنوار ج 11 ص 245 و 246.

(1) الكافي ج 5 ص 569 وبحار الأنوار ج 60 ص 96 وجامع أحاديث الشيعة ج 20 ص 396 والتفسير الصافي ج 1 ص 416 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 434 وتفسير كنز الدقائق ج 2 ص 342.

السلام» قال: إن الله عز وجل أنزل حوراء من الجنة إلى آدم، فزوجها أحد ابنيه، وتزوج الآخر الجن، فولدتا جميعاً، فما كان من الناس من جمال وحسن خلق فهو من الحوراء، وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجان، وأنكر أن يكون زوج بنيه من بناته(1).

تناقضات في الروايات المتقدمة:

يلاحظ مدى التناقض والاختلاف في عدد من العناصر التي تضمنتها تلك الروايات، فلاحظ على سبيل المثال:

ألف: اختلافها في أسماء الحورية، أو الحوريات، أو الجنية، أو الجنيات.

ب: اختلافها في عددهن.

ج: اختلافها في الولد الأكبر: هل هو قابيل؟! أم هابيل؟!!

د: اختلافها في شيث وهبة الله، هل هما اسمان لرجل واحد؟! أو لرجلين؟!!

ويمكن حل هذا الإشكال بما يلي:

(1) علل الشرائع ج 1 ص 103 وبحار الأنوار ج 11 ص 236 وج 60 ص 96 وجامع أحاديث الشيعة ج 20 ص 392 وتفسير نور الثقلين ج 1 ص 433 وج 5 ص 391 وتفسير كنز الدقائق ج 2 ص 341 ومستدرک الوسائل ج 14 ص 362 وقصص الأنبياء للجزائري ص 67 ومناقب آل أبي طالب ج 3 ص 334 .

1 - إن هذه المسألة لم تكن موضع تداول بين الناس ليهتم الراوي بحفظها وضبطها، وليحرص على أن لا يقع بالخطأ فيها، فيشنع عليه به الحفاظ الآخرون، بل هي مسألة يندر استحضارها، والتوقف عندها.

2 - لم يكن جميع الرواة من أهل الدقة والضبط، وإذا مضى على مسامعهم زمن طويل، فقد تختلط عليهم بعض التفاصيل، ويقع في كلامهم التغيير والتبديل.

3 - وقد يشتبه الأمر عليه بسبب ما ذكرناه وغيره، فيحسب اللقب اسماً، أو الاسم لقباً، كما هو الحال في كلمتي: شيث، وهبة الله.

4 - وقد يقدم المتأخر، ويؤخر المتقدم، فيقدم هابيل تارة، ويقدم قابيل أخرى.

5 - إن تشابه اسمي هابيل وقابيل قد يوقع بعض الناس في الخلط والخطأ، فيزعم راو: أن هابيل هو القاتل، ويكون غيره أكثر دقة، فيقول: بل كان قابيل هو القاتل، وقد ينسب قربان هذا إلى ذاك، وعمل ذاك إلى هذا.

6 - وعن النساء اللواتي خلقهن الله من العنصر الذي يتكون منه الجن، أو يتكون منه الحور، إذا تعدد خلق نساء من هذا العنصر أو ذاك، لأجل شيث ويافت، وقابيل، وهابيل الأب، وهابيل الابن، فقد يحصل الخلط بين أسمائهم وأسمائهن. وإذا كان هناك اثنان اسمهما هابيل، فإن إمكانية حصول الغلط والخلط تصير أكبر، كما أن بعض

أسماء البنات قد يكون لقباً، وقد يكون اسماً.

7 - كما أن الراوي قد يظن أن هبة الله غير شيث، وقد يظنهما اسمين حقيقيين، وقد .. وقد.

8 - وبعد هذا البيان يتضح: أن هذا الاختلاف لا يعني: أن ثمة تعمداً للكذب، كما أنه لا يسقط ما اتفقت عليه الروايات عن الإعتبار إذا كانت الروايات متفقة في سياقها العام، وفي العناصر الأساسية التي سيقت لتأكيداتها، وفي القضية المحورية فيها، وهي تأكيد وإثبات أن الإخوة لم يتزوجوا بالأخوات، لأن اختلاف الروايات إنما هو في مجال التطبيق في التقديم والتأخير، وفي الأسماء وفي غير ذلك، فلا بأس بأن تسقط حجيتها فيما اختلفت فيه. وتبقى حجيتها فيما اتفقت عليه.

هل هذا تناقض؟!!

ونقول:

إن الحديث المتقدم برقم (3): إن الله تعالى أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة، اسمها بركة فزوجها من شيث. ثم نزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها نزلة، فزوجها من يافث، وهذه الرواية السادسة تقول: إن أحد ولدي آدم تزوج بجنية لا بحوراء.

ويجاب:

أولاً: لعل المقصود بالجنية الشبيهة بالجن في سوء أخلاقها، وفي

بعض حركاتها غير المنتظمة. وبالحرورية الشبيهة بالحرورية في الجمال.

ثانياً: إذا كان النسل من قابيل وهابيل، ومن شيث ويافت، فلا منافاة بين الروايتين، لوجود الحوريتين والجنية في سياق النسل، فتصح نسبة النسل إلى الحرورية والجنية، وتصح نسبته إلى الحوريتين، وينتفي الإشكال في البين.

وَبَثَّ مِنْهُمَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً:

وقد استدلوا على تزويج الإخوة بالأخوات بقوله تعالى: **(خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)**(1).

حيث دلت الآية: على أن النسل منحصر بآدم وحواء، ولم يشاركهما غيرهما فيه، وإلا لقال: بث منهما، ومن غيرهما.. وهذا الإنحصار يحتم تزويج الإخوة بالأخوات(2).

ونجيب:

بأنه يكفي في صدق مضمون الآية: أن يكون آدم وحواء قد ولدا هابيل وقابيل، وشيثاً، ولا ينظر إلى زوجات هؤلاء، والسبب في ذلك: أنهم حتى إذا تزوجوا بنساء خلقن من عنصر الحور أو الجن، أو أي

(1) الآية 1 من سورة النساء.

(2) تفسير الميزان ج 4 ص 144 و 145.

شيء آخر.

ثم ولد لهم أولاد. ثم تزوج أولادهم.

فإنه يصح أن يقال: إن الناس قد ولدوا من آدم وحواء، كما يقال فلان من بني تميم، وقلان الآخر منهم أيضاً، فلا ينظر إلى نساء تميم، فلعل تميماً تزوج بعدة نساء، وقد ولدن له أجداد هؤلاء القوم، إذ يكفي أن يكون تميم هو الأب للجميع، وإن كانت الأمهات مختلفات، بحيث تكون كل أم من قبيلة.

الضرورة تفرض تزويج الإخوة والأخوات:

وذكر العلامة الطباطبائي «رحمه الله» أيضاً: أنه لا مانع من أن يبيح الله تعالى زواج الإخوة بالأخوات، لاستدعاء الضرورة ذلك. ثم يحرمه بعد ذلك لارتفاع الحاجة. ولإيجابه انتشار الفحشاء في المجتمع، لأن الحكم بحرمة زواج الإخوة بالأخوات في الإسلام وكذا في الشرائع السابقة عليه - على ما يحكى - إنما هو حكم تشريعي يتبع المصالح والمفاسد وليس تكوينياً غير قابل للتغيير.

وزمام التشريع بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد⁽¹⁾.

ونجيب:

أولاً: إن الحاجة والضرورة غير متصورة في مثل المقام، فإن الله تعالى قادر على أن يدفع الضرورة بخلق نساء للأولاد، حسبما

(1) تفسير الميزان ج 4 ص 145.

ذكرته الروايات، لأن فعل ذلك لا يوجب وهنا في مقام ألوهيته، ولا طعناً في صفاته، ولا انتقاصاً من مقامه.

ثانياً: من الذي قال: إن إبقاء هذا التشريع سارياً يوجب شيوع الفحشاء؟! وسقوط العفة؟!

ثالثاً: إن الأحكام تابعة، ومنها زواج الإخوة بالأخوات تابعة للمصالح والمفاسد، فإن كان المراد بها: ما كان كامناً في ذات الفعل، فمعنى ذلك: أنه أمر تكويني، فتشريع جواز هذا الزواج لا يلغي المفسدة الكامنة فيه؟! فقول الطباطبائي: ليس تكوينياً غير قابل للتغيير (1). في غير محله.

أما إن كانت مفسدة خارجة عن حقيقة ذاته، فمعنى ذلك: أن الحرمة لم تكن لأجل مفسدة واقعية، بل ذلك يدخله فيما يكون المصلحة والمفسدة فيه بالوجوه والإعتبارات.

فإن قلت: لعل المراد: أن التشريع لهذا الزواج كان لأجل الضرورة، فهو كتجوز أكل الميتة عند خوف التلف..

يجاب:

بأن ذلك معناه: إدخال المفاسد على بيوت الأنبياء، وحملهم على الإنغماس في موجباتها، لأجل الحصول على منفعة أخرى لا تعود إليهم، بل ترتبط بغيرهم.. ولا ذنب لهم إلا أن الله تعالى لم يرد أن يحل

(1) تفسير الميزان ج 4 ص 145.

المشكلة إلا بهذا النحو المؤذي لهم، مع أنه يقدر على ذلك، ولو بأن يخلق للأبناء نساء يمكن تكثير النسل من خلالهن؟!!

وإن قلت أيضاً: لعل المراد بالمصالح والمفاسد الواقعية: أن في ذلك المورد اقتضاء المفسدة والمصلحة، كالكذب، الذي يطرأ عليه عنوان يجعله واجباً.

يجاب:

بأنه لو صح هذا لكان لنا أن نتوقع إيجاب أو إباحة الزواج بالأخوات، وبالبنات، وبالأمهات كلما مست الحاجة إلى ذلك، أي حين تطرأ بعض العناوين بسبب تبدل الأحوال والتقلبات.. فلماذا جعله الله تعالى من الحرام المؤبد إلى يوم القيامة؟!!

هذا الزواج.. والفطرة:

واستدل العلامة الطباطبائي «رحمه الله» أيضاً: بأن الفطرة لا تدعو إلى خلاف هذا الزواج، من جهة تنفرها عن هذا النوع من المباشرة (مباشرة الأخ لأخته)، وإنما تبغضه وتنفيه من جهة تأديته إلى شيوع الفحشاء والمنكر، وبطلان غريزة العفة بذلك، وارتفاعها من المجتمع الانساني.

ومن المعلوم: أن هذا النوع من التماس والمباشرة إنما ينطبق عليه عنوان الفجور والفحشاء في المجتمع العالمي اليوم، وأما المجتمع يوم ليس هناك بحسب ما خلق الله سبحانه إلا الإخوة والأخوات، والمشية الإلهية متعلقة بتكثيرهم وانبثاقهم، فلا ينطبق عليه

عنونا الفجور والفحشاء.

والدليل على أن الفطرة لا تنفيه من جهة النفرة الغريزية: تداوله بين المجوس أعصاراً طويلة(1).

ونجيب:

أولاً: إن الاستشهاد بتداول المجوس لزواج الإخوة بالأخوات للتدليل على عدم منافرته لقضاء الفطرة في غير محله، فإن الإنسان يتمرد على الفطرة، ويقهرها، ويكبتها استجابة لشهوة أو وسوسة شيطانية، فكيف إذا أعانه على تطويع فطرته ما يزعم أنه دين مقدس، ومعصوم؟!

وبعبارة أخرى:

إن الإنسان إذا فسق عن فطرة الله ووكله الله إلى نفسه زيننت له نفسه كل قبيح، ويقدم على كل ما يشتهي، فيفعل الموبقات ويرتكب العظائم والفواحش، فيعمل عمل قارووط، وينكح ذوات المحارم، ولا يصح أخذ من حكم الله عليهم بالفسق لخروجهم عن قوانين الفطرة ومقتضياتها نماذج للحكم على أفعالهم، فإنها لا تنافي الفطرة، لأن في هذا مصادرة وتحكم وأقل ما يقال أنه دعوى بلا دليل.

والخلاصة: إنه لا يصح قياس الفطرة الملوثة على الفطرة السليمة، لأن صاحب الفطرة قد يتمرد ويرتكب أعظم الموبقات

(1) تفسير الميزان ج 4 ص 145.

والجرائم، ويمارس أبشع أنواع الظلم مع أن الفطرة تأباه، ولا تتسجم معه، ولا ترضاه..

ثانياً: إن العلامة الطباطبائي قد أقر بتنفر الفطرة من هذا الزواج، لكنه عزا هذا النفور إلى ما يترتب عليه من فحشاء، وفجور، وبطلان غريزة العفة.. وهل هذا إلا ادعاء منه لا شاهد له، ولا دليل عليه، ولا سبيل إلى إثباته؟!

ثالثاً: إنه زعم أنه حين ينحصر الأمر بأفراد قليلين، ويراد تكثير النسل، فلا ينطبق على هذا الزواج عنوان الفجور والفحشاء.

ونقول له:

1 - ماذا لو عكسنا الأمر وقلنا: إنما أصبح هذا التزويج من مصاديق الفجور والفحشاء، لأن الشارع حرمه، ولم يسمح به، حتى مع انحصاره بين هؤلاء الأفراد، وذلك لشدة قبحه عنده، ومبغوضيته لديه.

ولو أنه لم يحرمه، وكان زواجاً مشروعاً وحلالاً، فهل يكون أيضاً من موجبات شيوع الفجور والفحشاء؟! أو أن هذه العناوين القبيحة يمكن تطبيقها على هكذا زواج؟!

وهل انقطع الفجور والفحشاء بتحريم نكاح الإخوة بالأخوات؟! أم أن لتقليل الفحشاء عوامل أخرى مثل دعوة الناس إلى الالتزام بالشرع، وتقبيح هذا الفعل، ووعظهم، وتخويفهم من الله، وغير ذلك؟! **رابعاً:** قول العلامة الطباطبائي: إن مباشرة الأخ لأخته ينطبق

عليه عنوان الفجور والفحشاء في المجتمع العالمي اليوم. ليس مسلماً، خصوصاً بعد أن شاعت ظاهرة مضاجعة الأخوة للأخوات، والآباء لبناتهم، وشاع اللواط، وتزوج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وشاع السحاق في الشعوب المتحضرة، وشرعته لهم حكوماتهم.

خامساً: قول الطباطبائي: إن الفطرة لا تنفي مباشرة الأخ لأخته من جهة النفرة الغريزية.. لا يصح:

1 - لما روي عن الإمام الكاظم «عليه السلام»: هل تخرج الكبائر من الإيمان؟!!

فقال: نعم.. وما دون الكبائر، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن. ونحوه عن الإمام الباقر «عليه السلام» أيضاً⁽¹⁾.

2 - وعن الإمام الباقر «عليه السلام»، وقد سئل عن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إذا زنى الرجل فارقه روح الإيمان. قوله عز وجل: (وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ)⁽²⁾. ذلك الذي يفارقه⁽³⁾.

(1) الكافي ج 2 ص 284 ووسائل الشيعة (ط آل البيت) ج 15 ص 325 و (ط الإسلامية) ج 11 ص 256 و 257 و بحار الأنوار ج 66 ص 63 وجامع أحاديث الشيعة ج 13 ص 404 وموسوعة أحاديث أهل البيت ج 4 ص 54 و ج 5 ص 111.

(2) الآية 22 من سورة المجادلة.

(3) بحار الأنوار ج 66 ص 190 و ج 76 ص 26 و ثواب الأعمال ص 263

3 - عن زرارة: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: رأيت قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «لا يزني الزاني وهو مؤمن».

قال: حتى ينزع عنه روح الإيمان.

قلت: ينزع منه روح الإيمان؟!

قال: قلت: فحدثني عن روح الإيمان.

قال: هو شيء!

ثم قال: هذا أجدر أن تفهمه. أما رأيت الإنسان يهمل بالشيء فيعرض بنفسه الشيء يجره عن ذلك وينهاه؟!

قلت: نعم.

قال: هو ذاك (1).

4 - وعنه «عليه السلام»، قد سألته جماعة عن الإيمان، فقال: قال

وجامع أحاديث الشيعة ج20 ص334 وتفسير نور الثقلين ج5 ص269
وج1 ص286 وتفسير كنز الدقائق ج1 ص650 وتفسير الميزان ج19
ص198 ومجمع البحرين ج2 ص243 والمحاسن للبرقي ج1 ص106
والكافي ج2 ص280 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج15
ص323 وج20 ص313 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص256 وج14
ص235

(1) بحار الأنوار ج66 ص192 ومستطرفات السرائر ص18 و (ط مؤسسة
النشر الإسلامي) 550 وجامع أحاديث الشيعة ج13 ص404.

رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن.

فجعل بعضهم ينظر إلى بعض، فقال له عمر بن ذر: بم نسميهم؟!

فقال «عليه السلام»: بما سماهم الله وبأعمالهم، قال الله عز وجل: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) (1).

وقال: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ) (2).

فجعل بعضهم ينظر إلى بعض (3).

5 - وعن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا يزني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد (4).

وقد دل ذلك: على أن المعصية تؤثر على روح الإيمان، فتفارق

(1) الآية 38 من سورة المائدة.

(2) الآية 2 من سورة النور.

(3) الأمالي للشيخ المفيد ص 22 وبحار الأنوار ج 66 ص 193.

(4) مسند أحمد ج 2 ص 376 و 479 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج 8 ص 21 وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج 1 ص 55 والمطلى لابن حزم ج 11 ص 119 = = و 227 وسنن أبي داود ج 2 ص 410 وشرح مسلم للنووي ج 2 ص 41 والمصنف للصنعاني ج 7 ص 416 ومسند ابن الجعد ص 120 ومنتخب مسند عبد بن حميد ص 288 وصحيح ابن حبان ج 10 ص 260 وكنز العمال ص 1311 و (ط مؤسسة الرسالة) ج 1 ص 262.

الإنسان المؤمن حين ارتكابه المعصية، ثم تعود إليه بواسطة التوبة.
ومن الواضح: أن الإيمان منسجم مع الفكرة، ومتوافق معها،
 فيدلنا ذلك على أن الفطرة أمر ثابت، ولكن ما حدث هو مجرد معصية
 لها، وخروج عن سلطانها، لا أنها قد تلوّث وتشوهت. ولذلك سمى
 الله ذلك فسقاً وعصياناً، وخروجاً عن طاعة الفطرة.

فإذا تاب الإنسان وعاد إلى الإنقياد إلى فطرته عاد إليه إيمانه،
 وانسجم مع فطرته من جديد..

غير أن هذه المعصية تؤثر على نفسه وروحه كدورة، وخفوتاً،
 وتحدث ظلمة.. وقد أشير إلى ذلك في بعض الروايات أيضاً، ولكن
 النفس ليست هي الفطرة.. ولذلك ورد وصفها باللوماء، وبالأمارة
 بالسوء.

ومن الروايات التي دلت على تأثر النفس ما عن أبي عبد الله
 «عليه السلام»، من أن عيسى «عليه السلام» قال للحواريين: «وأنا
 أمركم أن لا تحدثوا أنفسكم بالزنا فضلاً عن أن تزنوا، فإن من حدث
 نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوق، فأفسد التزاويق الدخان وإن
 لم يحترق البيت»(1).

(1) الكافي ج5 ص542 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج20 ص319
 و (ط دار الإسلامية) ج14 ص240 وغوالي اللآلي ج3 ص547 وبحار
 الأنوار ج14 ص331 وجامع أحاديث الشيعة ج20 ص347 ومستدرك

سادساً: إن القلة والكثرة في النسل لا أثر لهما في انطباق عنوان الفجور والفحشاء، وهما ينطبقان على المورد، ولو كان لمرة واحدة، لأنهما يحكيان طبيعة الفعل وحقيقته، قال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (1).

وقال سبحانه: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (2).

وقال جل وعلا: (وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً) (3).

سابعاً: إن ما ذكر في الروايات عن بعض الحيوانات يشهد بأن مباشرة الأخ لأخته، أو لأمه مما تأباه الفطرة، حتى بالنسبة لبعض الحيوانات، فكيف بالإنسان؟!

لا إجماع على تزويج الإخوة بالأخوات:

وقد ادعى الفاضل المقداد: الإجماع على أن آدم «عليه السلام» قد زوج الإخوة بالأخوات، ثم رفع ذلك، واعتبر ذلك من موارد

سفينة البحار ج 4 ص 325.

(1) الآية 45 من سورة العنكبوت.

(2) الآية 28 من سورة الأعراف.

(3) الآية 15 من سورة النساء.

النسخ (1).

ونجيب:

أولاً: إن هذه المسألة ليست من الأحكام ليكون الإجماع حجة فيها.

ثانياً: لو سلمنا حجية الإجماع هنا، فإننا نقول: لم تكن المسألة معنونة عند أكثر العلماء.

ثالثاً: هو إجماع مدركي، معلوم المستند، فلا بد من النظر في مستنده.

رابعاً: هو إجماع منقول من قبل السيوري دون سواه.

لا سنخية بين الجن والإنسان!!

وقالوا: لا بد في الزواج من السنخية بين الزوجين، وهي مفقودة بين الإنسان والجن.. تماماً كما هي مفقودة بين أنواع الحيوان.

ونجيب:

أولاً: إن الله تعالى هو خالق الأسباب، وجاعلها، وهو قادر على تبديلها بأسباب جديدة يبتدعها لمصالح تقتضي ذلك.. فكما خلق الله آدم «عليه السلام» من تراب يمكن أن يخلق من مادة الجن امرأة من لحم ودم، تحمل بعض صفات الجن. وأن يخلق من مادة الحور امرأة لها

(1) اللوامع (اللوامع العشر) ص222.

بعض صفات الحور.

ثانياً: إن الله تعالى يمكن أن ينزل حورية وجنية على الحقيقة، ثم يوجد السخية بينهما وبين الإنسان، لمصلحة تقتضي ذلك، وهي هنا أن يخلق صفوة خلقه من الطاهرين والطاهرات، حتى لا يخلقهم مما سيُظهر تحريمه الأبدي قبّحه وسوءه في نفسه، حسبما بيناه.

ثالثاً: إن الله تعالى قد وعد البشر بالزواج من الحور العين في الآخرة، مع أن الحشر إنما يكون لهذه الأجساد والأرواح. فكيف يمكن هذا الزواج إذا كان لا سخية بينهما؟! أليس لأن الله تعالى سيجعل سخية بين الحور والبشر؟! ودعوى أن السخية مطلوبة لأجل تحقيق التناسل، والزواج من الحور العين في الآخرة ليس لأجل التناسل، ليس لها ما يبررها، فإن من جملة ما يتلذذ به الإنسان هو الحصول على الأبناء، فلماذا يحرم الله عباده من هذا النوع من النعيم في الجنة؟! وما الدليل على هذا الحرمان؟!

على أن الذي يسر الزواج بالحور العين، مع عدم وجود سخية، فلماذا لا ييسر التناسل بين غير المتسانخين في الحياة الدنيا، وهو أحكم الحاكمين والقادر على كل شيء؟!

وأما الجنية، فيمكن أن يكون الله تعالى قد خلق من الطين، ما له أخلاق الجن وبعض صفاته. ويصح إطلاق الاسم عليها بهذه الملاحظة.

رابعاً: ورد في تفسير قوله تعالى: (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ

وَالْأَوْلَادِ(1) روايات كثيرة تدل على مشاركة إبليس - وهو من الجن - للبشر في الجماع، وفي اختلاط نطفة الرجل بنطفته إذا كان النكاح والمال الذي يبذل في سبيل الحصول على الأمة التي ينكحها حراماً(2). وإذا لم يذكروا اسم الله عند الجماع(3). وفي حالات الزنا(4). ويعرف شك الشيطان بحبهم وبغضهم «عليهم السلام»(5).

خامساً: لعلها جنية كشف عنها الغطاء، فتحوّلت إلى إنسية، ولعل تخصيص أحد الشخصين بالحرورية، والآخر بالجنية لأجل فعل خاص صدر منه صار مستحقاً وملئماً للجنية، وفعل آخر صدر من ذاك جعله

(1) الآية 64 من سورة الإسراء.

(2) راجع: تفسير القمي ج 2 ص 21 و 22 وتفسير العياشي ج 2 ص 299 و 300 والبرهان للبحراني (ط مؤسسة البعثة) ج 3 ص 545 و 546 و 547 وتفسير نور الثقلين ج 3 ص 183 و 185 وتفسير الميزان ج 13 ص 150 و 151 ومستدرک سفينة البحار ج 5 ص 396 وبحار الأنوار ج 57 ص 342 وج 101 ص 136.

(3) راجع: الكافي ج 5 ص 501 - 503 وكتاب الزهد ص 7 وتفسير العياشي ج 2 ص 299 و 300 والبرهان للبحراني (ط مؤسسة البعثة) ج 3 ص 545 - 547 وراجع ص 542.

(4) راجع: تفسير العياشي ج 2 ص 299 والبرهان للبحراني (ط مؤسسة البعثة) ج 3 ص 547.

(5) راجع: الكافي ج 3 ص 502 و 503 والبرهان للبحراني (ط مؤسسة البعثة) ج 3 ص 546 وراجع ص 548.

ملائماً للجنية.

لزوجة زينب من القاسم:

إن ما ورد في الروايات من أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «لو علمت أن آدم زوج ابنته من ابنه، لزوجت زينب من القاسم، وما كنت لأرغب عن دين آدم». لا يقصد به زينب زوجة أبي العاص بن الربيع، ليقال: إن هذا النص يدل على أن زينب هذه كانت ابنته حقيقة. بل المقصود: هو زينب التي ماتت قبل الهجرة في مكة، وكانت لا تزال صغيرة، وكان سنّها يقارب سن القاسم، الذي هو أصغر من زوجة أبي العاص بن الربيع بسنوات..

وقد قلنا في كتبنا: أنه كان للنبي «صلى الله عليه وآله» بنات اسمهن: زينب، ورقية، وأم كلثوم كن قد متن وهن صغار، ولم يتزوجن.

موازنة بين الروايات:

إن ملاحظة الروايات بمجموعها يعطي: أن الروايات التي أنكرت على القائلين بتزويج الإخوة بالأخوات قد رويت عن ثلاثة من الأئمة «عليهم السلام»، وهم الإمام الباقر، والصادق، والرضا «عليهم السلام»، وأن الرواة لها متعددون أيضاً، وهم:

1 - زرارة.. ولروايته نصوص مختلفة، ولا ندري إن كان «رحمه الله» كان يحكي لنا فيها وقائع مختلفة عنهم «عليهم السلام». أو أنه

يحكي واقعة واحدة.

2 - سليمان بن خالد.

3 - أبو بكر الحضرمي.

4 - معاوية بن عمار.

5 - بريد العجلي.

6 - مقاتل بن سليمان.

7 - رجل من أصحابنا من أهل الجبل.

الروايات التي نعتمدها:

ويمكن أن يقال: إن هذه الروايات التي تنزه ساحة آدم «عليه السلام» عن تزويج أبنائه ببناته، وعددها أحد عشر رواية، وإن كان أكثرها ضعيفاً، فإن إحداها، وهي رواية الفقيه صحيحة كما تقدم.. كما أنه يمكن إثبات اعتبار بعضها الآخر.

أما الروايات القائلة بتزويج الإخوة بالأخوات، فهي اثنتان:

إحدهما: عن الإحتجاج، ولا تملك سنداً أصلاً.

والأخرى: عن قرب الإسناد، وهي صحيحة السند.

والروايات، النافية لزواج الإخوة بالأخوات، وكثرة الأدلة التي ساقتها، وتعدد الأئمة المنسوبة إليهم، وكثرة روايتها، وتعدد أسنتها، وتأيد مضامينها بكثير مما ذكرناه، ومخالفتها للعامة، بالإضافة إلى أمور كثيرة ذكرناها يحتم الإلتزام بها، واعتبار تينك الروايتين صادرتين

على سبيل التقية.

النتيجة المتوخاة:

فظهر من ذلك كله: أن روايات تزويج الإخوة بالأخوات لا يمكن الإعتماد عليها. مع معارضتها بكل هذه الروايات النافية. كما أن تلك الروايات القليلة جداً لم تستطع أن تصل إلى ثلاث روايات، ومع موافقة العامة. وستأتي قرائن أخرى، حين نشير إلى التعليقات التي تضمنتها الروايات المتقدمة، والتي توجب رد تلك المقولة.

آدم وحواء أبوا البشر:

ولعلك تقول: إن حديث الحوراء والجنية مردود، لأنه ينافي كون آدم وحواء أبوي البشر.

ويجاب:

أولاً: بأنه يكفي أن يكونا أبوي البشر كون الولد الأول ابناً لهما، وإن تزوج بعد ذلك الحورية، أو زوجة آدم «عليه السلام» بالجنية، والشاهد على ذلك: قولهم: بنو تيم. مع أنه قد يكون لتيم أكثر من زوجة. وربما لا يكون لأولاده أيضاً زوجات من غير بني تيم.

ثانياً: لعل المراد بالحورية والجنية: أنهما كالحورية والجنية في الجمال والقبح، أو أن أخلاقهما تشبه أخلاق الحورية والجنية.

أو أن مبدأ خلق هذه وتلك هو الحور والجن، كما خلق آدم وحواء من تراب.

لماذا قتل هابيل؟!

ذكرت بعض الروايات: أن قابيل قد قتل هابيل، لأن آدم «عليه السلام» أراد أن يزوجه أخت هابيل القبيحة، وأراد أن يزوج هابيل أخت قابيل الجميلة.. وهو كلام تنفيه الآيات والروايات الكثيرة التي ذكرت: أن سبب قتله هو حسده له على قبول قربانه. قال تعالى: (إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)(1).

وقد صرحت بعض الروايات أيضاً: أنه قد حسد أخاه على ما أتاه الله إياه في وصايته لأبيه، لا لأجل أنه أراد أن يتزوج أخته الجميلة.

توضيح للمجلسي:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

«قوله «عليه السلام»: «وإن كتب الله كلها فيما جرى فيه القلم».

لعل وجه الاستدلال: أن اتفاق تلك الكتب السماوية المعروفة على التحريم مع اختلاف الشرائع دليل على أنه مما لا يختلف باختلاف الأزمان والأحوال، ويكون ذكر «الأمر في اللوح»، لبيان ظهور فظاعة هذا القول، لاستلزامه أن يكون ثابتاً في اللوح في صحف آدم

(1) الآية 64 من سورة الإسراء.

حرمة ذلك، وفي ذكر تقدير خلق أولاد آدم كونهم من الإخوة والأخوات، فيلزم: إثبات المتناقضين فيه.

ويحتمل: أن يكونوا قائلين بكون ذلك حراماً في جميع الشرائع، ومع ذلك قالوا بهذا ذاهلين عما يلزمهم في ذلك من التناقض لكنه بعيد جداً» (1).

إشارات ودلالات:

وقد لاحظنا: أن الروايات المتقدمة قد نقلت عن الأئمة «عليهم السلام» إشارات إلى العديد من الأمور التي تحتم رفض مقولة تزويج الإخوة بالأخوات، ومنها:

1 - الإشارة إلى أن ذلك من دين المجوس، ولعلمهم هم أول من سوَّق له. وتقدم: أن الذي قال بهذا القول أراد به تقوية حجج المجوس. وهذا يدل على أن بعض المنافقين الذين كانت لهم صلة بالمجوس هم الذين أشاعوا هذا القول بين المسلمين.

2 - إن الله تعالى لا يمكن أن يجعل أصل صفوة خلقه وأحبائه، وأنبيائه، ورسله، والمؤمنين، والمؤمنات، والمسلمين، والمسلمات من حرام.

3 - إن الله تعالى قادر على أن يخلق صفوة خلقه من الحلال، ولو بأن يخلق لهم أزواجاً بعضهن كالحور في الجمال، وبعضهن كالجن

(1) بحار الأنوار ج 11 ص 224 و 225.

في القبح أو في الأخلاق، وهم يختارون هذه أو تلك.

4 - إن الله تعالى قد أخذ ميثاق البشر على الحلال، والطهر والطيب، فكيف يوقعهم في الرجس والحرام والخبيث؟!

فدل ذلك: على أن تزويج الإخوة بالأخوات فيه مفسدة في ذات الفعل، وتأباه الفطرة السليمة، فلا يشرعه الحكيم تبارك وتعالى.. وهذا هو منشأ قبحه المقتضي للمنع عنه، وليس قبحه بالوجوه والإعتبار، ناشئاً عن تحريم الشارع له كالتزوج من أخت الزوجة، فإنه محرم ما دامت الزوجة في حباله الزوج، ولو في مدة العدة.

ثم ضرب «عليه السلام» مثلاً على ذلك بالبهائم التي ترفض النزوان على الأخوات والأمهات، وتعاقب نفسها بقطع غرمولها (أي ألتهما التناسلية) لو صدر منها ذلك، ولو بسبب التدليس عليها.

5 - إن فضل الإنسان على الحيوان يمنعه من فعل ذلك، فكيف يفعل الله تعالى بالإنسان؟!

6 - إن إنسانية الإنسان تمنعه من فعل ذلك، ولعل مراده «عليه السلام» أن ذلك مما تأباه فطرته وطبيعته الإنسانية، إلا إذا خرج عن طبيعته هذه باتباع الشهوات. ولا يفعل الله تعالى بمخلوقاته ما يتناقض مع طبيعتهم وفطرتهم.

7 - إن أهل العلم الصحيح - يعني أهل البيت «عليهم السلام» - يأبون القول بهذه المقولة.. ولا يقول بها إلا من ابتعد عن أهل بيوتات الأنبياء، وأخذ من حيث لم يؤمر أن يأخذ، فصار إلى الضلال والجهل

بما كانت عليه الأمور الماضية من بدء أن خلق الله ما خلق، وما هو كائن ابداً.

أي أن هذا من البديهيّات لمن عاش في بيوت الأنبياء، وعرف أقوالهم، واستقى من معينهم، والقول الآخر غريب عنهم، مرفوض في محيطهم. والأنبياء «عليهم السلام» أعلم بالله وبما أجراه في خلقه من كل أحد، فلا يصح الأخذ من غيرهم.

8 - إن الله تعالى إذا كان قد أجرى القلم قبل خلق آدم بألفي عام بتحريم الإخوة بالأخوات. كما اتفق على روايته أهل الحجاز وفقهاء العراق، فكيف يصح منهم القول: بأن الله تعالى قد نقض ما قرره وكتبه قبل خلق آدم؟!

9 - واستشهد «عليه السلام» لذلك: بأن كتب الله المنزل كلها تشهد بهذا التحريم.. لأن كتب الله المنزل كلها قد نزلت من اللوح المحفوظ، لا من لوح المحو الإثبات.. واللوح المحفوظ إنما يسجل الحقائق كما هي، ولا تغيير ولا تبديل فيه، ومن جملة الحقائق: الأحكام الشرعية الثابتة لموضوعاتها بعناوينها الأولية..

10 - لو أن آدم قد زوج الأخ بأخته لما رغب عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأن هذا التشريع ليس من الأمور التي تنسخ، ربما لأنه ثابت استجابة لأمر تكويني وواقعي، فإن الأخوة، والأبوة، والبنوة حقائق ثابتة في الواقع، وملازمة للخلق، فيكون حكمها ثابتاً لها كلما وجدت.

وليس الأخوة، والأبوة، والبنوة من الموضوعات المخترعة للشارع، كالصلاة، ولا هو مما يرجع الأمر فيه إلى الناس.. مثل مفهوم التحية المأمور بها، فإن مصاديقها تكون بيد العرف، فقد يحييه برفع قبعته له، وقد يحييه بانحناءة، أو بتحية الجاهلية، أو بالسلام، أو بكلمة مرحباً، أو غير ذلك مما يصطلح عليه الناس..

11 - إن حواء خلقت من فاضل طينة آدم لا من ضلعه الأيسر.

الباب الرابع:

لولا علي عليه السلام..

الفصل الأول:

ابن الأصفر يخرج معاوية

فيلجأ لعلي عليه السلام..

معاوية وأُسلة ابن الأصفر:

1 - روى الأصبغ بن نباتة: أن صاحب الروم كتب إلى معاوية يسأله عن عشر خصال، فارتطم (أي سقط في الوحل) كما يرتطم الحمار في الطين، فبعث راكبا إلى علي الخ..

وفي نص آخر: عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: بينا أمير المؤمنين «عليه السلام» في الرحبة والناس عليه متراكمون، فمن بين مستفت، ومن بين مستعد، إذ قام إليه رجل، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فنظر إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» بعينه تينك العظيمتين، ثم قال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت؟! فقال: أنا رجل من أهل رعيتك وبلادك.

قال: ما أنت من رعيتي ولا من أهل بلادي. ولو سلمت علي يوماً واحداً ما خفيت علي.

فقال: الأمان يا أمير المؤمنين.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: ما أحدثت في مصري هذا حدثاً منذ دخلته؟! **قال: لا.**

قال: فلعلك من رجال الحرب.

قال: نعم.

قال: إذا وضعت الحرب أوزارها، فلا بأس.

قال: أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفلاً لك، أسألك عن شيء بعث فيه ابن الأصفر وقال له: إن كنت أحق بهذا الأمر والخليفة بعد محمد «صلى الله عليه وآله»، فأجبنى عما أسألك، فإنك إذا فعلت ذلك اتبعتك وبعثت إليك بالجائزة، [وفي نص آخر: إن أجبتني فيها حملت إليك الخراج، وإلا حملت إلي أنت خراجك] فلم يكن عنده جواب وقد أقلقه ذلك، فبعثني إليك لأسألك عنها.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: قاتل الله ابن آكلة الأكباد ما أضله وأعماه ومن معه! والله لقد أعتق جارية فما أحسن أن يتزوج بها.

حكم الله بيني وبين هذه الأمة، قطعوا رحمي، وأضاعوا أيامي، ودفعوا حقي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي. علي بالحسن والحسين، ومحمد.

فأحضروا.

فقال: يا شامي هذان ابنا رسول الله وهذا ابني، فاسأل أيهم

أحببت.

فقال: أسأل ذا الوفرة - يعني الحسن «عليه السلام» - وكان صبيياً.

فقال له الحسن «عليه السلام»: سلني عما بدا لك.

فقال الشامي: كم بين الحق والباطل؟!

وكم بين السماء والأرض؟!

وكم بين المشرق والمغرب؟!

وأول شيء ضج على وجه الأرض؟!

[وعن هذه المجرة].

[وعن هذا المحو الذي في القمر].

وما قوس قزح.

وعن أول شيء انفتح على وجه الأرض.

وعن أول شيء اهتز عليها].

وأين تأوي أرواح المسلمين؟!

وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين؟!

وما المؤنث؟!

وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟!

فقال الحسن بن علي «عليه السلام»: بين الحق والباطل أربعة

أصابع، فما رأيته بعينك فهو الحق وقد تسمع بأذنك باطلاً كثيراً.

قال الشامي: صدقت.

قال: وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومد البصر، فمن قال غير هذا فكذبه.

قال: صدقت يا ابن رسول الله.

[وبين المشرق والمغرب يوم طراد للشمس].

[وأول شيء ضج على وجه الأرض، وادّ باليمن. وهو أول فار منه الماء].

[وأما هذه المجرة فهي أشراج السماء، ومنها هبط الماء المنهمر].

[وفي نص آخر: فأبواب السماء فتحها الله على قوم نوح ثم أغلقها فلم يفتحها].

قال الشامي: صدقت، فما قوس قزح؟!

قال: ويحك لا تقل: قوس قزح، فإن قزح اسم شيطان، وهو قوس الله، وعلامة الخصب، وأمان لأهل الأرض من الغرق. [إذا رأوا ذلك في السماء].

[وأما المحو الذي في القمر، فإن ضوء القمر كان مثل ضوء الشمس فمحاه الله تعالى، وهو قوله: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً)(1). وأما أول شيء انفتح

(1) الآية 12 من سورة الإسراء.

على وجه الأرض فهو وادي داب(1). وأما أول شيء اهتز على وجه الأرض فهي النخلة].

[ومثلها مثل ابن آدم إذا قطع رأسه هلك، وإذا قطع رأس النخلة إنما هي جذع ملقى].

[وتأوي أرواح المسلمين عيناً في الجنة تسمى سلمى].

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين فهي عين [في جب النار] يقال لها: برهوت [سلمى].

وأما المؤنث هو الذي لا يدري أذكر هو، أم أنثى؟! فإنه ينتظر به، فإن كان ذكراً احتلم، وإن كانت أنثى حاضت وبدا ثديها.

وإلا قيل له: بل على الحائط، فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر، وإن انتكص بوله كما ينتكص بول البعير فهي امرأة.

[وفي نص آخر: وأما الخنثى، فإنه يبول، فإن خرج بوله من ذكره فسنته سنة الرجال، وإن خرج من غير ذلك فسنته سنة المرأة].

وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض: فأشد شيء خلقه الله عز وجل هو الحجر، وأشد من الحجر الحديد، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد، وأشد من النار الماء يطفئ النار، وأشد من الماء السحاب يحمل الماء، وأشد من السحاب الريح يحمل السحاب، وأشد من الريح الملك الذي يرسلها، وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت

(1) لعل الصحيح: دلس.

الملك، وأشد من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشد من الموت أمر الله رب العالمين، الذي يدفع به الموت.

فقال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله حقاً، وأن علياً [وصي محمد، و] أولى بالأمر من معاوية.

ثم كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية فبعثها معاوية إلى ابن الأصفر فكتب إليه ابن الأصفر: يا معاوية لم تكلمني بغير كلامك، وتجيبني بغير جوابك؟! أقسم بالمسيح ما هذا جوابك، وما هو إلا [من] معدن النبوة وموضع الرسالة، وأما أنت فلو سألتني درهماً ما أعطيتك.

2 - وحسب نص آخر للراوندي قال: وروي: أن علياً «عليه السلام» كان في الرحبة، فقام إليه رجل، فقال: أنا من رعيتك وأهل بلادك.

قال «عليه السلام»: لست من رعيتي ولا من أهل بلادي، وإن ابن الأصفر بعث بمسائل إلى معاوية فأفلقته، وأرسلك إلي لأجلها.

قال: صدقت يا أمير المؤمنين، إن معاوية أرسلني إليك خفية، وأنت قد اطلعت على ذلك، ولا يعلمها غير الله.

فقال «عليه السلام»: سل أحد ابني هذين.

قال: أسأل ذا الوفرة. يعني الحسن.

فأتاه، فقال له الحسن: جئت تسأل كم بين الحق والباطل؟! وكم بين المشرق والمغرب؟! وما قوس قزح؟! وما المؤنث؟! وما عشرة

أشياء بعضها أشد من بعض؟!!

قال: نعم.

قال الحسن «عليه السلام»: بين الحق والباطل أربع أصابع، فما رأيته بعينك فهو الحق، وقد تسمع بإذنك باطلاً كثيراً.

قال الشامي: صدقت.

قال: وبين السماء والأرض دعوة المظلوم، ومد البصر، فمن قال لك غير هذا فكذبه.

قال: صدقت يا ابن رسول الله.

قال: وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس تنظر إليها حين تطلع من مشرقها وحين تغيب من مغربها.

قال الشامي: صدقت، فما قوس قزح؟

قال «عليه السلام»: ويحك، لا تقل قوس قزح فإن قزح اسم شيطان، وهو قوس الله، وعلامة الخصب، وأمان لأهل الأرض من الغرق.

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين، فهي عين يقال لها: برهوت.

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي يقال لها: سلمى.

وأما المؤنث، فهو الذي لا يدري أذكر هو أم أنثى، فإنه ينتظر به، فإن كان ذكراً احتلم، وإن كانت أنثى حاضت وبدا ثديها.

وإلا قيل له: بُل على الحائط، فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر، وإن انتكص بوله كما انتكص بول البعير فهي امرأة.

وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض، فأشد شيء خلقه الله عز وجل الحجر، وأشد من الحجر الحديد الذي يقطع به الحجر، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد، وأشد من النار الماء يطفئ النار، وأشد من الماء السحاب يحمل الماء، وأشد من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشد من الريح الملك الذي يرسلها، وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشد من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشد من الموت أمر الله رب العالمين يميت الموت.

فقال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حقاً، وأن علياً أولى بالامر من معاوية، ثم كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية، فبعثها معاوية إلى ابن الأصفر، فكتب إليه ابن الأصفر: يا معاوية، لم تكلمني بغير كلامك وتجيبيني بغير جوابك؟! أقسم بالمسيح ما هذا جوابك وما هو إلا من معدن النبوة وموضع الرسالة وأما أنت فلو سألتني درهما ما أعطيتك(1).

(1) الخصال (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص 440 - 442 و 236 و (ط أخرى) ج 2 ص 506 وبحار الأنوار ج 10 ص 129 - 131 وراجع: ج 33 ص 238 - 240 و ج 43 ص 325 و 326 و ج 7 ص 199 و ج 72 ص 196 و ج 101 ص 358 و ج 6 ص 284 و ج 56 ص 277 والخرايج والجرايح ج 2 ص 572 و 573 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط

ونقول:

لاحظ ما يلي:

بنو الأصفر:

قال العلامة المجلسي: قوله: بعث فيه ابن الأصفر: أي ملك الروم. وإنما سمي الروم بنو الأصفر، لأن أباهم الأول كان أصفر اللون، وهو روم بن عيص، بن إسحاق، بن إبراهيم. كذا ذكره الجزري (1).

وقال الفيروزآبادي في القاموس: وبنو الأصفر ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم بن يعصو. أو لأن جيشاً من الحبش غلب عليهم فوطأ نساءهم، فولد لهم أولاد صفر (2).

مؤسسة الأعلمي) ص 154 والاحتجاج ج 2 ص 13 - 17 وروضة
الواعظين ص 57 ومدينة المعاجز (ط الحجرية) ص 222 وحلية الأبرار
ج 1 ص 503 وإثبات الهداة ج 4 ص 552 وج 5 ص 162 ووسائل الشيعة
(ط الإسلامية) ج 8 ص 448 وتحف العقول ص 228 والصراط المستقيم
ج 2 ص 178.

- (1) بحار الأنوار ج 10 ص 131 وراجع النهاية في اللغة، باب الصاد مع الفاء.
- (2) القاموس المحيط ج 2 ص 71 وراجع وفيات الأعيان ج 6 ص 126.

معاوية أرسلك؟!:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة برقم (1): أن ذلك الشامي بادر إلى الإعراف بأن معاوية أرسله بمسائل إلى علي «عليه السلام»، ولكن رواية الخرائج تقول: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال له: «ولكن ابن الأصفر بعث إلى معاوية بمسائل أفلقتة، وأرسلك إلي بها. قال: صدقت يا أمير المؤمنين، إن معاوية أرسلني إليك في خفية، وأنت قد اطلعت على ذلك، ولا يعلمه غير الله».

وهذا الإخبار العلوي عن أمر غيبي من شأنه أن يظهر للناس: أن علياً «عليه السلام» لم يكن مجرد عالم كسائر العلماء الذين عرفوهم، وأنه لم يحصل على معارفه بجهد شخصي، لو أن غيره بذل من الجهد مثل ما بذل لنال ما نال. بل هو عالم مسدد من قبل الله تبارك وتعالى، ولديه علوم لا تتال بالجهد، لأنها علوم توقيفية تحتاج إلى توفيق ورعاية ربانية. وهي لا تتال إلا بالطهارة التامة، وبالطاعة المطلقة المحققة لرضاه تبارك وتعالى..

الإمام الحسن عليه السلام يخبر بالغيب أيضاً:

وقد أكد هذه الخصوصية ما ذكره نص الخرائج أيضاً، من أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد بادر إلى إخبار الشامي بالمسائل التي جاء بها من الشام، فبيّن لهم بذلك: أن الإخبار بالغيوب لا يختص بعلي «عليه السلام»، بل هو سمة الأئمة الأوصياء صلوات الله وسلامه

عليهم. فقد تقدم: أن الشامي حين أتى الإمام الحسن «عليه السلام» ليسأله، قال له «عليه السلام»: «جئت تسأل: كم بين الحق والباطل، وكم بين الأرض والسماء إلخ...».

من أنت؟!

إن الإمام «عليه السلام» بادر إلى سؤال ذلك الرجل عن نفسه، قبل أن يسأله عن حاجته، فإنه «عليه السلام» قد أنكره، وعرف أنه غريب عن بلاده بمجرد رؤيته له. وبما أنه مسؤول عن رعيته، في أمنها وفي جميع شؤونها، فالمسؤولية - مع غض النظر عن الإمامة - تفرض أن يُعرّف هذا الشخص الغريب بصورة دقيقة، لكي يؤمن شره ومكره، إن كان قد كلف بمهمة شريرة وماكرة..

فإذا عرف ذلك الشخص نفسه بما يزيل الشبهة عنه، أمكن السماح له بالدخول في سائر المجالات..

وحين كذب عليه ذلك الشخص، واجهه «عليه السلام» بالتكذيب الصريح فإن من كذب علناً لا بد أن يتم فضحه علناً أيضاً.

وقد جاء هذا التكذيب له مدعماً بالدليل والشاهد، فقد أخبره علي «عليه السلام» أنه لو كان من رعيته ومن بلده لكان رآه، والتقى به، ولو رآه مرة واحدة لم يغيب عنه، فإن علياً لا ينسى من يمر عليه..

فعرف ذلك الرجل أن استمراره بالمكايدة سيؤكد الشبهة عليه، وقد يؤخذ على أنه مدسوس من قبل عدو، فإذا فحص علي «عليه السلام» عن ذلك، ووجد أنه من مناطق سيطرة معاوية، فذلك يعني

تكريس هذه التهمة فيه، ولم يكن ذلك الشامي يريد ذلك، فاعترف بأنه غريب عن تلك البلاد..

الأمن قبل كل شيء:

وأول سؤال وجهه «عليه السلام» إلى ذلك الغريب كان عما يحفظ أمن الناس، الذي هو من أوجب الواجبات، ومن الأولويات عنده.

ولم يعطه الإمام «عليه السلام» الأمان إلا بعد أن أجابه على السؤال المرتبط بأمن أهل مصره..

بل إنه حتى بعد أن أجابه بنفي أن يكون قد أحدث في مصره حدثاً لم يصرح بإعطائه الأمان. بل اكتفى بإظهار القبول بدخوله إلى مصره بعد أن تضع الحرب أوزارها. مما يعني: أن دخوله لو حصل في حال كانت الحرب قائمة سيكون غير مقبول. كما أنه لو أحدث حدثاً في بلاد المسلمين فلا بد من ملاحظته، في زمن الحرب أو في غيره.

حكم الله بيني وبين الأمة:

وقد صرح «عليه السلام»: بما دل على أن الأمة هي المسؤولة عما حاق به من ظلم وحيث، ومن تعديات على الدين وأهله.. إذ لولا انقيادهم لمن غصبوه حقه، وقبولهم بأن يكونوا سيفهم وسوطهم، لم يتمكنوا من العبث بتوجيهات وأوامر الله ورسوله، ولا بد أن تحاسب

الأمة على هذا التقصير، بل على هذا العدوان الذي اختارت أن تشارك فيه.

قطعوا رحمي، كيف؟!!

وحين ذكر «عليه السلام»: أن هذه الأمة قد قطعت رحمه، فالمراد: أنهم لم يراعوا رحمه من رسول الله «صلى الله عليه وآله». فيكونون بعملهم هذا قد أساؤا إليه وإلى الرسول في آن واحد. أو المراد أنهم لم يراعوا حقه الذي أوجبه الله عليهم، فقطعوا صلتهم معه، وهي صلة الآخرة، والإيمان، والولاية.

أضاعوا أيامي، كيف؟!!

وأما إضاعة الأمة أيامه فلأنهم لم يقدروا له جهاده في سبيل إقامة هذا الدين، وتأبيده وحفظه من كيد الكافرين والمشركين، وقد كانت له وقائع عظيمة وأيام هائلة في نصرة الله ورسوله، فقد أضاعوها، وأبطلوا الأثر المتوخى منها، وكان حفظها سيعود عليهم، وعلى الإسلام والإيمان، بأفضل العوائد وأسنى الفوائد.. أو أضاعوا أيامي، بمعنى: أنهم بتركهم الآخرين يغتصبون الخلافة قد أضاعوا الكثير من الفوائد والعوائد والبركات الدنيوية والأخروية التي كانت ستحصل لهم.

هل كان الإمام الحسن صبياً؟!!

وتقدم قول الرواية: «اسأل ذا الوفرة - يعني الحسن «عليه

السلام» - وكان صبيًا».

وهو كلام غير دقيق، فإنه «عليه السلام» قد ولد في السنة الثالثة من الهجرة، وقد بدأت خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» في سنة خمس وثلاثين للهجرة، فلو أن هذه القضية قد حصلت في أول سني خلافته «عليه السلام» لكان عمر الإمام الحسن «عليه السلام» اثنين وثلاثين سنة(1). فكيف تقول الرواية: إنه «عليه السلام» كان صبيًا؟! ونظن: أن هذه الكلمة قد صحت عن كلمة أخرى، ولعل الصحيح: «وكان مليًا»، أي من العلم، أو «وكان فتياً»، على حد ما ورد في نداء جبرئيل بين السماء والأرض:

لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار

فلاح علي عليه السلام وخذلان معاوية:

وقد بينت هذه الواقعة - بغض النظر عن علم الإمامة، وصفاتها وحالاتها - شدة يقظة أمير المؤمنين «عليه السلام»، وسهره على رعيته، ومدى ضبطه لأمر الأمن فيها، فإنه «عليه السلام» يميز الدخيل من الأصيل من أول نظرة، كما أنه «عليه السلام» لا تخطئ فراسته، ولا يقع أحد في مأزق، ولا يضيع له حق نتيجة ضعف ذاكرة الحاكم، أو غلظه، لأنه «عليه السلام» لا ينسى من يراه، ولو لمرة واحدة.

(1) راجع: بحار الأنوار ج 10 ص 132.

ولا يستطيع أحد أن يدلس نفسه عليه، ويخلط نفسه بأصحابه مستغلاً غفلته، أو عدم معرفته به.

وهذه اليقظة البالغة هي التي سهلت له «عليه السلام» كشف حقيقة ذلك الرجل من أول نظرة..

أما معاوية فقد باء بالفضيحة المخزية، حيث عرف الناس كلهم أنه عاجز عن حفظ ماء وجهه أمام ملك الروم، فلجأ إلى المكر والحيلة، ليستخرج الأجوبة من سيد الوصيين عليه رغم شدة عدائه، وحربه له. ورغم أن معاوية يدّعي لنفسه الخلافة والزعامة للأمة، مع أنه مقام إلهي، لا سبيل إليه إلا بالنص من الله ورسوله، وعماده عصمة الإمام عن الخطأ وعن السهو والنسيان، والعلم الخاص الذي يختصه الله تعالى به، بالإضافة إلى معرفته التامة بكل ما تحتاج إليه الأمة، وعمق الصلة بالله تبارك وتعالى..

وكان هذا الذي جرى من موجبات إظهار مدى الخواء لديه من أي مؤهلات لهذا المقام الجليل الذي يدعيه.

ويكون بما أراده من استغفال علي «عليه السلام» قد قدم دليلاً حسيّاً على شدة ظلمه لأmir المؤمنين «عليه السلام»، ويبين بما لا شك فيه ولا شبهة تعتريه: أنه معتد، ومتوثب على ما ليس له..

كما أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد قدم دليلاً حسيّاً: على أنه على الضد مما ظهر من حال معاوية، فهو «عليه السلام» الرجل اليقظ والحازم، والمشمول باللطف الإلهي، وهو المعصوم والمسدد،

والعالم بكل الأسرار والخفايا التي تحتاج إليه الأمة في قضاياها. ثم إنه «عليه السلام» أثبت عملياً: أنه متصل بالغيب، حيث أخبر ذلك الرجل بأمره، وما جاء له قبل أن يصرح له به كما في رواية الرواندي.. هذا بالإضافة إلى ما قدمناه من إخبار الإمام الحسن «عليه السلام» لذلك الشامي بعين المسائل التي جاء بها، قبل أن يذكر منها شيئاً كما تقدم..

ملك الروم وشرائط الإمامة:

وقد ظهر أن ملك الروم يرى: أن خليفة النبي يجيب على مختلف الأسئلة الصعبة، وأن عجزه عن ذلك يدل على ادعائه مقاماً ليس له. وأن اختباره في هذا الأمر يكفي للإذعان والانقياد له أو صرف النظر عنه..

ولذلك أعطى ملك الروم عهده بأن يتبع معاوية إن أجابه بنفسه عن تلك الأسئلة التي أراد أن يمتحنه بها.

غير أن الذي ظهر هو أن ملك الروم كان عارفاً بأمر معاوية، وبأنه متغلب ومدع لما ليس له. وأنه كان على درجة دراية بمنطق معاوية، واقفاً على ما ينطوي عليه من خواء علمي، وفراغ مضموني. وأن الأجوبة التي بعث إليه بها لم يكن هو مصدرها، بل هي قد خرجت من معدن النبوة، وموضع الرسالة..

وما نريد أن ننبه إليه الآن هو أن معرفة ابن الأصفر بذلك قد كانت - فيما يظهر - عن طريق الكتب الدينية التي كانت بحوزته..

وربما كانت هي ما انساق إليه بعقله ووجدانه، حيث إن العقل والوجدان يقضي بأن يكون خلفاء الأنبياء أعلم الناس بما جاؤوا به، وإن علمهم بالأسرار والخفايا هو الذي يميزهم عن غيرهم، بالإضافة إلى تميزهم في ملكاتهم ومزاياهم، وفي سلوكهم الملتزم بخط الشرع والدين إلى حد العصمة عن كل خطأ وخطأ، في الفكر، وفي القول والعمل.

يلاحظ: أن ملك الروم قال له: إن كنت أحق بهذا الأمر والخليفة بعد محمد «صلى الله عليه وآله»، فأجبني عما أسألك. ولم يقل له: الخليفة بعد من سبقك من الخلفاء، وهذا يكشف عن مرتكز ذهني ثابت في وجدان الأمم الأخرى - فضلاً عن المسلمين - بما فيهم اليهود والنصارى حول مقام خلافة النبي «صلى الله عليه وآله»، ومواصفات الخليفة، ومنها: العلم الخاص، والعصمة، ويظهر: أن ملك الروم كان يعلم: بأن معاوية ليس هو صاحب الحق، لكنه أراد أن يسخر منه ويصغره.

وقد صرح ذلك الشامي بأن أسئلة ابن الأصفر قد أفلقت معاوية، وحق له أن يقلق، لأنه كان يعرف حجم نفسه، وأنه لا يملك ما يدفع به عن نفسه غائلة عجزه وجهله، ولأنه يواجه خطر فضيحة، من شأنها أن تضعف موقفه الظالم ضد أمير المؤمنين، وسيد الوصيين عليه الصلاة والسلام..

معاوية بنظر علي عليه السلام:

وقد صرح علي «عليه السلام» بما دل على نظرته الثاقبة إلى واقع معاوية، فدلنا بكلامه على الأمور التالية:

1 - إن معاوية ليس فقط كان ضالاً كسائر الناس الضالين، بل هو ممعن في الضلال إلى حد يثير العجب والإستهجان..

كما أنه ليس فقط لا يبصر حتى ما هو ماثل أمام عينيه، بل هو شديد العمى عنه.. ولذلك قال «عليه السلام» على سبيل التعجب: «ما أضله وأعماه»!.

2 - إن هذه الحالة لا تختص بمعاوية، بل هي حال أصحابه معه، الأمر الذي يدعو إلى اليأس عن أن يجد من يرشده إلى طريق الحق والهدى والصلاح..

3 - إن معاوية هو من ذلك البيت الذي يمعن في البعد عن الخير والصلاح، إلى حد أن نساءه يشقن بطون الأخيار، ويأكلن أكباد الشهداء الأطهار. فكيف تكون حال رجال ذلك البيت يا ترى؟!.

وهل ينتج محيط كهذا إلا الذين يكرهون الصلاح والصالحين، والحق وأهل الحق..

4 - إنه «عليه السلام» أكد ما قاله عن معاوية بتقديم نموذج حي يدل على مدى بعده عن العلم والفقه، فإنه لم يحسن أن يتزوج بجاريته التي أعتقها. مع أن هذا من أبده البديهة، وأوضح الواضحات..

ويقول بعض الأخوة:

لعل الإمام أراد أن يعبر عن مدى شقاء معاوية، وإمعانه في الغي إلى درجة أن اللقمة لو كانت بيده حلالاً لغمسها بالحرام ليأكلها حراماً، لأنه لا يستسيغ الحلال.

وفي تقديري: أنه كان لمعاوية جارية، فأعتقها، ثم زنا بها. مع أنه كان يستطيع أن يتزوج بها لينال بذاك أجراً، لكنه زهد بالأجر ورغب بما يوجب السخط والعذاب.

هذا ابني، وهذان ابنا الرسول ﷺ:

وقد قال «عليه السلام» لذلك الشامي، حين حضر الإمامان الحسان «عليهما السلام»، وابنه محمد: يا شامي، هذان ابنا رسول الله، وهذا ابني، فاسأل أيهم أحببت.

وقد تضمن كلامه هذا الإشارة إلى العديد من الأمور، مثل:

1 - أن ولده محمد بن الحنفية كان أيضاً قادراً على أن يجيب على أسئلة ذلك الشامي، التي عجز عنها معاوية وحزبه، ولجأ فيها إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»..

2 - إن هذا يدل على أن لمحمد أيضاً مقاماً عظيماً في العلم، وأنه كان أهلاً للثقة التي منحه إياها أبوه «عليه السلام».

3 - إن هذا يدل على أن أمير المؤمنين «عليه السلام» كان عارفاً بحقيقة المسائل التي يحملها ذلك الشامي. وكان يعرف أن أجوبتها حاضرة لدى محمد بن الحنفية.

ولم تكن هذه المعرفة ميسورة للناس بالطرق العادية.

فدل ذلك على أنه قد عرف بها من طريق غير عادي، يؤكد أن له خصوصية إطلاعه على الغيوب لم تكن لدى غيره من البشر. ولو من حيث أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبره عن جبرئيل «عليه السلام» عن الله عز وجل بهذا الحدث بكل تفاصيله.. أو أنه علمه بوسائل أخرى ترتبط بعلم الإمامة، وقدرات الإمام.

4 - لقد نسب علي «عليه السلام» الإمامين الحسنين «عليهما السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» تكريماً لهما، وإعظماً للرسول «صلى الله عليه وآله».. وليدل الشامي على أن عليه أن يتجه بكل وجوده نحو أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة.. ويريد أن يضعه أمام موازنة وجدانية ومقارنة واقعية عليه أن يجريها بين أهل هذا البيت، وبين البيت الذي نشأ فيه معاوية، وكانت تديره امرأة - هي أم معاوية - لم تتورع أن تشق بطون الشهداء لتستخرج أكبادهم، وتأكلها..

5 - إن نفس تقديم محمد كعالم بالخفايا والأسرار، قادر على حل معضلات المسائل، مع أنه ليس هو ابن الرسول، بل هو نتاج تربية علي وحسب، يُظهر البون الشاسع بين معاوية الذي عرفنا مدى خوائه العلمي، وعدوانيته للحق وأهله، وجرأته على ظلم الأنبياء في أوصيائهم، وفي أهل بيت النبوة، والذي يدعي ما ليس فيه. وبين بيت يربي أمثال محمد، في علمه، وتقواه، واستقامته وهداه والتزامه

طريق الحق والخير والساد.

من قال غير هذا فكذبه!!:

1 - تضمنت الأجوبة قول الإمام الحسن «عليه السلام»: «وبين السماء والأرض دعوة المظلوم، ومد البصر، فمن قال غير هذا، فكذبه».

ولم يطلب الإمام «عليه السلام» تكذيب من يجيب بغير أجوبته إلا في هذا المورد.

ولعله «عليه السلام» أراد أن يسد الطريق على كل مدع للزور والكذب، الذي قد يبادر إلى طرح أرقام خيالية للمسافات، من دون شاهد أو دليل سوى مجرد الادعاء والتحكم، ممن يعلم بأن أحداً لا يستطيع إثبات كذبه، لعدم إمكان قياس المسافات في أمثال هذه الأمور.

فإذا عرف أمثال هؤلاء الدجالين أنهم سيواجهون بالتكذيب، وسيطالبونهم بإقامة البراهين على دعاوهم الجرافية، فإنهم سيضطرون إما إلى الانسحاب الذليل، لعجزهم عن إثبات صحة أقوالهم وتخرصاتهم.

أي أن هذا الموقف من هؤلاء يجعلهم مطالبين إما بإثبات صدقهم، أو بالاعتراف بكذبهم، وتراجعهم، وهم يجرون أذيال الخزي والخيبة..

2 - إن إجابة الإمام عن المسافة بين السماء والأرض، قد تضمنت

امرين:

أحدهما: تربوي، يفيد في تهذيب الروح، وترويض النفس على طاعة الله، والخشية منه، ويدفعها لمراقبته في كل قول وفعل، في أمر هو من أكثر الأمور حضوراً في حياة الناس، فإن أكثرهم ظالم لنفسه ولغيره، يحتاج إلى أن يشعر بقهارية الله تعالى، وإلى أنه بالمرصاد، وإلى أن عدم معاجلته بالعقوبة لا تعني إفلاته منها، بل هي لطف به، لأنها تدعو إلى التوبة والإنابة.

الثاني: جواب حسي يرتكز إلى: أن من معاني السماء في اللغة العربية: الفضاء المحيط بالأرض، وهو ما يظهر فوقنا كقبة عظيمة فيها الشمس والقمر وسائر الكواكب⁽¹⁾.

فرؤية هذه القبة وما فيها معناه أن البصر قد اخترقها، واستمر في امتداده إلى أن بلغ تلك المرئيات، فإذا امتد ليرى أبعد الكواكب، فذلك يعني أنه قد قطع تلك المسافات كلها مهما كانت هائلة، فإنها كلها تقع في مدى هذه القبة التي تحتويها، وقد نالها بصره.

فالنتيجة هي: أن الجواب صحيح من الناحية الحسية.

وقد يقال: إن هذا الجواب لا يصح: لأن مد البصر إنما يكون في داخل السماء، ولكنه لا يخترقها، لأن ما يخترقه البصر في تلك القبة لا يصل إلى القبة نفسها.

(1) أقرب المواد (ط سنة 1992م) ج 2 ص 545.

ويجاب:

بأن البصر إذا وصل إلى تلك القبة المسماة بالسما، فذلك يعني أنه قد قطع المسافة كلها.

الفصل الثاني:

معاوية يسأل علياً عليه السلام

معاوية يسأل علياً مباشرة:

سعيد بن منصور، عن شيخ من فزارة قال: سمعت علياً «عليه السلام» يقول: الحمد لله الذي جعل عدونا يسألنا عما نزل به من أمر دينه، إن معاوية كتب إلي يسألني عن الخنثى المشكل، فكتب إليه أن يورثه من قبل مباله (1).

ونقول:

وقد دلت هذه الرواية على ما يلي:

1 - إن معاوية كان يجهل حكم الخنثى المشكل، ويريد ببغيه أن يقصي الخليفة المنصوب من قبل الله ورسوله، ليأخذ هو مقام خلافة النبوة الذي يكون من أبسط مسؤولياته معرفة الأحكام الشرعية. فضلاً عما سوى ذلك من علوم.

2 - لولا أن معاوية كان في أمر الخنثى في غاية الإحراج،

(1) كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 11 ص 82 وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص 175 والعلم والعلماء، تأليف أبي بكر جابر الجزائري (ط دار الكتب العلمية) ص 175 وإحقاق الحق (الملحقات) ج 32 ص 174 و 175.

ويخاف من التشنيع عليه في صورة الخطأ في الحكم لم يكتب إلى علي ولا إلى غيره، ولكان قد أفتاهم بما خطر بباله، وعليهم أن يرضوا به من دون نقاش.

3 - إن ما يهم علياً «عليه السلام» هو إجراء أحكام الشريعة، ولم يكن يهتم بتسجيل النقاط على أحد، حتى لو كان عدوه.. ولذلك لم يتوان في الكتابة إلى معاوية بما طلب..

4 - إن علياً «عليه السلام» يحمد الله تعالى على أن ذلك الباغي عليه، والمكابر يضطر للاعتراف عملياً، وبصورة مكتوبة بمرجعية علي «عليه السلام» في أمور الدين، ولا يزيد على ذلك.

5 - إن معاوية حين يكتب لعلي «عليه السلام» بأسئلته، فإنه يكون قد أعطى وثيقة حية وقابلة للتداول تؤكد على أنه لا يملك المؤهلات للمقام الذي يقاتل للحصول عليه..

سؤال معاوية عمن قتل من يزني بزوجته:

روى ابن المسيب: أنه كتب معاوية إلى أبي موسى الأشعري يسأله أن يسأل علياً عن رجل يجد مع امرأته رجلاً يفجر بها، فقتله، ما الذي يجب عليه؟!!

قال : إن كان الزاني محصناً فلا شيء على قاتله، لأنه قتل من يجب عليه القتل (1).

(1) مناقب آل أبي طالب ج2 ص380 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص200

وفي رواية صاحب الموطأ، فقال «عليه السلام»: أنا أبو الحسن، فإن لم يقم أربعة شهداء فليعط برمته (1).
ونقول:

أحكام الشريعة بنظر معاوية:

قلنا: إن معاوية لم يكن يهتم كثيراً لحفظ الأحكام الشرعية، ويدل على ذلك الكثير من الأمور، ومنها تحليله الربا، فلما اعترض عليه أبو الدرداء بنهي رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنه.
قال معاوية: ما أرى بهذا بأساً.

فقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية؟! أنا أخبره عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويخبرني عن رأيه!! لا أساكنك بأرض أنت بها.

ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب، فأخبره. فكتب عمر بن

وبحار الأنوار ج 76 ص 53.

(1) كتاب الموطأ لمالك ج 2 ص 738 وكتاب المسند للشافعي ص 362 والسنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 231 و 337 ومعرفة السنن والآثار ج 6 ص 348 و 479 والإستذكار لابن عبد البر ج 7 ص 157 والمغني لابن قدامة ج 9 ص 336 وج 10 ص 353 ونصب الراية ج 4 ص 94 وشرح الأخبار ج 2 ص 323 ومناقب آل أبي طالب ج 2 ص 380 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 2 ص 200 وبحار الأنوار ج 76 ص 53 والغدير ج 10 ص 209.

الخطاب إلى معاوية: أن لا تبيع ذلك. إلا مثلاً بمثل، وزناً بوزن⁽¹⁾. وكيف يكون معاوية مهتماً بأحكام الشريعة، وكيف يتوقع منه ذلك وهو من الشجرة الملعونة في القرآن (الكريم). وقد شغل نفسه عن إجابة النبي «صلى الله عليه وآله» وطاعته، معتذراً بأنه يأكل حتى استوجب سخط الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»: لا أشبع الله له بطناً، أو لا أشبع الله بطنه. وقال «صلى الله عليه وآله»: إذا رأيتموه على منبري فاقتلوه.

وهل يمكن أن يكون معاوية مهتماً بأحكام الشريعة، والحال قد قتل في صفين من أهل بيعة الرضوان 63 رجلاً⁽²⁾.

(1) موطأ مالك ج2 ص135 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج2 ص634 ومعرفة السنن والآثار ج4 ص293 والتمهيد لابن عبد البر ج4 ص70 والمجموع للنووي ج10 ص30 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص227 و 230 و 231 و 232 والغدير ج10 ص184 والسنن الكبرى للبيهقي ج5 ص280 وأضواء البيان للشنقيطي ج1 ص180 والإستذكار لابن عبد البر ج6 ص347 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص27 والنصائح الكافية ص121.

(2) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج2 ص278 و (ط دار الجيل) ج3 ص1138 والتنبيه والإشراف ص256 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص545 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص265 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص104 والدرجات الرفيعة ص257 وتاريخ خليفة بن خياط ص148 وشرح الأخبار ج1 ص492 وج2 ص9 ومناقب

ومن أهل بدر 25 رجلاً⁽¹⁾. بل قتل في تلك الحرب التي أثارها معاوية سبعون ألف قتيل، كما رواه المنقري⁽²⁾.

معاوية يضطر لسؤال علي عليه السلام:

وبناء على هذا يتأكد لزوم الإجابة على سؤال: لماذا إذن يكتب إلى أبي موسى الأشعري، ليسأل علياً «عليه السلام» عن هذا الحكم الشرعي؟! الشريعة!

ونجيب:

-
- أهل البيت للشيرواني ص 379 = والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص 102 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 32 ص 521.
- (1) مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج 2 ص 580 وشرح الأخبار ج 2 ص 14 وعمدة القاري ج 16 ص 141 ومعجم البلدان ج 3 ص 414 والتنبيه والإشراف ص 256 وتاريخ الإسلام للذهبي ج 3 ص 542 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج 7 ص 304 والفصول المهمة لابن الصباغ ج 1 ص 496 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 8 ص 403 وج 32 ص 520.
- (2) وقعة صفين للمنقري ص 558 والثقات لابن حبان ج 2 ص 291 و 292 وتاريخ مدينة دمشق ج 43 ص 482 وتهذيب الكمال ج 21 ص 226 وأنساب الأشراف للبلاذري ص 322 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج 7 ص 346 وعن مروج الذهب للمسعودي ج 2 ص 405.

بأن استهتار معاوية بالأحكام لا يعني أنه يتجاهر بذلك، لا سيما إذا كان التجاهر سيتسبب بإلحاق الضرر به، وتقوية شوكة علي «عليه السلام». الذي لا يمكن أن يسكت على استهتاره هذا لو كان متجاهراً به.

يضاف إلى ذلك: أن قوة علي «عليه السلام» في الأمة إنما كانت تترسخ بما يظهره من علوم وحقائق، وبما يشير إليه من أسرار ودقائق في مختلف الاتجاهات، فلا يصح من معاوية أن يظهر نفسه بمظهر الجاهل بأبسط المسائل. فإن ذلك سيضعفه كثيراً في منصبه، خصوصاً أنه (معاوية) جلس في مجلسه باسم الإسلام، والقرابة المزعومة التي تربطه بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فإن بني أمية كانوا يزعمون أنهم لأقرباء الرسول «صلى الله عليه وآله». كما يدل عليه: أن عشرة من أمراء أهل الشام وقادتها، وأهل الرياسة فيها حلفوا للسفاح السياسي بالطلاق والعناق، وصدقة ما يملكون أنهم ما كانوا يعرفون لرسول الله «صلى الله عليه وآله» قرابة غير بني أمية(1).

علي عليه السلام يسخو بعلمه:

ولذلك نلاحظ: أن معاوية كان يتحایل على أمير المؤمنين «عليه

(1) راجع مصادر ذلك في كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام» في بعض هوامش الفصل الأول.

«السلام» للحصول على أجوبة المسائل منه، وكان «عليه السلام» واقفاً على ذلك، وقد صرح به حين أجاب عن سؤال ملك الروم. ولكنه «عليه السلام» لم يكن يبخل بالإجابة حتى لو كان السائل هو معاوية، الذي كان يبغي له الغوائل ليل نهار، بل حتى لو ورد عليه السؤال، وهو في ساحات القتال معه.

تواطؤ أبي موسى:

إن كتابة معاوية لأبي موسى الأشعري ليسأل له علياً «عليه السلام»، ومبادرة الأشعري إلى تنفيذ طلبه شاهداً آخر على انحراف هذا الرجل، أعني أبا موسى عن علي «عليه السلام»، وموالاته لأعدائه.. والانحراف عن علي يساوي الانحراف والتكذب عن الصراط المستقيم كما قال الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، والآيات والروايات المصرحة بذلك كثيرة جداً تفوق حد التواتر.

منها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ) (1).

وقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً) (2).

وقوله سبحانه: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

(1) الآية 67 من سورة المائدة.

(2) الآية 3 من سورة المائدة.

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (1).

وهناك الكثير من الروايات، منها قوله «صلى الله عليه وآله» لعائشة: إنها ستحارب علياً «عليه السلام»، وستأتي ناكبة على الصراط.

وقوله «صلى الله عليه وآله»: حب علي إيمان، وبغضه كفر. وقوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

وقوله «صلى الله عليه وآله»: علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار.

والروايات في ذلك تفوق التواتر، بل تفوق الحصر.

واقعة واحدة أم وقائع؟!

1 - إن الرواية الثانية التي تقول: إنه «عليه السلام» قال: فإن لم يقم أربعة شهداء، فليعط برمته.. يحتل فيها أمران:

أولهما: أن تكون هناك واقعتان. أجاب علي «عليه السلام» في إحداهما بالجواب الأول، حيث كان «عليه السلام» متيقناً من صدق القاتل فيما يدعيه.

وأجاب في الأخرى بالجواب الثاني، لاحتمال أن يكون القاتل

(1) الآية 55 من سورة المائدة.

غير مأمون فيما يدعيه، إذ لعله قتله بلا ذنب، ويريد أن يتخلص من القصاص، باتهامه بالفجور.

الثاني: أن تكون واقعة واحدة ذكر فيها «عليه السلام» كلا الأمرين، أي أنه اشترط على القاتل أن يشهد أربعة شهداء بحصول الفجور بزوجته، فإن شهدوا بذلك وكان الزوج هو القاتل، لم يكن عليه شيء لأنه كان قد قتل من يستحق القتل.

2 - ويحتمل أن تكون الرواية الأولى تتحدث عن جواز قتل الزوج من يفجر بزوجته وعدمه بغض النظر عن القصاص في الدنيا وعدمه..

وقد يؤيد ذلك: قول الرواية الأولى: ما الذي يجب عليه، ولم تشر على الحد ولا إلى غيره..

3 - يلاحظ: أن الرواية لم تذكر صورة ما لم يكن الزاني محصناً..

فهل يجب عليه الدية؟! أو بعضها؟! أم يقاد به؟! أم ماذا؟!!

ويمكن الجواب عن ذلك:

بأن الرواية ناظرة إلى الجواز وعدمه، بملاحظة العقوبة في الآخرة وعدمها.

معاوية لا يعرف أن الحق لصاحب البينة:

ابن بطة وشريك باسنادهما، عن ابن أجرة العجلي، قال: كنت

عند معاوية، فاختصم إليه رجلان في ثوب، فقال أحدهما: ثوبي، وأقام البينة.

وقال الآخر: ثوبي اشتريته من السوق من رجل لا أعرفه.

فقال معاوية: لو كان لها علي بن أبي طالب.

فقال ابن أبجر، فقلت له: قد شهدت علياً قضى في مثل هذا، وذلك أنه قضى بالثوب للذي أقام البينة.

وقال للآخر: اطلب البائع، فقضى معاوية بذلك بين الرجلين (1).
ونقول:

1 - إن هذه الرواية لم تبين لنا تاريخ هذه الواقعة، هل هي في حياة علي «عليه السلام»؟! أم بعد استشهاده؟!

2 - إن هذه القضية من أعجب القضايا، حيث صرحت بما لا يقبل الشك: بأن معاوية الذي يحارب علياً «عليه السلام»، ليقصيه عن مقام خلافة الرسول، ويختص به لنفسه - إن معاوية - لا يعرف: أن عليه أن يحكم بالثوب لمن أقام البينة، وأن يصرف الآخر، ويسقط دعواه..
ألم يبلغه قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: البينة على

(1) مناقب آل أبي طالب ج2 ص377 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص197
وبحار الأنوار ج101 ص289 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج5
ص840 وتاريخ مدينة دمشق ج12 ص206 وشرح الأخبار ج2 ص315

المدعي، واليمين على المنكر (1).

وقوله «صلى الله عليه وآله»: إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان؟! (2).

-
- (1) نيل الأوطار ج 5 ص 342 وج 7 ص 190 وجامع أحاديث الشيعة ج 25 ص 120 والإستذكار لابن عبد البر ج 6 ص 481 وج 8 ص 209 وفيض القدير ج 5 ص 425 وكشف الخفاء ج 1 ص 289 وج 2 ص 174 والتمهيد لابن عبد البر ج 23 ص 204 وعمدة القاري ج 6 ص 223 وج 13 ص 75 و 246 و 248 وج 24 ص 59 و 60 وعون المعبود ج 10 ص 35 وج 12 ص 157 والكافي لابن عبد البر ص 478 والأذكار النووية ص 408 ونصب الراية ج 5 ص 143 وج 6 ص 462 والدراسة لابن حجر ج 2 ص 175 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 6 ص 187 و 190 والإستغاثة ج 1 ص 12 والمبسوط للطوسي ج 8 ص 256 والخلاف للطوسي ج 3 ص 131 وج 3 ص 148 وج 4 ص 435 عن المصادر التالية: الكافي ج 7 ص 415 حديث 1، والتهذيب ج 6 = = ص 229 حديث 553، ومن لا يحضره الفقيه ج 3 ص 20 حديث 1، والسنن الكبرى ج 10 ص 252، وصحيح البخاري ج 3 ص 187 وسنن الدارقطني ج 4 ص 157 حديث 8 وج 4 ص 218 حديث 53 و 54 وسنن الترمذي ج 3 ص 626 حديث 1341 والسنن الكبرى ج 8 ص 279 وج 10 ص 252.
- (2) الكافي ج 7 ص 414 ودعائم الإسلام ج 2 ص 518 وتهذيب الأحكام ج 6 ص 229 ومستدرک الوسائل ج 17 ص 361 و 366 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 27 ص 232 و (ط دار الإسلامية) ج 18 ص 169 وجامع أحاديث الشيعة ج 25 ص 45 و 46 و 92 و 102.

وقال تعالى لداود «عليه السلام»: (إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) (1).

ولا أدري بماذا كان معاوية يحكم بين الناس طيلة عشرين سنة قضاها في حكم بلاد الشام من قبل عمر بن الخطاب، وعثمان.. وإلى ذلك الوقت من حين قتل عثمان.. وإلى أي مستوى انحط الفكر والفقه لدى حكام الأمة؟! وعلى أي ميزان اعتمد الخلفاء لنصب معاوية حاكماً على الشام طيلة حوالي عقد ونصف من الزمن؟!

أم يعقل أن لا تكون قد حدثت أية منازعة بين أحد من الناس طيلة تلك العقود من السنين؟! أو أنه كان يحكم فيها بالهوى، وكيفما اتفق؟! ألا يحق لنا أن نقول بعد هذا: فقوموا على الإسلام نبكي ونلطم. إذ ابتليت الأمة براع مثل معاوية لا يعرف أن الحق لصاحب البينة، وكيف يمكن تبرير أن ترضى الأمة بأن يصبح معاوية المتصدي لخلافة النبوة، مدعياً يريد أن يحكم فيهم بأحكام الله، ويعلمهم شرائعه، ويجري فيهم سياساته، وينشر فيهم قيمه، وحقائقه، ويرببهم على أخلاقياته؟! ولا نريد أن نقول أكثر من هذا..

ملك الروم يسأل معاوية ويحجب علي عليه السلام:

وروى الأصمعي قال: كتب ملك الروم إلى معاوية: إن أجبتني عن هذه المسائل حملت إليك الخراج، وإلا حملت أنت.

(1) الآية 26 من سورة ص.

فلم يدر معاوية، فأرسلها إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأجاب عنها، فقال: أول ما اهتز على وجه الأرض النخلة، وأول شيء صيح عليها واد باليمن. وهو أول واد فار فيه الماء. والقوس أمان لأهل الأرض كلها عند الغرق ما دام يرى في السماء.

والمجرة أبواب فتحها الله على قوم، ثم أغلقها فلم يفتحها. قال: فكتب بها معاوية إلى ملك الروم. فقال: والله ما خرج هذا إلا من كنز نبوة محمد، فحمل إليه الخراج (1).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

1 - قلنا فيما سبق: إن الروم كانوا مهتمين بإعادة الاعتبار لأنفسهم في مقابل المسلمين، لأسباب عديدة منها: أنهم رأوا في الإسلام خطراً جدياً على مكانتهم الدينية، والثقافة العلمية.. فكان لا بد لهم من استعادة هذه الهيبة، وكسر شوكة الإسلام وأهله في هذا المجال..

2 - لو عجز معاوية عن الإجابة، فهل يحق له أن يؤدي الخراج

(1) مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 383 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 2 ص 203 وبحار الأنوار ج 10 ص 84.

لملك الروم الكافر والطاغية؟! أم أن عليه أن يعتزل موقعه، ويعيده إلى أصحابه الشرعيين، الذين نصبهم الله ورسوله، ليكونوا هم الذين يذبون عن الدين وأهله، ويذودون عن حياضه؟!

3 - إن هذه المسائل كانت تضر كثيراً بحال الغاصبين لمقام الإمامة، لأنها كانت تثير لديهم الشعور بالعجز وتعيدهم إلى واقعهم، وتعرفهم بمدى جهلهم، وتذكرهم ببغيهم.. وكانت أيضاً تعرف الناس بأهل الحق، وبالورثة الحقيقيين للأنبياء.

4 - إن هذا النص يوضح: أن ملك الروم كان يعرف أصحاب الحق الشرعيين. وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه بذلك في آيات عديدة بما لا يدع مجالاً للشك، ومنها قوله تعالى:

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي النُّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ) (1).
وقوله سبحانه: (وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ) (2).

وقوله عز وجل: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) (3). وغير ذلك من الآيات كثير.

(1) الآية 157 من سورة الأعراف.

(2) الآية 144 من سورة البقرة.

(3) الآية 146 من سورة البقرة.

ولكن ملك الروم لم يستفيد من هذه المعرفة، ولم يستثمرها، بل كان يتذكى على الناس، وعلى قومه، لأنه يريد أن يوهمهم أنه إذا حقق غلبة على معاوية وأمثاله من البغاة والغاصبين، فكأنه انتصر على الإسلام، وأبطل نبوة النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، ويكون من ثمة قد أعلن نفسه بطلاً قومياً، واتخذ من ذلك ذريعة لترسيخ موقعه، في الحكم والسيطرة على العباد والبلاد..

5 - لعل من دوافع مبادرة أمير المؤمنين «عليه السلام» للإجابة على تلك الأسئلة، مع علمه: بأن المطالب بها هو غيره، الذي هو عدوه هو: أن كل هم «عليه السلام» هو إحقاق الحق، وحفظ الدين وأهله، والذب عن أنبياء الله، وعن شرائعه وأحكامه.. ولم يكن يهتم بصغائر الأمور، كما كان الآخرون يهتمون بها.

ملك الروم لمعاوية: أخبرني عن لا شيء:

ليس هذه هي المرة الأولى التي يرجع فيها معاوية إلى علي «عليه السلام» ليسأله عن المعضلات من المسائل. ولكن المسألة في هذه المرة كانت حساسة وخطيرة بالنسبة لمعاوية، فقد قالوا: كتب ملك الروم إلى معاوية، يسأله عن خصال، فكان فيما سأله: «أخبرني عن لا شيء».

فتحير.

فقال عمرو بن العاص: وجه فرساً فأرّها إلى معسكر علي ليبيع، فإذا قيل للذي هو معه: بكم؟!!

يقول: بلا شيء، فعسى أن تخرج المسألة.
 فجاء الرجل إلى عسكر علي، إذ مر به علي ومعه قنبر.
فقال: يا قنبر ساومه.
فقال: بكم الفرس.
قال: بلا شيء.
قال: يا قنبر، خذ منه.
قال: أعطني لا شيء.
 فأخرجه إلى الصحراء، وأراه السراب، **فقال:** ذلك لا شيء.
قال: اذهب فخبره.
قال: وكيف قلت؟!
قال: أما سمعت بقول الله تعالى: (يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً)؟! (1) «(2).
ونقول:
 في هذا النص أمور يحسن لفت النظر إليها، ومنها ما يلي:

(1) الآية 39 من سورة النور.

(2) مناقب آل أبي طالب ج2 ص382 و 383 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 2 ص 202 وبحار الأنوار ج10 ص84.

حرب الفكر والثقافة في عهد علي عليه السلام:

1 - إن أمثال هذه الأسئلة، التي كانت تهدف إلى إحراج الطرف الآخر، بهدف إسقاط موقعه، وبيان جهله. وإظهار التفوق، وتحصيل الغلبة عليه، كانت تحصل حتى بين الملوك، فضلاً عن غيرهم.

2 - قد لاحظنا اهتماماً خاصاً لدى لملوك الروم بهذا الأمر في مواجهة المسلمين وحكامهم ولعل عدم ظهور ذلك لدى الفرس بصورة واضحة يرجع إلى سقوط ملكهم في وقت مبكر، ولم يحدث ذلك لملوك الروم.

كما أن الفرس قد دخلوا في الإسلام، ولم يدخل فيه غيرهم إلا في أوقات متأخرة، ولذلك نجد وفود علماء النصارى واليهود كانت تتوالى على البلاد الإسلامية، بهدف السؤال والنقاش في أمور الدين، أما علماء سائر النحل فلم تكن بتلك الكثرة.

3 - لعل الرومان الذين كانت لديهم حضارات، ومدنيات، وديانات سماوية، كانوا يرون لأنفسهم موقعاً مميزاً في المجالات العلمية والثقافية، وقد رأوا في الإسلام تحدياً لموقعهم هذا. فكانوا يسعون إلى تسجيل نجاحات لهم في المجال الثقافي والديني، ليتباهوا به أمام شعوبهم، وأتباعهم.

ولم يكن يقتصر الأمر على المجالات الثقافية، بل كان يتعداها إلى غيرها..

وقد رووا: أن ملك الروم أرسل إلى معاوية يتحدى المسلمين

برجلين:

أحدهما: أقوى رجل في بلاده.

والآخر: أطول رجل في أرضه...

فلم يجد معاوية سوى رجلين يرد بهما هذا التحدي، وكلاهما ثقيل عليه، مبغض له، هما محمد بن الحنفية (ابن علي «عليه السلام»)، والآخر قيس بن سعد بن عبادة، وهو من خيار أصحاب علي «عليه السلام» أيضاً.

فلما حضرا قال محمد للرومي: ما تشاء؟!!

فقال: يجلس كل واحد منا ويدفع يده إلى صاحبه، فمن قلع صاحبه من موضعه، أو رفعه عن مكانه فقد فلق عليه، ومن عجز عن ذلك وقهره صاحبه قضى بالغبلة له.

فقال محمد: هذا لك فاختر أينما يبدأ بالجلوس.

فقال له: اجلس أنت.

فجلس، وأعطاه يديه، فجعل يمارسه، ويجتهد في إزالته عن موضعه، فلم يتحرك محمد وظهر عجز الرومي لمن حضر.

فقال له محمد: اجلس الآن.

فجلس، وأخذ بيده، فما لبث أن اقتلعه، ورفع في الهواء، ثم ألقاه على الأرض.

فسر معاوية وحاضروه من المسلمين، وقال معاوية لقيس بن

سعد والرومي: الطوال تطاولا.

فقال قيس: أنا أخلع سراويلي، ويلبسها هذا العالج، فإن ما بيننا وبين
بذلك.

ثم خلع سراويله وألقاها إلى الرومي فلبسها، فبلغت ثدييه،
وانسحب بعضها في الأرض. فاستبشر الناس بذلك.

وجاءت الأنصار إلى قيس، فقالت له: تبذلت بين يدي معاوية؟!
ولو كنت مضيت إلى منزلك وبعثت بالسراويل إليه؟!
فقال:

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود
شهود

وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عادي نمته ثمود
وإني من القوم الثمانين سيد وما الناس إلا سيد ومسود
وفضلني في الناس أصلي ووالدي وباع به أعلو الرجال
مديد(1)

(1) تاريخ مدينة دمشق ج 49 ص 432 و 433 والكافي ج 4 ص 167 و وفيات
الأعيان ج 4 ص 170 و 171 والبداية والنهاية ج 8 ص 109 وراجع: مروج
الذهب ج 4 ص 238 وراجع: مختصر تاريخ مدينة دمشق ج 21 ص 113 و
114.

من أين يأتي العلم لمعاوية؟!

1 - وكان لا بد لمعاوية أن يتحير في أمره، إذ من أين يأتيه العلم، وهو من الطلقاء الذين لم يحسنوا الاستفادة من بركات وجود رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل نابذوه وحاربوه، وحين قهرهم لم يهتموا بالاستفادة من توجيهاته، ومما حباه الله به من علوم ومعارف وأسرار؟!!

بل نأى وصد عنه وتمنع من الحضور عنده، وقد أرسل من يطلبه عدة مرات معتذراً بأنه يأكل، فدعا عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن لا يشبع الله بطنه.

وكان الناس بما فيهم معاوية وعمرو بن العاص، يعلمون أن علياً «عليه السلام» هو مستودع أسرار النبي «صلى الله عليه وآله»، وباب مدينة علومه. ولكنهم كانوا يأنفون من الخضوع للحق، ولا يريدون الاعتراف به، فحاول هو وعمرو بن العاص الالتفاف على أمير المؤمنين «عليه السلام» ظناً منهم أنه «عليه السلام» سوف لا يكتشف تمويههم وخداعهم. فدبروا هذه الحيلة لاقتناص الجواب الصحيح منه «عليه السلام»..

2 - ولكن علياً «عليه السلام» ليس فقط قد أجاب على السؤال، بل وأثبت أنه هو وحده مستودع أسرار رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإنما شفع إجابته بإخبار غيبي يقيم عليهم الحجة التي لا مهرب منها.. حين قال لصاحب الفرس: اذهب فخبره، ليدل على أنه علمه

بمكيدتهم كعلمه بجواب مسألتهم. وذلك لتتلاقى الكرامة مع المعجزة ليعلم الجميع أنه «عليه السلام» متصل بالغيب دون كل أحد.

لعلها ليست كرامة:

ولعلك تقول: لا دليل على أنها كرامة غيبية، فلعله عرف ذلك من نفس طلب صاحب الفرس ذلك الثمن الغريب والعجيب، فإنه طلب ينم عما وراءه.

ونجيب: بأن السؤال وإن كان يشير إلى أن ثمة أمراً غريباً، ولكن لا يشير إلى معاوية ولا إلى ابن العاص من قريب ولا من بعيد. إذ لعل صاحب الفرس نفسه قد اخترع هذا السؤال، أو أن أحداً قد طرحه عليه، من أهل الكتاب أو من غيرهم من أهل التعنت، أو من طلاب المعرفة..

أو لعل جماعة من الناس دبروا هذا الأمر لحاجة في أنفسهم.

علي عليه السلام يشتري الخيل للحرب:

إن الرواية أظهرت أنه «عليه السلام» كان مهتماً بشراء الخيل، التي كانت هي الوسيلة المهمة والمؤثرة في القتال، وكان «عليه السلام» في ساحة الحرب في صفين، حيث صرحت الرواية أيضاً: بأن معاوية وابن العاص، إنما أرسلوا بائع الفرس إلى معسكر علي «عليه السلام»، وهو يعرف ما ينتظره من مواجهات فكان يعد له ما يستطيع من قوة، ومن رباط الخيل، ليرهب به عدو الله وعدو

المسلمين.

اذهب فخبره، لماذا؟!:

ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» قد أشار إلى معاوية بضمير الغائب، فقال: اذهب فخبره، ليكون أوضح في الدلالة على اطلاعه «عليه السلام» على ما جرى، وأنه أراد به إقامة الحجة عليه بهذا الإخبار الغيبي.

ولو قال: اذهب فخبّر معاوية، لأمكن القول: بأنه «عليه السلام» أراد إبلاغ معاوية بهذا الحدث، ليعرف مقامه «عليه السلام»، وأنه إنما يقاتل من لديه هذه العلوم الخفية، ليدرك سوء ما يأتيه إليه، وإلى الأمة.. فلا دلالة في هذا التعبير على علم معاوية بما جرى، فضلاً عن أن يدل على مشاركته في تدبيره.

الفصل الثالث:

معضلات حساية..

قسمة السبعة عشر بغيراً:

ورروا: أنه جاء علياً «عليه السلام» ثلاثة رجال، يختصمون في سبعة عشر بغيراً: أولهم يدعي نصفها، وثانيهم ثلثها، وثالثهم تسعها. وكان على كل منهم الكسر.

فقال «عليه السلام»: أترضون أن أضع بغيراً مني فوقها وأقسمها بينكم؟! قالوا: نعم.

فوضع واحداً فوقها من نفسه، فصارت ثمانية عشر بغيراً، فأعطى الأول تسعة، والثاني ثلثها ستة، والثالث اثنين. وبقي بغيره «عليه السلام» له (1).

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 126 عن شرح بديعية ابن المقرئ. والتكامل في الإسلام (الطبعة الثانية - مطبعة الآداب - النجف الأشرف) ج 4 ص 159 عن مشكلات العلوم للنراقي.

تسعة عشر بغيراً أيضاً:

وقد رويت المسألة المذكورة آنفاً بنحو آخر، ولعلها مسألة أخرى، وهي: أن ثلاثة أشخاص أتوا علياً «عليه السلام» ومعهم تسعة عشر بغيراً، يريدون تقسيمها، فيكون لأحدهم النصف، وللثاني الربع، وللثالث الخمس، فوضع جملة معها، فصارت عشرين، وأعطى عشرة لصاحب النصف، وخمسة لصاحب الربع، وأربعة لصاحب الخمس (1).

ونقول:

لا بد من إمام:

قلنا، ونعود فنقول:

إن هذا وأشباهه يدل على الحاجة إلى الإمام الذي يعلمه ويربيه ويظهره ويزكيه الله سبحانه ورسوله. لأن هذا وأمثاله لم يتصد النبي «صلى الله عليه وآله» لبيانه للناس. فلا بد أن يكون قد أودعه أو أودع مفاتيحه عند أهله.. إذا لا يمكن جعل حكم من دون أن تتوفر وسيلة تطبيقه في كل عصر. ولم نجد النبي «صلى الله عليه وآله» قدم وسيلة تكشف للناس أسرار هذه الأحكام، وتوضح غوامضها ومبهماتهما سوى علي «عليه السلام»، وأهل بيته الطاهرين.

(1) التكامل في الإسلام (الطبعة الثانية - مطبعة الآداب - النجف الأشرف) ج4

توضيحات للمحقق التستري:

قال المحقق التستري «رحمه الله»:

«وفلسفته: أن النصف، والثالث، والتسع، لا تستغرق الكل، فيبقى منه نصف تسع. وإنما المستغرق للكل النصف والثالث والسدس. وكان حصة كل واحدٍ أكثر مما قال بنصف تسع. ولم يكونوا متقنين لذلك» (1).

الفعل أقوى دلالة:

لقد كان بإمكانه «عليه السلام» أن يبين لهؤلاء الثلاثة حصة كل واحد منهم بالكلام، بأن يقول لهم: أنت لك تسعة، ولهذا ستة، ولذلك اثنان، ولكنه «عليه السلام» أثار أن يضع جملة مع جمالهم، كي يتلمسوا بصورة حسية عملية صحة قسمته. وليدركوا عن طريق الحس: أنه «عليه السلام» لم يظلم أيّاً منهم في قسمته. فلا يظنن أي منهم أنه أخذ منه، وأعطى رفيقيه، أو أنه أخذ من رفيقيه وأعطاه.. وقد وضع البعير مع أبعرتهم لكي يوحي لهم بأن كلاً منهم قد أخذ زائداً على حقه.. لأن هذا أخذ نصف الثمانية عشر لا السبعة عشر، وأخذ ذاك ثلث الثمانية عشر أيضاً، وكذلك الذي أخذ التسع منها.

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي)

لمزيد من التبصر والإهتمام:

إنه «عليه السلام» حين طلب منهم أن يرضوا بإضافة بعير من عنده، يكون قد زاد من درجة اهتمامهم، وأثار عجبهم من نتائج قسمته، التي يخيّل إليهم منها أنه أخذ أكثر من حقه، مع أن مجموع ما أخذوه مطابق للعدد الذي اختلفوا عليه..

ولا سيما بعد أن يعود جملة إليه..

ولعلمهم حين يضع جملة مع جمالهم من غير إذنهم يتخيّلون أنه قد وهبهم إياه، والهبة تحتاج إلى القبول منهم، وتحتاج إلى داع ومبرر

أضرب أيام أسبوعك في سنتك:

في كشكول البهائي: دخل رجل على علي «عليه السلام» وقال: أخبرني عن عدد يكون له نصف، وثلث، ورابع، وخمس، وسدس، وسبع، وثمان، وتسع، وعشر، ولم يكن فيه كسر.

فقال علي: إن أخبرتك تسلم؟!

فقال: نعم.

فقال علي «عليه السلام»: اضرب أيام أسبوعك في سنتك.

فكان كما قال.. فلما تحقق المسألة وصحتها، ولم يكن فيها كسر، أسلم.

وقال «رحمه الله» في كتابه: خلاصة الحساب:

لطيفة: يحصل مخرج الكسور التسعة من ضرب أيام الشهر في

عدة الشهور والحاصل في أيام الأسبوع
ومن ضرب مخارج الكسور التي فيها حرف العين بعضها في
بعض.

وسئل أمير المؤمنين «عليه السلام» عن ذلك، فقال: اضرب أيام
أسبوعك في أيام سنتك. انتهى (1).
ونقول:

1 - لا نحتاج إلى الكثير من التفصيل هنا، غير أننا نقول:
إن هذا اليهودي، ربما يكون قد صرف دهرًا طويلاً ليصل إلى
معرفة العدد الذي سأل عنه أمير المؤمنين «عليه السلام».. وها هو
يسمع الجواب يأتيه على البداة.. فكيف يبقى معانداً لهذا الدين، الذي
له إمام كعلي «عليه السلام»؟!!

2 - قال المحقق التستري «رحمه الله»، تعليقاً على الحديث
المذكور:

قلت: شرح «عليه السلام»: أنه إذا ضرب أيام الأسبوع السبعة
في ثلاثمائة وستين أيام السنة يصير الحاصل ألفين وخمسمائة
وعشرين، وله الكسور التسعة.
النصف هو ألف ومائتان وستون.

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي)
ص 126.

والثالث هو ثمانمائة وأربعون.

والربع ست مئة وثلاثون.

والخمس خمسمائة وأربعون.

والسدس أربع مئة وعشرون.

والسبع ثلاثمائة وستون.

والثمن ثلاثمائة وخمسة عشر.

والتسع مائتان وثمانون.

والعشر مائتان واثنان وخمسون.

وكذلك الطريق الأول مما ذكره البهائي، فمن ضرب أيام الشهر في عدة الشهور يحصل على عدد أيام السنة فيضرب في أيام الأسبوع.

والطريق الثاني من الإقتصار على ضرب الأربعة العينية منها، أي مخرجها وهي: الربع، والسبع، والتسع، والعشر، دون جميع التسعة. ولو ضرب الجميع يرتفع الحاصل إلى خمسة وسبعين ألفاً⁽¹⁾.

3 - إن علياً «عليه السلام» حين شرط على ذلك اليهودي أن يسلم بيّن بوضوح: أنه لا يريد أن يستفيد من علمه لتأكيد عظّمته الشخصية، بل يريد أن يكون وسيلة لنجاة العباد، وإصلاح البلاد،

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي)

والفوز يوم التناد..

المسألة الدينارية:

وروي: أنه «عليه السلام» أراد أن يركب، ووضع إحدى رجله في الركاب، فسأله امرأة: أن أخاها مات وله ستمائة دينار، وأعطوها ديناراً وظلموها.

قال «عليه السلام»: كان لأخيك بنتان؟!!

قالت: نعم.

قال: سهمها الثلثان، أربعمائة. وأخ من أم سهمه السدس، مائة دينار.

قالت: نعم.

قال: وامرأة لها الثمن، خمس وسبعون ديناراً.

قالت: نعم.

قال: واثنان عشر أخاً لكل واحد ديناران.

قالت: نعم.

قال: فيبقى لك دينار، وهو حقك، انصرفي. ثم وضع رجله الأخرى في الركاب، فلقبت بالمسألة الدينارية(1).

(1) مطالب السؤل ص 159 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 129 وكشف الغمة ج 1 ص 130 ونهج الإيمان

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

الجواب بناءً على التعصّب، ولا تعصّب:

بما أن الإخوة لا يرثون مع وجود البنات في مذهب أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم، عرفنا: أن جوابه «عليه السلام» لهذه المرأة مبني على توريث العصبية مع البنات أي أنه «عليه السلام» أراد أن يقول لها: إن ما أعطوك إياه بناءً على قولهم الفاسد صحيح..

ويستفاد أيضاً من هذه القضية وكثير من مثيلاتها: أن العمل بالتقية كان قد بدأ منذ عهد أمير المؤمنين «عليه السلام»، إن لم نقل أنه بدأ منذ عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث آخر تبليغ أمر الإمامة تقية كما اشير إليه في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (1).

إلا أن الإمامة نفسها لم تكن من موارد التقية، فقد بقي «عليه السلام» يظهر أحقيته بها، وكذلك ولده «عليهم السلام» ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، لأن حفظ الدين منوط بحفظ الإمامة.

وليس هذا من الموارد التي يجب الإفتاء فيها وفق مذهب السائل،

ص276 وكتاب الأربعين للماحوزي ص472 وأعيان الشيعة ج1

ص343 وعجائب أحكام أمير المؤمنين «عليه السلام» ص123.

(1) الآية 67 من سورة المائدة.

لن الإمام يجب أن يعطي الإجابة وفق أحكام الله، إلا إن كان في مورد تقية، لا وفق مذاهب السائلين.

التعصيب لتصغير شأن الزهراء عليها السلام:

يبدو: أن توريث إخوة الميت مع وجود بناته من صلبه، قد جاء لتصغير شأن الزهراء «عليها السلام»، وإظهار أن العباس عم النبي «صلى الله عليه وآله» أقرب من أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاخترعوا مقولة: أن العباس يرث الرسول «صلى الله عليه وآله» حتى مع وجود الزهراء «عليها السلام»، ولا يرثه علي «صلوات الله وسلامه عليه». وهذا من الكيد السياسي، الذي واجهوا به أمير المؤمنين «عليه السلام».

وإلا فإنه مما لا شك فيه ولا شبهة: أن قاعدة منع الأقرب للأبعد لا تجري عند الشيعة الإمامية إلا في مورد اجتماع ابن عم لأب وأم مع عم لأب، فإن ابن العم أولى بالميراث عند الإمامية، والمال كله له.. وهي مسألة إجماعية عندهم لا خلاف فيها⁽¹⁾.

وكان دافعهم بالإضافة إلى ذلك: أنهم كانوا لا يرون للمرأة قيمة، وإن ما تأخذه المرأة من الميراث يذهب في الغالب إلى الغرباء عنهم، لقاعدتهم التي تقول:

(1) راجع: رياض المسائل ج 12 ص 561 ومستند الشيعة ج 19 ص 322 وجواهر الكلام ج 39 ص 176.

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال
الأبعاد(1)

وقد استفاد العباسيون من هذه السياسة، لادعاء: أن لهم الحق
بالخلافة من خلال القربى النسبية للعباس(2).

وقد قال مروان بن أبي حفصة:

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثة
الأعمام(3)

فأعطاه المهدي العباسي ثلاثين ألفاً من صلب ماله، وكساه جبة،
ومطرفاً، وفرض على أهله ومواليه ثلاثين ألفاً أيضاً.

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج 2 ص 155 و (ط دار المعرفة) ج 2
ص 160 والغدير ج 7 ص 121 عنه، والكافي لابن عبد البر ص 540
وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 11 ص 28 وفيض القدير ج 1 ص 116
والجامع لأحكام القرآن ج 16 ص 79 وإمتاع الأسماع ج 3 ص 243.
(2) راجع: عيون أخبار الرضا ج 2 ص 79 وبحار الأنوار ج 48 ص 126 وج 101
ص 334.

(3) راجع: عيون أخبار الرضا ج 1 ص 189 والفصول المختارة ص 96
والإحتجاج للطبرسي ج 2 ص 167 وبحار الأنوار ج 10 ص 391 وج 49
ص 110 وقاموس الرجال ج 9 ص 647 وتاريخ بغداد ج 13 ص 145
وتاريخ مدينة دمشق ج 57 ص 292 وتاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 402.

وقيل: إنه فرض عليهم سبعين ألفاً ليصير المجموع مئة ألف (1).
وهناك أحداث أخرى في هذه الإتجاه لا مجال لذكرها هنا، فراجع
كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام».

جوابه من دلائل إمامته:

إن نفس إخباره «عليه السلام» تلك المرأة بالذين شاركوها في
التركة بهذه السرعة الفائقة، وحيث كان قد وضع إحدى رجله في
ركاب الفرس. يعد من خوارق العادات لعل «عليه السلام» (2). ومن

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي)
ص 129.

لكن في العقد الفريد (الطبعة الثالثة) ج 1 ص 312 والمحاسن والمساوي
ص 219: أنه أخذ منه ثلاثين، ومن أهل بيته سبعين. ولعل هذا هو الأقرب
إلى الواقع، فقد ذكر في المحاسن والمساوي ص 220: أن مروان هذا قال
في هذه المناسبة:

**بسبعين ألفاً راشي من حبائه وما نالها في الناس من شاعر
قبلي**

بل هذا البيت يدل على أن السبعين كانت منه، لا من أهل بيته.. وفي طبقات
الشعراء ص 51 اكتفى بالقول: أنه أخذ بهذا البيت مالاً عظيماً. وراجع:
تاريخ الأمم والملوك ج 6 ص 402.

(2) راجع العقد الفريد (الطبعة الثالثة) ج 1 ص 312 والمحاسن والمساوي
للبيهقي (ط صادر) ص 219 و 220 وراجع: طبقات الشعراء ص 51.

مؤكدات إمامته.

صار ثمنها تسعاً:

في فضائل أحمد قال عبد الله: إن أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب «عليه السلام» قال الشعبي: ما رأيت أفرض من علي ولا أحسب منه، وقد سئل وهو على المنبر يخطب عن رجل مات وترك امرأة وأبوين وابنتين: كم نصيب المرأة؟!

فقال: صار ثمنها تسعاً.

فلقبت بالمسألة المنبرية.

قال ابن شهر آشوب:

شرح ذلك: للأبوين السدسان، وللبننتين الثلثان، وللمرأة الثمن، عالت الفريضة فكان لها ثلاث من أربعة وعشرين ثمنها، فلما صارت إلى سبعة وعشرين صار ثمنها تسعاً، فإن ثلاثة من سبعة وعشرين تسعها، ويبقى أربعة وعشرون، للابنتين ستة عشر، وثمانية للأبوين سواء (1).

ونقول:

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 323 وبحار الأنوار ج 40 ص 159 ونهج الإيمان ص 276 والكنى والألقاب ج 2 ص 249 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 128.

العول باطل عند علي عليه السلام:

1 - لعل من الناس من يتخيل أن علياً «عليه السلام» الذي يرى بطلان العول في الفرائض، لم يكن بصدد حل مشكلاته، وإيضاح مهماته، فلا يتوقع منه أن يتمكن من تقديم حلول سريعة، وبالغة الدقة فيه.. فكيف إذا عرضت عليه أدق مسائله، وهو يضع رجله في الركاب، فيجيب عنها في لحظة فريدة بما لا تبلغه عقول جهابذة الرجال إلا بعد جهد، وتعب، وصرف الوقت لاستخراجه، كما هو الحال في هذه المسألة. فإنه بمجرد أن تفوهت تلك المرأة بمقدار التركة، وبما أعطوها منها، أجابها «عليه السلام» بالسؤال الإنكاري الذي يدين القول بالعول في الفرائض. ثم قرر لها ما دلها على حقيقة ما جرى.

2 - قال المحقق التستري: لما كان العول غير صحيح في مذهب الأئمة «عليهم السلام» قال السروي: قال «عليه السلام» ما قال على الاستفهام، أو على قولهم: صار ثمنها تسعاً.

وسئل «عليه السلام»: كيف يجيء الحكم على مذهب من يقول بالعول؟! فبيّن الجواب، والحساب، والقسمة، والنسبة (1).

(1) راجع: قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي)

ما المراد بالعول؟!!

المراد بالعول هو أن تزيد الفريضة عن سهام الورثة على وجه يدخل به النقص على جميعهم، مثاله زوج وأختان لأب، فللزوج النصف، وهو ثلاثة سهام، وللأختين الثلثان، وهو أربعة سهام مع أن الموجود هو ستة. وإذا كان معهم أخت لأم فلها سهم ثامن، فإن كان لهم أخت أخرى صارت من تسعة.. مع أن الموجود هو ستة..

والقائلون بالعول يجمعون السهام كلها ثم تقسم الفريضة عليها، ليدخل النقص على كل واحد بحسب فرضه كأرباب الديون إذا ضاق المال عن حقهم.

وقد تواتر عن أئمتنا «عليهم السلام»: أن السهام لا تعول، ولا تكون أكثر من ستة(1).

وكان علي «عليه السلام» يقول: إن الذي أحصى رمل عالج، يعلم أن السهام لا تعول على ستة لو يبصرون وجوها لم تجز ستة(2).

-
- (1) راجع: جواهر الكلام ج39 ص106 وجامع المدارك ج5 ص305 وراجع: من لا يحضره الفقيه ج4 ص254 وجواهر الكلام ج39 ص106 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج26 ص72 و (ط دار الإسلامية) ج17 ص421 والكافي ج7 ص80 و 81 والفصول المهمة ج2 ص475.
- (2) راجع: علل الشرائع ج2 ص568 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص254

وقال أهل البيت «عليهم السلام»، وفقهاء المذهب تبعاً لأئمتهم: إن العول باطل، لأن فيه شكاً في قسمة الله، وتغليطاً له جل جلاله فيها، ونسبة الجهل إليه تعالى..

والحقيقة هي: أن النقص في هذه المسائل لا يرد على من يرث بالفرض (أي أن صاحب السهم)، فيأخذ سهمه كاملاً، والباقي يأخذه الباقون الذين يرثون بالقرابة.

فالأب أو البنت يرثان بالقرابة تارة، وبالفرض أخرى، فيرد النقص عليهم. أما من يتقرب بواسطة الأم، فلا يرث إلا بالفرض.. فيأخذ هذا سهمه كاملاً، ثم يعطى الباقي للأب أو البنت. فإن البنت إذا اجتمعت مع الأبناء ينقص نصيبها عن النصف، ويصير للذكر مثل حظ الأنثيين⁽¹⁾.

قسمة الدراهم في الأرغفة الثمانية:

أحمد بن محمد (وعلي بن إبراهيم عن أبيه جميعاً - كا) عن ابن محبوب عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سمعت ابن أبي ليلى يحدث أصحابه، فقال: قضى أمير المؤمنين «عليه السلام» بين رجلين

ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 26 ص 75 و (ط دار الإسلامية)

ج 17 ص 424 وبحار الأنوار ج 101 ص 333 ودعائم الإسلام ج 2

ص 381 ومستدرك الوسائل ج 17 ص 156.

(1) راجع: جواهر الكلام ج 39 ص 105 - 110.

اصطحبا في سفر، فلما أرادا الغداء أخرج أحدهما من زاده خمسة أرغفة، وأخرج الآخر ثلاثة أرغفة، فمر بهما عابر سبيل، فدعواه إلى طعامهما، فأكل الرجل معهما حتى لم يبق شيء.

فلما فرغوا أعطاهما ثمانية دراهم ثواب ما أكله من طعامهما، ومضى فقال صاحب الثلاثة أرغفة لصاحب الخمسة أرغفة: اقسمها نصفين بيني وبينك.

وقال صاحب الخمسة: لا بل يأخذ كل واحد منا من الدراهم على عدد ما أخرج من الزاد.

قال: فأتيا أمير المؤمنين «عليه السلام» في ذلك، فلما سمع مقالتهما قال لهما: اصطلحا، فإن قضيتكما دنية.

فقالا: اقض بيننا بالحق.

قال: فأعطى صاحب الخمسة أرغفة سبعة دراهم، وأعطى صاحب الثلاثة أرغفة درهماً، وقال (لهما - يب): أليس أخرج أحكما من زاده خمسة أرغفة، وأخرج الآخر ثلاثة (أرغفة - كا)؟! **قالا:** نعم.

قال: أليس (قد) أكل معكما ضيفكما مثلما أكلتما؟! **قالا:** نعم.

قال: أليس (أكل - كا) كل واحد منكما ثلاثة أرغفة غير ثلثها.

قالا: نعم.

قال: أليس أكلت أنت يا صاحب الثلاثة ثلاثة أرغفة إلا ثلثاً، وأكلت يا صاحب الخمسة ثلاثة أرغفة غير ثلث، وأكل الضيف ثلاثة أرغفة غير ثلث؟!!

أليس (قد - يب) بقي لك يا صاحب الثلاثة ثلث رغيفٍ من زادك، وبقي لك يا صاحب الخمسة رغيفان وثلث، وأكلت ثلاثة أرغفة غير ثلث؟!!

فأعطاهما لكل ثلث رغيف درهماً، فأعطى صاحب الرغيفين وثلث سبعة دراهم، وأعطى صاحب (ثلث رغيف) درهماً⁽¹⁾.

وفي نص آخر:

عن صباح المزني رفعه قال: جاء رجلان إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» قال أحدهما: يا أمير المؤمنين، إن هذا غاداني، فجئت بثلاثة أرغفة، وجاء هو بخمسة أرغفة، فتغدينا. ومر بنا رجل فدعونه

(1) وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 27 ص 285 و (ط الإسلامية) ج 18 ص 209 و 210 و جامع أحاديث الشيعة ج 18 ص 303 و ج 25 ص 131 والكافي ج 7 ص 427 وتهذيب الأحكام ج 6 ص 290 والإرشاد للمفيد ص 117 والإختصاص ص 107 وإحقاق الحق (الملحقات) ج 32 ص 128 و 129 والإمام علي بن أبي طالب، لمحمد رضا (ط دار الكتب العلمية) ص 19 ومختصر المحاسن المجتمعة (ط دار ابن كثير - دمشق وبيروت) ص 179 والمعاملات في الإسلام (ط مؤسسة الإيمان، ودار الرشيد - بيروت ودمشق) ص 30.

إلى الغداء، فجاء فتغدى معنا، فلما فرغنا وهب لنا ثمانية دراهم ومضى.
فقلت: يا هذا قاسمني!

فقال: لا أفعل، إلا على قدر الحصص من الخبز.

قال: اذهبوا فاصطلحوا.

قال: يا أمير المؤمنين، إنه يأبى أن يعطيني إلا ثلاثة دراهم،
ويأخذ هو خمسة دراهم، فاحملنا على القضاء.

قال: فقال له يا عبد الله، أتعلم أن ثلاثة أرغفة تسعة أثلاث.

قال: نعم.

قال: وتعلم أن خمسة أرغفة خمسة عشر ثلثاً.

قال: نعم.

قال: فأكلت أنت من تسعة أثلاث ثمانية، وبقي لك واحد، وأكل
هذا من خمسة عشر ثمانية وبقي له سبعة.

وأكل الضيف من خبز هذا سبعة أثلاث، ومن خبزك هذا الثلث
الذي بقي من خبزك.

فأصاب كل واحد منكم ثمانية أثلاث، فلهذا سبعة دراهم بدل كل ثلث
درهم، ولك أنت لثلاث درهم، فخذ أنت درهماً، وأعط هذا سبعة
دراهم⁽¹⁾.

(1) من لا يحضره الفقيه ج3 ص23 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج3
ص37 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج18 ص453 و (ط دار

ونقول:

حسبنا أن نشير هنا إلى ما يلي:

1 - إن طمع صاحب الأرغفة الثلاثة قد أدى به إلى خسارة، ما كان قد عرضه عليه رفيقه، فكان مصداقاً لقولهم: الطمع ضرر وما نفع.

2 - إنه «عليه السلام» قد نصح ذينك الرجلين بالترفع عن هذا الأمر، لأنه رأى أنها قضية دنية، فدلنا بذلك على أن صون الكرامات، وحفظ المقامات أولى من جلب المنافع المادية ومن العناد..

3 - إنه «عليه السلام» حين بيّن وجه حكمه في هذه المسألة، فإن القارئ والسامع، وكل من يعرض عليه، يشعر ببداهة حكمه. ولكنه بالرغم من ذلك حكم لا يخطر على بال أشد الناس دقة، وذكاءً، وخبرةً في الحساب والقضاء..

بل إن المتبادر للأذهان هنا هو: أن الحق لصاحب الأرغفة الخمسة..

ولا يمكن لغير النبي والوصي أن يكشف الحق في هذه القضية.

الفصل الرابع:

وسائل إثبات من الواقع..

كيفية اكتشاف أنه لا يسمع:

روى الكليني بسند صحيح عن الإمام الصادق «عليه السلام» في رجل ضرب رجلاً في أذنه بعظم، فادعى أنه لا يسمع، قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: يترصد، ويستغفل، وينتظر به سنة فإن سمع، أو شهد عليه رجلان أنه يسمع، وإلا حلفه، وأعطاه الدية.

قيل: يا أمير المؤمنين، فإن عثر عليه بعد ذلك أنه يسمع.

قال: إن كان الله تعالى رد عليه سمعه لم أر عليه شيئاً⁽¹⁾.

وعن الرضا «عليه السلام» بسند صحيح قال - في حديث -: قضى أمير المؤمنين..

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 176 والكافي ج 7 ص 322 وتهذيب الأحكام ج 10 ص 264 ومن لا يحضره الفقيه ج 4 ص 101 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 29 ص 362 و (ط الإسلامية) ج 19 ص 278 وجامع أحاديث الشيعة ج 26 ص 505.

إلى أن قال: فإن كان سمعه كله، فخيف منه فجور، فإنه يترك حتى إذا استنقل نوماً صيح به⁽¹⁾.

ونقول:

1 - إن الرواية عن الإمام الرضا «عليه السلام» قد بينت: أن ادعاء ذهاب السمع من رجل صادق، يُطمأن إلى خبره كاف في ترتب الأثر، والحكم بمقتضاه. وإن كان ممن يخاف منه الفجور أي الكذب في الدعوى، فالحل هو المفاجأة له حال نومه..

2 - إن المفاجأة إنما تحصل في صورة حصول الغفلة، والسهو، أو غلبة النوم عليه، واستنقاله فيه. إذ في غير هذه الصورة قد يتمكن من السيطرة على نفسه، ويتابع تظاهره بالصمم. ولا يتم اكتشاف الحقيقة.

3 - إنه إذا أثبتت القرائن ذهاب سمعه، أو إذا حلف على مدعاه وأعطى الدية.. فإن ذلك لا يمنع من عودة السمع إليه لسبب من الأسباب، قد يعرف، وقد لا يعرف.. فلعل خلايا السمع استيقظت، أو لعل الله أعاد عليه سمعه بدعاء، أو لسبب آخر. قد لا نتمكن من

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 176 والكافي ج 7 ص 324 وتهذيب الأحكام ج 10 ص 267 ومن لا يحضره الفقيه ج 4 ص 56 ووسائل الشيعة (ط الإسلامية) ج 19 ص 286 وجامع أحاديث الشيعة ج 26 ص 404 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج 2 ص 390.

الوقوف عليه..

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: «إن كان الله تعالى رد عليه سمعه لم أر عليه شيئاً».

4 - هناك أحكام أخرى تستفاد من هاتين الروايتين. لا مجال لبيانها هنا.. ولماذا العجلة، وما المانع من ذكرها هنا.

5 - إن قوله «عليه السلام»: «إن كان الله رد عليه سمعه إلخ..» تضمن أمرين:

أولاهما: التعبير بكلمة إن التي تستعمل في مقام الشك.

الثاني: نسبة رد السمع إلى الله تعالى بالاستناد إلى كلمة «إن».. ربما ليفيد أن هذا يبقى مجرد احتمال، يقابله احتمال أن يكون هو قد دلس في يمينه، أو في دعواه

6 - ولعل الانتظار به إلى سنة، لأجل أنه إن عاد إليه السمع خلال السنة فربما يكون ذهابه عارضياً، لا حقيقياً، أما إذا استمر عدم سماعه مدة سنة كاملة فإنه يكشف عن أن ذهاب السمع كان حقيقياً لا عارضياً، فيستحق الدية لأجله.

وربما يكون الإمهال في إعطاء الدية، لأن الشارع يريد أن يعطي مهلة لاستكشاف صحة قوله بالاستغفال له، قبل أن تدفع الدية إليه.

قياس البصر:

عن سعيد بن المسيب: أن رجلاً أصاب عين رجل فذهب بعض

بصره وبقي بعضه، فرفع ذلك إلى علي «عليه السلام»، فأمر بعينه الصحيحة فعصبت، وأعطى رجلاً بيضة، فانطلق [بها] وهو ينظر حتى انتهى بصره، فأمر علي فخط عند ذلك خطأ علماً، ثم أمر بعينه الأخرى فعصبت وفتحت الصحيحة، وأعطى رجل بيضة، فانطلق بها وهو ينظر حتى انتهى بصره. ثم خط عند ذلك علماً وعرف ما بين الموضعين من المسافة، ثم أمر به فحول إلى مكان. وفعل به مثل ذلك، ثم قاس فوجد مثل ذلك سواء، فأعطاه بقدر ما نقص من بصره من مال الجاني عليه(1).

ونلاحظ هنا:

ألف: أن جعل الأحكام بمجرد لا يكفي لإقامة العدل، ما لم تنفذ، وتنفيذها يحتاج إلى آليات ووسائل. ومن الواضح أن الجناية على البصر، والسمع، والشم، والكلام وغير ذلك تستتبع ضمان الدية التي تقدر بمقدار ما ذهب من البصر، وغيره من الحواس والأعضاء المشار إليها..

فلا بد من تحديد هذه المقادير ليصار إلى الإلزام بالدية المناسبة لها، ثم دفعها..

(1) السنن الكبرى للبيهقي ج 8 ص 87 والإستذكار لابن عبد البر ج 8 ص 89 والمصنف لابن أبي شيبة ج 6 ص 294 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج 5 ص 840 ومناقب آل أبي طالب ج 2 ص 382 وإحقاق الحق (الملحقات) ج 32 ص 186 عن السنن الكبرى للبيهقي.

ولم تكن في زمن التشريع أجهزة تستطيع القيام بهذه المهمة، فكان لا بد للشارع من أن يرشد الناس إلى طرق وآليات يمكن بواسطتها معرفة مقدار التالف من هذه الحواس، أو من هذه الأعضاء..

ب: إن الناس لم يكونوا يجدون لدى غير الأنبياء وأوصيائهم من يرشدهم إلى هذه الطرق، والوسائل، وظهر أن سعي الطامحين والطامعين بمقام خلافة النبوة لم يكن موفقاً، فإن الحاجات الواقعية فرضت نفسها، واضطرتهم لاستجداء الحلول لما كان يعترضهم من مشاكل من نفس أولئك الذين ظلموهم ودفعوهم عن حقهم.

ج: إن هذا الاستجداء كان يعرف الناس - أو الكثيرين منهم - بأحقية أهل البيت «عليهم السلام» بمقام خلافة النبوة، ويؤكد صحة ما كانوا يلهجون به باستمرار: من أن الذين يتصدون للخلافة ليسوا أهلاً لها، وأن أصحابها الحقيقيين هم خصوص أهل البيت «عليهم السلام».

فكانت هذه الأمور تؤكد للناس بصورة عملية صحة تلك النصوص التي سمعوها مباشرة، أو كانت تنقل لهم، وسلامة دلالتها، وكان شيعتهم يؤكدونها باستمرار.

مولود له رأسان:

روى نقلة الأخبار، وذكر صاحب فضائل العشرة: أنه ولد على عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» مولود له رأسان وصدران على

حقو واحد، فسئل «عليه السلام»: كيف يورث؟!!

قال: يترك حتى ينام، ثم يصاح به، فإن انتبها جميعاً كان له ميراث واحد، وإن انتبه أحدهما وبقي الآخر، كان له ميراث اثنين(1).

ونقول:

قد تقدم: أن نظير هذا قد حصل في عهد الخلفاء الذين تقدموا على أمير المؤمنين «عليه السلام»، فكان «عليه السلام» هو الذي حل مشكلة الخليفة الذي عرضت عليه هذه القضية فراجع.

كيف يعرف العنين؟!:

ألف: عن عجائب قضايا القمي: وقضى «عليه السلام» في رجل ادعى أنه لا يقدر أن يفتض امرأته، فقال له: بُل على الأرض، ثم قال: انظر يا قنبر، فإن ثقب بوله الأرض فهو يقدر على الافتضاض، وإن لم يثقب بوله الأرض فهو كما يزعم.

ب: عنه أيضاً في رجل ادعت امرأته: أنه عنين، فقال: يا قنبر خذ

(1) الكافي ج 7 ص 159 وتهذيب الأحكام ج 9 ص 358 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 26 ص 295 و (ط دار الإسلامية) ج 17 ص 582 = = ومناقب آل أبي طالب ج 2 ص 375 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 2 ص 196 وبحار الأنوار ج 101 ص 355 وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص 100 وإحقاق الحق (الملحقات) ج 32 ص 164 و 165.

بيده، فاذهب به إلى نهر وقدر إحليله، فإن كان على مقداره الأول قبل أن يقع في الماء فهو عنين، وإن كان تقلص ونقص عن مقداره الأول قبل أن يقع في الماء فقد كذب وليس بعنين (1).

ج: في المناقب: قضى «عليه السلام» في رجل ادعت امرأته أنه [لا يجمعها] عنين، فأنكر الزوج ذلك، فأمر النساء أن يحشون فرج المرأة بالخلوق [بالزعفران] ولم يعلم زوجها بذلك، ثم قال لزوجها: فإن تلطخ الذكر بالخلوق فليس بعنين. ورواه الكليني مع تفاوت يسير وفيه: أمرها أن تستنفر بالزعفران، ثم يغسل ذكره، فإن خرج الماء أصفر صدقه، وإلا أمره بطلاقها (2).

معرفة سلامة حاسة الشم والبصر، واللسان:

عن الأصبغ قال: سئل أمير المؤمنين «عليه السلام» عن رجل

-
- (1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 150 وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص 128.
- (2) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 178 ومستدرك الوسائل ج 15 ص 56 وبحار الأنوار ج 100 ص 366 وجامع أحاديث الشيعة ج 21 ص 179 ومستدرك سفينة البحار ج 10 ص 141 وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص 127 وراجع: الإستبصار ج 3 ص 251 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 21 ص 234 و (ط الإسلامية) ج 14 ص 614 والكافي ج 5 ص 412 وتهذيب الأحكام ج 7 ص 430 وجامع أحاديث الشيعة ج 21 ص 179.

ضرب رجلاً آخر على هامته، فادعى المضروب: أنه لا يبصر شيئاً، ولا يشم الرائحة، وأنه قد ذهب لسانه.

فقال «عليه السلام»: إن صدق فله ثلاث ديات.

فقال: يا أمير المؤمنين، وكيف يعلم أنه صادق؟!!

فقال: أما ما ادعاه أنه لا يشم الرائحة، فإنه يدنى منه الحراق، فإن كان كما يقول، وإلا نحى رأسه، ودمعت عيناه.

وأما ما ادعاه في عينه، فإنه يقابل في عينه الشمس، فإن كان كاذباً لم يتمالك حتى يغمض عينه، وإن كان صادقاً بقيتاً مفتوحتين.

وأما ما ادعاه في لسانه، فإنه يضرب على لسانه بإبرة، فإن خرج الدم أحمر فقد كذب، وإن خرج الدم أسود فقد صدق⁽¹⁾.

ورفعه الصدوق إلى الباقر عنه «عليه السلام».

ونقول:

لا بد من الثبوت:

إنه «عليه السلام» لم يبادر إلى بيان حكم من ذهب شمه، وبصره ولسانه، بل أشار إلى أن مجرد دعواه ذهاب هذه الأمور تحتاج إلى

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 176 و 177 والكافي ج 7 ص 323 وتهذيب الأحكام ج 10 ص 268 وغوالي اللآلي ج 2 ص 367 و 636 وجامع أحاديث الشيعة ج 26 ص 508.

إثبات، ولا تقبل منه بلا تثبت واختبار..

ولم يكتف هنا بقاعدة حمل فعل المسلم على الصحة، ولا رضي بأن يصدق في مثل هذا الأمر الذي قد يدعى أنه لا يعلم إلا من قبله.. بل أوجب اللجوء إلى وسائل إثبات عملية وعلمية، تكشف الزيف، وتظهر الحق.

لكل معضلة حل:

إنه «عليه السلام» قرر لهذا الرجل ثلاث ديات:

إحداها: للبصر.

والثانية: للشم.

والثالثة: للسان.

وهذا هو الحكم الشرعي لمن يتعرض لجناية على أعضائه.. وقد ذكر ذلك، ثم سكت، متوقعاً مبادرة سامعيه إلى سؤاله عن الوسيلة التي ينبغي أن يستفاد منها للتحقق من صدق ذلك الرجل في دعواه..

ومع أن المفروض هو إيكال الأمر إلى أهل الاختصاص، فإن الناس لم يفعلوا ذلك، بل رجعوا إلى الإمام «عليه السلام»، وذلك يدل على أنهم يرون: أن لدى الشرع حلاً لكل المشكلات التي تواجههم، وإنهم لا ينظرون إليه بصفته مجرد مقنن، وناقل للحكم التوقيفي كما يحاول البعض أن يدعي.

قياس الأنفاس!:

وقضى أمير المؤمنين «عليه السلام» في رجل ضُرب على صدره، فادعى: أنه نقص نفسه، فقال «عليه السلام»: إن النفس يكون في المنخر الأيمن وفي الأيسر ساعة، فإذا طلع الفجر يكون في المنخر الأيمن إلى أن تطلع الشمس، وهو ساعة.

فأقعد المدعي من حين يطلع الفجر إلى طلوع الشمس، وعد أنفاسه، وأقعد رجلاً في سنه يوم الثاني من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وعد أنفاسه ثم أعطى المصاب بقدر ما نقص من نفسه عن نفس الصحيح⁽¹⁾.

ونقول:

مقدار الإستحقاق يتبع مقدار النقص:

1 - إن كل مقدار من النقص يرد على شخص في بدنه بسبب فعل شخص آخر، له مقدار من الدية.. فإذا نقص السمع كان للمجني عليه من الدية بمقدار ما نقص من سمعه.. وكذا إذا نقص البصر، أو نقص النفس.

2 - إن المهم هو تحديد مقدار النقص الوارد، ليتمكن تحديد مقدار

(1) مناقب آل أبي طالب ج2 ص382 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص202 وبحار الأنوار ج101 ص399 وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص166.

الإستحقاق. وصعوبة التحديد في مثل هذه الأمور لا تعني انسداد طرق الوصول إليه.. ولولا ذلك لكان الشارع قد وضع تشريعاً آخر يوصل الحق لصاحبه، ويكون قابلاً للتطبيق أيضاً.

الطريقة التي اختارها علي عليه السلام:

وقد بيّن أمير المؤمنين «عليه السلام» هنا: أن بالإمكان معرفة مقدار ما نقص من النفس، باعتماد الطريقة التي بينتها الرواية. وهي عدّ أنفاس الرجل السقيم، وأنفاس السليم في وقت بعينه، ثم المقارنة بينهما، ثم يعطى بمقدار ما نقص، ولكن بشروط هي:

ألف: اختيار الوقت الذي يخرج النفس فيه من المنخر الأيمن، وهو الوقت ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

ب: ضبط الوقت بدقة.

ج: أن يتوافق سن السليم مع سن السقيم.

د: أن تستمر المراقبة والعد مقدار ساعة كاملة.

وقد ظهر بذلك: أن الناس إذا توافقوا في مقدار سنهم، فإن أنفاسهم لا تختلف في مقاديرها. حتى لو اختلفوا في أحجامهم، وفي أوزانهم، وفي الطول وغير ذلك من خصوصيات.

ليس الإمام مجرد فقيه:

وظهر أيضاً: عدم صحة قول البعض: إن الإمام يحتاج فقط إلى المعرفة بأحكام الشريعة، وأن تكون له خبرة في إدارة الأمور، وقدرة

سياسية⁽¹⁾، بل هو يحتاج على المعرفة بسائر العلوم، وبأسرار الخلق، وسائر الشؤون.

وظهر كذلك: أن ما كان يملكه علي «عليه السلام» من علوم، وقبله رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن لمجرد التفتن والترف، بل كانت علوم يحتاجونها فيما أوكل إليهم من مهام.

خنثى ولدت، وأولدت!!:

1 - الحسن بن علي العبدى، عن سعد بن طريف، عن شريح: أن امرأة أنت إليه، فقالت: إن لي ما للرجال، وما للنساء.
فقال: إن أمير المؤمنين يقضي على المبال.
قالت: فإني أبول بهما، وينقطعان معاً.
فاستعجب شريح.
قالت: وأعجب من هذا، جامعني زوجي فولدت منه، وجامعت جاريته فولدت مني.
فضرب شريح إحدى يديه على الأخرى متعجباً.
ثم جاء إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فقالت: هو كما ذكر.
فقال لها: فمن زوجك؟!

(1) وقد رددنا على هذا البعض في كتابنا خلفيات مأساة الزهراء «عليها السلام»، فراجع.

قالت: فلان.

فبعث إليه فدعاه، وسأله عما قالت؟!!

قال: هو كذلك.

فقال له «عليه السلام»: لأنت أجزأ من صايد الأسد، حين تقدم عليها بهذه الحال.

ثم قال: يا قنبر، أدخل مع أربع نسوة فعد أضلاعها.

فقال زوجها: لا آمن عليها رجلاً ولا ائتمن عليها امرأة.

فأمر دينار الخصي أن يشد عليها ثياباً، وأخلاه في بيت، ثم ولجه، وأمره بعد أضلاعه، فكانت من الجانب الأيمن ثمانية، ومن الجانب الأيسر سبعة.

فلبّسها ثياب الرجال، وألحقها بهم.

فقال الزوج: يا أمير المؤمنين، ابنة عمي، قد ولدت مني تلحقها بالرجال؟!!

فقال: إني حكمت فيها بحكم الله، إن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى، فأضلاع الرجال تنقص، وأضلاع النساء تمام(1).

(1) مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 376 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 2 ص 196 و 197 ومن لا يحضره الفقيه ج 4 ص 327 و 328 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 26 ص 288 - 289 و (ط دار الإسلامية) ج 17

2 - وروى بعض أهل النقل: أن أمير المؤمنين أمر عدلين أن يحضرا بيتاً خالياً وأحضر الشخص معهما، وأمر بنصب مرأتين: إحداهما مقابلة لفرج الشخص، والأخرى مقابلة للمرأة الأخرى. وأمر الشخص أن يكشف عن عورته في مقابلة المرأة، حيث لا يراه العدلان، وأمر العدلين بالنظر في المرأة المقابلة لها.

فلما تحقق العدلان صحة ما ادعاه الشخص من الفرجين اعتبر حاله بعد أضلاعه(1).

ونقول:

الجرأة على الله!!:

نحتاج هنا إلى التذكير بالأمور التالية:

1 - لا شك في أن ذلك «الخنثى المشكل» كان جريئاً، بل وغير

ص576 و 577 ومستدرك الوسائل ج17 ص221 و 222 وكتاب الأربعين للماحوزي ص467 ومسند محمد بن قيس (تحقيق بشير المازندراني) ص104 وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص107 و 108.

(1) مناقب آل أبي طالب ج2 ص376 و (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص197 والإرشاد للمفيد ج1 ص214 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج26 ص291 و (ط دار الإسلامية) ج17 ص579 وبحار الأنوار ج40 ص259 وج101 ص354 وعجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن الأمين ص107.

مبالٍ بانتهاك الحرمات، حيث أقدم على الزواج برجلٍ، مع احتمال كونه رجلاً مثله. ووطأ امرأةً هي جاريته، مع احتمال كونه امرأةً مثلاً.

2 - والرجل الذي تزوج تلك الخنثى كان هو الآخر جريئاً حين تزوج بخنثى يلد له، ثم يستولد امرأةً أخرى.

ولم يكتف بذلك، بل هو يعترض على أمير المؤمنين «عليه السلام»، لإلحاقه ذلك الخنثى بالرجال، حين ظهر له أنه رجل، فهل يريد ذلك الزوج أن يطأ رجلاً، مدعياً أنه امرأة؟!!

لماذا أربع نساء؟!

بالنسبة للنسوة الأربع اللواتي أمرهن «عليه السلام» بعدّ أضلاع الخنثى نقول:

إنما اختار هذا الرقم: «أربعة» لكي تكتمل عناصر البينة، فإن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجلٍ واحد..

وقد أخبر الزوج بأن هذا الخنثى لا يؤتمن على امرأة، ولا يؤتمن عليه رجل، ربما بسبب عدم تورع الخنثى عن أي فعل ينافي الأخلاق إن وجد الفرصة لذلك.

فبادر «عليه السلام» بنفسه لاكتشاف الأمر.. لكي لا يحتاج إلى شهادة أحد..

عد الأضلاع هل ينافي الإحتياط؟!

إن عد الأضلاع لا يحتاج إلى كشف البدن لرؤيته مباشرة، ولا إلى ملامسته المباشرة، فيمكن ذلك من وراء ثوب ساتر. وهذا هو ما أشارت إليه الرواية، فإنه «عليه السلام» أمر دينار الخصي أن يشد ثياباً على الخنثى، ثم ولج «عليه السلام» البيت..

وقد وكل «عليه السلام» ذلك الخصي بعد أضلاع الخنثى..

وشد الثوب ظاهر بأنه لا يريد أن يكون الثوب فضفاضاً، بل يريده ملتصقاً ومشدوداً، ليتمكن من عدّ الأضلاع من خلال تحسسها من وراء الثوب.

النظر إلى العورة عبر المرأة:

وقد ذكرت الرواية الثانية: أنه «عليه السلام» لم يسمح للشهود بأن ينظروا إلى الخنثى في موضع العورة مباشرة، بل اكتفى بالنظر عبر المرأة، فدل ذلك على أنه لا مجال للتساهل في أمر النظر المباشر ما دام أن المرأة وسيلة صالحة لذلك، فلا بد من الاختصار عليها..

فلا مبرر إذن لما نشاهده من تساهل في هذا الأمر، من قبل الأطباء والممرضين والممرضات في أيامنا هذه، حيث يتعاملون مع مرضاهم، وكأنهم من محارمهم، بل هم يحللون لأنفسهم أكثر بكثير مما يحل للمحارم..

خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام:

وأما ما ذكرته الرواية الأولى من أنه «عليه السلام» قال: «إن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى، فأضلاع الرجال تنقص، وأضلاع النساء تمام» فيحتاج إلى بحث وتمحيص. ونحن نكتفي هنا ببعض اللمحات التي نرى ضرورة للتعريف بها، فنقول:

آيات قرآنية:

هناك آيات أشارت إلى خلق آدم، وموقع حواء منه، وهي التالية:

1 - قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) (1).

وقال: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (2).

وليس في هاتين الآيتين دلالة على أن حواء «عليها السلام»، قد خلقت من ضلع آدم «عليه السلام»، بل المراد هو جعل الزوجية من خلال التشريع.

والمراد بالنفس الواحدة آدم «عليه السلام» كما هو ظاهر

(1) الآية 189 من سورة الأعراف.

(2) الآية 6 من سورة الزمر.

السياق.. حتى لو كان المراد هو النفس الإنسانية، فالأمر يكون أوضح فيما نرمي إليه.

2 - قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (1).

وهذه الآية لا تدل على أن حواء «عليها السلام» قد خلقت من ضلع آدم أيضاً.

أما بالنسبة لقوله تعالى: (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)، فقد قلنا: إن المقصود به آدم «عليه السلام».. وإن كان المقصود معنى آخر. فالأمر يصبح أكثر وضوحاً.

وأما بالنسبة لقوله تعالى: (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (2). فذلك أيضاً، لأن ظاهره: أن زوجها منها من حيث أنهما معاً من النوع الإنساني، فكلمة «من» تفيد معنى النشوء، أي أن هذا قد نشأ من ذاك، فالآية على حد قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) (3).

من روايات خلق حواء:

وقد وردت روايات تضمنت الإشارة إلى خلق حواء من ضلع

(1) من الآية 1 من سورة النساء.

(2) من الآية 1 من سورة النساء.

(3) من الآية 21 من سورة الروم.

آدم، منها ما يلي:

- 1 - عن أبي بصير، قال: سأل طاووس اليماني أبا جعفر «عليه السلام»: لم سمي آدم آدم؟! قال: لأنه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى، قال: فلم سميت حواء حواء؟! قال: لأنها خلقت من ضلع حي. يعني ضلع آدم (1).
- 2 - عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: سميت حواء حواء لأنها خلقت من حي. قال عز وجل: (خَلَقْنَا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) (2) «(3).
- 3 - وفي حديث آخر: أن يهودياً سأل علياً «عليه السلام» عن سبب تسمية حواء بحواء، فقال «عليه السلام»: «وإنما سميت حواء

(1) الإحتجاج (ط دار النعمان) ج 2 ص 65 وبحار الأنوار ج 11 ص 100 وج 46 ص 352 عنه.

(2) الآية 1 من سورة النساء.

(3) علل الشرائع (ط المكتبة الحيدرية) ج 1 ص 16 وبحار الأنوار ج 11 ص 100 عنه، وراجع ص 156 والبرهان (تفسير) ج 1 ص 336 ونور الثقلين ج 1 ص 429 وجامع أحاديث الشيعة ج 20 ص 326 وراجع: مستدرك الوسائل ج 14 ص 324 وتفسير مجمع البيان ج 1 ص 167 و 168.

حواء، لأنها خلقت من الحيوان»(1).

4 - عن أبي بصير عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: سميت المرأة امرأة، لأنها خلقت من المرء. يعني: خلقت حواء من آدم(2).

5 - عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن بريد العجلي، عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال:

سألته عن قول الله تبارك وتعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا)(3).

قال: «إن الله تعالى خلق آدم من الماء العذب، وخلق زوجته من سنخه، فبرأها من أسفل أضلاعه، فجرى بذلك الضلع بينهما سبب نسب إلخ..»(4).

(1) علل الشرائع ج 1 ص 2 وبحار الأنوار ج 10 ص 13 وج 11 ص 102 عنه.
(2) علل الشرائع ج 1 ص 16 و 17 وبحار الأنوار ج 11 ص 109 وج 57 ص 265 عنه، والبرهان (تفسير) ج 1 ص 336 ونور الثقلين ج 1 ص 429 ومعاني الأخبار ص 48 ومستدرک سفينة البحار ج 9 ص 357 وقصص الأنبياء للجزائري ص 30.

(3) الآية 54 من سورة الفرقان.

(4) الكافي ج 5 ص 442 وتفسير القمي ج 2 ص 114 وبحار الأنوار ج 11 ص 112 عنه، وراجع ج 57 ص 277 وجامع أحاديث الشيعة ج 20 ص 399 والتفسير الصافي ج 4 ص 19 وتفسير نور الثقلين ج 4 ص 23 وقصص الأنبياء للجزائري ص 32.

6 - وعن أبي عبد الله «عليه السلام»: إن الله تعالى خلق آدم من الطين، وخلق حواء من آدم، فهمة الرجال الأرض، وهمة النساء الرجال إلخ..(1).

7 - عن محمد بن عيسى العلوي، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال: خلقت حواء من قصيرا جنب آدم - والقصيرا هو الضلع الأصغر - وأبدل الله مكانه لحماً(2).

8 - وبإسناده، عن أبيه، عن آبائه «عليهم السلام»، قال: خلقت حواء من جنب آدم، وهو راقد(3).

ونقول:

إن جميع هذه الروايات لا تثبت مطلوب القائلين: بأن حواء قد خلقت من ضلع آدم بالمعنى الحسي المباشر. وذلك لما يلي:

(1) قصص الأنبياء للراوندي ص45 وبحار الأنوار ج11 ص113 و 116 و 156 عن قصص الأنبياء. وعن تفسير العياشي، وراجع نور الثقلين ج1 ص334 عن الكافي، وتفسير مجمع البيان ج1 ص168 وقصص الأنبياء للجزائري ص32 و 44.

(2) بحار الأنوار ج11 ص115 و 116 عن تفسير العياشي، والبرهان (تفسير) ج1 ص336 وتفسير كنز الدقائق ج2 ص339.

(3) تفسير العياشي ج1 ص215 وبحار الأنوار ج11 ص116 عن تفسير العياشي، وتفسير كنز الدقائق ج2 ص339 والبرهان (تفسير) ج1 ص336.

أولاً: إن الرواية الثالثة، والرابعة، والسادسة، والثامنة، لا دلالة فيها على المطلوب، لأن كلمة: من آدم، أو من جنب آدم، أو من المرء، يعني: من آدم، أو من الحيوان، لا تعني: أنها خلقت من ضلع آدم بعد خلقه وصيرورته ضلعاً موجوداً بالفعل..

ثانياً: إن الرواية الثانية والثالثة معناهما: أن حواء مشتقة من حي، أو من الحيوان، مع أن هذا الاشتقاق خلاف القياس، لكون حواء واوياً، وأما كلمتا حي، وحيوان فيائيتان.

إلا أن يقال: إنه اشتقاق جاء على خلاف القياس. أو لا يكون المراد منه الاشتقاق اللغوي.

ثالثاً: عن ابن سلام: أنه سأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن آدم «عليه السلام»: لم سمي آدم..

إلى أن قال:

فأخبرني عن آدم، خلق من حواء؟! أو خلقت حواء من آدم؟! **قال:** بل حواء خلقت من آدم، ولو كان آدم خلق من حواء لكان الطلاق بيد النساء، ولم يكن بيد الرجال.

قال: فمن كله خلقت؟! أم من بعضه؟! **قال:** بل من بعضه، ولو خلقت من كله لجاز القصاص في

النساء، كما يجوز في الرجال.

قال: فمن ظاهره أو باطنه؟! **قال:** بل من باطنه، ولو خلقت من ظاهره لانكشفت النساء كما

ينكشف الرجال. فلذلك صار النساء متسترات.

قال: فمن يمينه أو من شماله؟!

قال: بل من شماله، ولو خلقت من يمينه لكان للأنثى مثل حظ الذكر من الميراث. فلذلك صار للأنثى سهم وللذكر سهمان، وشهادة امرأتين مثل شهادة رجل واحد.

قال: فمن أين خلقت؟!

قال: من الطينة التي فضلت من ضلعه الأيسر (1).

رابعاً: يؤيد ذلك: ما رواه الصدوق «رحمه الله»، بالإسناد إلى وهب، قال: إن الله تعالى خلق حواء من فضل طينة آدم على صورته، وكان ألقى عليه النعاس إلخ.. (2).

خامساً: روى الصدوق، بإسناده إلى الحسن بن عبد الله، عن آبائه، عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب «عليهما السلام» عن النبي «صلى الله عليه وآله»، في حديث طويل: «خلق الله عز وجل آدم من طين. ومن فضله وبقيته خلقت حواء» (3).

(1) علل الشرائع ج 2 ص 470 - 472 وبحار الأنوار ج 9 ص 304 - 306 وج 11 ص 101 عنه، ونور الثقلين ج 1 ص 334 وتفسير كنز الدقائق ج 2 ص 342.

(2) قصص الأنبياء للراوندي ص 73 وبحار الأنوار ج 11 ص 115 عنه.

(3) الأمالي للصدوق ص 259 و 260 وبحار الأنوار ج 9 ص 299 وج 100

سادساً: عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، قال: سألت أبا جعفر «عليه السلام»: من أي شيء خلق الله حواء؟!

فقال: أي شيء يقول هذا الخلق؟!

قلت: يقولون: إن الله خلقها من ضلع من أضلاع آدم.

فقال: كذبوا. كان يعجزه أن يخلقها من غير ضلعه؟!

فقلت: جعلت فداك يا ابن رسول الله، من أي شيء خلقها؟!

فقال: أخبرني أبي، عن آبائه «عليهم السلام»، قال: قال رسول الله: «إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين، فخلطها بيمينه - وكلتا يديه يمين - فخلق منها آدم، وفضلت فضلة من الطين، فخلق منها حواء»(1).

وفي نص آخر عن الإمام الباقر «عليه السلام»: إنها خلقت من فضل طينة آدم عند دخول الجنة(2).

ص241 و 241 ونور الثقلين ج1 ص477 وعلل الشرائع ج2 ص512 وتفسير كنز الدقائق ج2 ص442 والإختصاص للمفيد ص38 .

(1) تفسير العياشي ج1 ص216 وبحار الأنوار ج11 ص116 عنه، وتفسير الميزان ج4 ص146 و 147 وقضايا المجتمع والأسرة للطباطبائي ص78 عن نهج البيان للشيباني، وعن الصدوق «رحمه الله»، والبرهان (تفسير) ج1 ص336 ونور الثقلين ج1 ص429 و 430 وقصص الأنبياء للجزائري ص33 .

(2) البرهان (تفسير) ج3 ص336 عن نهج البيان، وراجع: شرح مسلم للنووي

ونذكر القارئ: بأن كثيراً من التعابير قد جاءت على سبيل المجاز، ومنها قوله: «فخلطها بيمينه، وكلتا يديه يمين».

سابعاً: لعل الأخبار التي تحدثت عن خلق حواء من ضلع آدم قد جاءت على سبيل التقية، لأنها موافقة لما كان عليه الناس من غير أهل البيت وشيعتهم. كما دلت عليه الرواية السابقة..

ثامناً: قد يقال: إن أخبار خلقها من ضلع آدم لا تتنافى مع أخبار خلقها من فاضل طينته، بأن تكون قد خلقت من فاضل طينة ضلعه الأيسر. كما ألمحت إليه بعض الروايات المتقدمة..

هل هذه فكرة توراتية؟!

وربما تكون هذه الفكرة قد تسربت إلى بعض المسلمين من قبل أهل الكتاب، وبالتحديد من التوراة المحرفة المتداولة. فقد جاء فيها:

«فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحداً من أعضائه، وملاً مكانها لحماً، وبنى الإله الضلع المحرم الذي أخذها من آدم امرأة، لأنها من امرئ أخذت، لذلك يترك الرجل أباه وأمه، ويلتصق

ج 10 ص 59 وفتح الباري ج 6 ص 262 وعمدة القاري ج 15 ص 211
وجامع البيان للطبري ج 1 ص 329 والتبيان للطوسي ج 1 ص 159 وبحار
الأنوار ج 11 ص 156 وتفسير الرازي ج 3 ص 2 وتفسير العز بن عبد السلام
ج 1 ص 118.

بأمرأته، ويكونان جسداً واحداً إلخ..»(1).

ونسجل هنا: أن مضامين هذه الفقرات مبنوثة في العديد من الروايات التي في الكتب التي يتداولها المسلمون أيضاً.. مع أنها مما لا يصح، ولا ينبغي الاهتمام به.

الدواء الشافي:

ومن أقضية أمير المؤمنين «عليه السلام» ما رواه العياشي، عن حمران، عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» قال: اشتكى رجل إلى أمير المؤمنين بطنه، فقال له: سل امرأتك درهماً من صداقها، فاشتتر به عسلاً، ثم اشربه بماء السماء، فإن الله يشفيك إن شاء الله. ففعل الرجل ما أمره به علي «عليه السلام»، فبرئ وزالت عنه شكواه، فسئل أمير المؤمنين «عليه السلام» عن ذلك: شيء سمعته من النبي؟!!

فقال: «عليه السلام»: لا، لم أسمعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكني سمعت الله تعالى يقول في كتابه العزيز: (وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً)(2).

وقال «عليه السلام»: (يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ

(1) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح الثاني.

(2) الآية 4 من سورة النساء.

فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ (1).

وكذلك قول الله تعالى: (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جِبَاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) (2).

فاجتمع الهنيئ والمريء، والبركة والشفاء، فرجوت بذلك البرء (3).

ونقول:

1 - إنه «عليه السلام» قد استفاد من هذه الآيات المباركات علاجاً ناجعاً، أخبر أنه يشفي ذلك المريض بشكل قاطع. مؤكداً حصول الشفاء بكلمة «إن».

2 - إن التأكيد بكلمة «إن» يفيد: أن التعليق على المشيئة في قوله: «إن شاء الله» قد جاء لحفظ القدرة له عز وجل، وليس لأجل الترديد

(1) الآية 69 من سورة النحل.

(2) الآية 9 من سورة ق.

(3) راجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج 32 ص 165 و 166 وتفسير العياشي ج 1 ص 219 وراجع ص 218 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 21 ص 285 و 286 و (ط دار الإسلامية) ج 15 ص 37 وبحار الأنوار ج 59 ص 265 و (ط الحجرية) ج 14 ص 873 و ج 23 ص 83 وجامع أحاديث الشيعة ج 21 ص 257 ومستدرك سفينة البحار ج 7 ص 221 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 184 والبرهان (تفسير) ج 1 ص 341 ومجمع البيان ج 3 ص 7.

في حصول الشفاء.

3 - إن مراجعة الناس للإمام في أمر الطب إما لاعتقادهم بإمامته، وفهمهم معنى الإمامة بصورة عميقة وصحيحة، أو لما كانوا يشاهدونه من تبحره «عليه السلام» في مختلف العلوم والمعارف. من حيث أن ذلك مما تتطلبه إمامته، أو لسماعهم من النبي «صلى الله عليه وآله»: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

ووعيهم له أو لسماعهم قوله تعالى: (كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)⁽¹⁾. وغيره.. وربما لأجل ذلك كله.

(1) الآية 69 من سورة النحل.

الفصل الخامس:

مشكلات وحلول..

ضاع دينار من ثلاثة:

روى الصدوق والشيخ مسنداً عن السكوني عن الصادق «عليه السلام» عن آبائه عنه «عليه السلام» في رجل استودع رجلاً دينارين، واستودعه آخر ديناراً، فضاع دينار منها، فقضى: أن لصاحب الدينارين ديناراً، ويقسمان الدينار الباقي بينهما نصفين⁽¹⁾.

ونقول:

ليس على أمين ضمان:

من الواضح: أن ذلك الرجل المستودع أمين، وليس على أمين ضمان.

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 38 وعن من لا يحضره الفقيه ج 2 ص 171 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج 3 ص 37 وراجع: تهذيب الأحكام ج 6 ص 208 و ج 7 ص 181 والمقنع ص 33 و (ط سنة 1415 هـ) ص 398 والنهاية للطوسي ص 314 والسرائر ج 2 ص 69 وجامع أحاديث الشيعة ج 18 ص 402.

لماذا لم يعمل بالقرعة؟!

1 - إن مجموع الدينارين هو ثلاثة، اثنان منها لأحد الرجلين. وقد ضاع دينار واحد، فهو إما الدينار الثاني لصاحب الدينارين أو هو دينار الرجل الآخر.. فأخذ الدينارين الباقيين هو للذي له ديناران، ويبقى دينار واحد. يحتمل أن يكون له أيضاً، ويحتمل أن يكون لذلك، ولا يحتمل أن يكون لهما معاً، لأن الذي ضاع هو قطعة واحدة، لا يمكن أن تكون إلا لأحدهما..

ولكنه «عليه السلام» قسمه بينهما نصفين، ولم يعمل بالقرعة، لعله لأجل حفظ حقهما معاً. لأن إعطاء الدينار لأحدهما استناداً إلى القرعة لا بنفي احتمال أن يكون قد أعطاه حق رفيقه الآخر، وكذلك العكس.

كما أن إعطاء نصف دينار لكل منهما معناه: أن أحدهما قد أخذ ما ليس له قطعاً.

ولكن لو نظرنا إلى كل منهما بمفرده فلا نقطع بأنه قد أخذ حق غيره بل نحتمل ذلك.

2 - بناءً على ما تقدم نقول:

يحتمل أن يكون هذا الحل قد جاء على سبيل المصالحة الحبيبة بينهما من حيث أنه «عليه السلام» كان يعلم أن الطرفين يرجحانها ويقبلان بها.. لأنهما يرضيان بنصف حقهما، ولا يلجآن إلى خيار يحتمل كل واحد منهما أنه قد يخسر فيه كل شيء..

فتكون هذه قضية في واقعة، ولا يمكن القياس عليها، ولا يستفاد منها حكم شرعي مطرد، بل هو حكم مرهون بالتراضي.

فإذا أصرا على رفض هذا الصلح، فالسؤال باق، وهو أنه هل يعمل بالقرعة؟! أم ماذا؟!!

ويحتمل أن تكون هذه مصالحة إلزامية من الشارع، أي أن الحكم فيها تعبدية لازم الإجراء، لا سيما وأنه «عليه السلام» لم يطلب رضاها بما قرره، ولا علل حكمه بشيء.

والشاهد على رجحان هذا الوجه: أنه «عليه السلام» قد عمل بهذه القاعدة في موارد أخرى.

منها: ما روي عن الصادق «عليه السلام» في رجلين كان معهم [معهما] درهمان، فقال أحدهما: الدرهمان لي.

وقال الآخر: هما بيني وبينك.

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: أما الذي قال: هما بيني وبينك، فقد أقر بأن أحد الدرهمين ليس له فيه شيء وأنه صاحبه، ويقسم الدرهم الباقي بينهما نصفين (1).

(1) وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 18 ص 450 و (ط الإسلامية) ج 13 ص 169 و 170 ومن لا يحضره الفقيه ج 2 ص 13 و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج 3 ص 35 وتهذيب الأحكام ج 6 ص 208 و 292 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 38 ومستدرك

قاعدة اليد:

إن مسألة الدرهمين إنما تفرض لو لم يكن الدرهمان بيد من يدعيهما معاً لنفسه، إذ لو كانا بيده، فإن اليد أماراة على الملكية. فلا بد أن يكون الدرهمان معهما معاً، كما لو كانا يسكنان في بيت واحد، وكان الدرهمان فيه، وهما تحت يد كل منهما. ويمكن لكل منهما التصرف فيهما..

للمسألة نظائر:

وهناك شاهد آخر، مروي عن الإمام الباقر «عليه السلام» في رجل اشترى من رجل عبداً وأقبضه فلما أراد أن يُقبضه العبدُ ثَمَنَهُ وكان عنده عبدان قال للمشتري اذهب بهما فاختر أيهما شئت، ورد الآخر.

فذهب بهما المشتري، فأبق أحدهما من عنده.

فقال «عليه السلام» ليرد الذي عنده بينهما، ويقبض نصف الثمن مما أعطى من البيع. ويذهب في طلب الغلام، فإن وجده اختار أيهما شاء، ورد النصف الذي أخذه، وإن لم يجد العبد كان العبد بينهما: نصفه للبائع، ونصفه للمبتاع⁽¹⁾.

الوسائل ج 13 ص 444.

(1) الكافي ج 5 ص 217 وسائل الشيعة (ط آل البيت) ج 18 ص 268 و (ط الإسلامية) ج 13 ص 44 و 45 ومن لا يحضره الفقيه ج 3 ص 148 وتهذيب

لكن الحر العاملي «رحمه الله» قال: «وجهه بعض علمائنا بوقوع البيع على نصف العبدین» (1).

اضرب عنق العبد منهما:

وروى الطوسي «رحمه الله» بإسناده إلى قضايا أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال: قال أبو جعفر «عليه السلام»:

توفي رجل على عهد أمير المؤمنين «عليه السلام»، وخلف ابناً وعبدًا، فادعى كل واحد منهما أنه الابن، وأن الآخر عبد له.

فأتيا أمير المؤمنين «عليه السلام»، فتحاكما إليه، فأمر أن يثقب في حائط المسجد ثقبين، ثم أمر كل واحد منهما أن يدخل رأسه في ثقب. ففعلا.

ثم قال «عليه السلام»: يا قنبر، جرد السيف - وأشار إليه، لا تفعل ما أمرك به - ثم قال: اضرب عنق العبد.

فحى العبد رأسه.

فأخذه أمير المؤمنين «عليه السلام». وقال للآخر: أنت الابن.

الأحكام ج 7 ص 72 و 82 وعوالي اللآلي ج 3 ص 229 وجامع أحاديث الشيعة ج 18 ص 245.

(1) وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 18 ص 269 و (ط الإسلامية) ج 13 و 45.

وقد أعتقت هذا، وجعلته مولى لك(1).

عن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام»: أن رجلاً أقبل على عهد علي «عليه السلام» من الجبل حاجاً ومعه غلام له، فأذنب، فضربه مولاه، فقال: ما أنت مولاي بل أنا مولاك؟!!

قال: فما زال ذا يتوعد ذا، وذا يتوعد ذا، ويقول: كما أنت حتى نأتي الكوفة يا عدو الله فأذهب بك إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلما أتيا الكوفة أتيا أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال الذي ضرب الغلام: أصلحك الله هذا غلام لي وإنه أذنب فضربته فوثب علي.

وقال الآخر: هو والله غلام لي، إن أبي أرسلني معه ليعلمني، وإنه وثب علي يدعيني ليذهب بمالي.

قال: فأخذ هذا يحلف وهذا يحلف، وهذا يكذب هذا، وهذا يكذب هذا.

قال: فقال: انطلقا فتصادقا في ليلتكما هذه ولا تجيئاني إلا بحق.

قال: فلما أصبح أمير المؤمنين «عليه السلام» قال لقتبر: أثقب في الحائط ثقبين.

قال: وكان إذا أصبح عقب حتى تصير الشمس على رمح يسبح،

(1) من لا يحضره الفقيه ج3 ص14 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج27 ص287 و 288 و (ط الإسلامية) ج18 ص211 و 208 و 209 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج2 ص380 والكافي ج7 ص425 وتهذيب الأحكام ج6 ص307.

فجاء الرجلان واجتمع الناس، فقالوا: لقد وردت عليه قضية ما ورد عليه مثلها لا يخرج منها.

فقال لهما: ما تقولان؟!!

فحلف هذا: أن هذا عبده.

وحلف هذا: أن هذا عبده.

فقال لهما: قوما فإني لست أراكما تصدقان.

ثم قال لأحدهما: ادخل رأسك في هذا الثقب.

ثم قال للآخر: ادخل رأسك في هذا الثقب.

ثم قال: يا قنبر، عليّ بسيف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، عجل اضرب رقبة العبد منهما.

قال: فأخرج الغلام رأسه مبادراً، فقال علي «عليه السلام» للغلام: ألسنت تزعم أنك لست بعبد؟!!

ومكث الآخر في الثقب، فقال: بلى، ولكنه ضربني وتعدى علي.

قال: فتوثق له أمير المؤمنين «عليه السلام» ودفعه إليه(1).

ونقول:

(1) الكافي ج 7 ص 425 وتهذيب الأحكام ج 6 ص 307 وبحار الأنوار ج 40 ص 308 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 27 ص 284 و (ط الإسلامية) ج 18 ص 208 وجامع أحاديث الشيعة ج 25 ص 129.

المفاجأة والصدمة:

لا حاجة إلى التذكير: بأنه «عليه السلام» جعل من عنصر المفاجأة وسيلة لصدم الارتكاز العفوي لدفع العبد إلى الحركة المعبرة عن هذا الارتكاز، حين وضع رأسي الرجلين في ثقب في الحائط، وأمر بضرب عنق العبد منهما.

إعداد وتمهيد:

1 - إنه «عليه السلام» بمفاجأته هذه، وتمهيده لها؛ بإحداث ثقب في حائط المسجد، ثم بوضع رأسي الرجلين في الثقبين قد أخرج الرجلين من حالة التركيز على نقطة بعينها والتشبث بها، إلى إشغالهم بحركات متباينة أوفدت صوراً مختلفة، لتختلط مع الصور التي كان يتم التركيز عليها، فزاحمتها وأزالتها عن مواقعها، ولم يعد بالإمكان العودة إليها إلا بالتخلص من مجموع هذه الصور، التي تمازجت بالمشاعر العنيفة والمتزاحمة في آن واحد.

2 - إنه «عليه السلام» قد أعطاهما المهلة لكي تعود النفوس إلى هدوئها، ويراجع الكاذب منهما نفسه حتى لا يفتضح أمام الملائكة. وإن لم يكن ذلك كان لا بد من معالجة الأمر بطريقة تكشف كذب الكاذب، وليكون - من ثم - جديراً بالفضيحة التي ستلحق به.

الإفتراق أولى:

إن أمير المؤمنين «عليه السلام» حين كشف مكيدة العبد كان

يعلم: أن إبقاءه على الرقية لذلك الشخص، ليس بالأمر الصواب. لأن نفسه قد تسول له اللجوء إلى حركات أخرى أسوأ، بل قد يفكر بالتعاون مع أعداء علي «عليه السلام»، لينقضوا حكم علي «عليه السلام» بادعاء: أن هذا الذي جرى لا يثبت رقيته.

فبادر «عليه السلام» إلى فعل يرضي ذلك العبد، ويدعوه إلى التمسك بحكم الرقية، لأنه أصبح طريقاً إلى الحرية الحقيقية، ألا وهو عتقه، واعتباره مولى لذلك الرجل، فيكون ولاؤه له، وربما يرثه بالولاء: كما أن هذا الإجراء يؤكد سبق عبوديته له.

علي عليه السلام لم يعزر العبد على كذبه:

ويلاحظ: أن الرواية لم تصرح بأنه «عليه السلام» قد عزر العبد على كذبه، ولعل السبب هو أن هذا يستلزم البحث عن مدى ما فعله سيده به، ولعل ذلك ينجر إلى عقوبة سيده، فكان الأولى والأصلح هو الستر على الناس، وإبقاء حالة الوئام بين السيد وعبد، حتى لا يفسد الأمر بينهما، هذا إن لم يكن ضرب عبده بغير حق، فأعتق العبد عقوبة على ذلك.

وللإمام أن يعفو عن الحد الذي يثبت بالإقرار، لا سيما إذا رأى مصلحة في هذا العفو.

وبعد.. فلعل الروايتين المتقدمتين تتحدثان عن واقعيتين، ويحتمل أن تكون واقعة واحدة.

ويلاحظ أيضاً: أن العبد أقر بعد أن رأى البأس، ولم يقر مختاراً.

ثم في إحدى الروايتين لم يطلق أو يعتق العبد، بل سلمه إلى سيده بعد أن استوثق له.

لم تصرح الرواية:

غير أننا لا ندري إن كان علي «عليه السلام» حين أعتق العبد قد ضمن قيمته لسيده، أم أنه أعتقه برضا ذلك السيد. فإن كان قد أعتقه بدون رضاه، فيكون قد استفاد من موقع ولايته، وإمامته.. ولعله أراد بذلك عقوبته على ضربه لعبده بغير حق، إن كان قد ضربه بغير حق، أو أكثر مما ينبغي.. أو أنه عالج الموضوع بالتعويض عليه من ماله، أو من بيت المال. وهذا ما عجزت الراوية عن بيانه..

ولكن الرواية الأخرى تذكر: أنه «عليه السلام» توثق للعبد، ودفعه إلى سيده.

وزن باب الحديد:

عن صفوة الأخبار: أن علياً «عليه السلام» قضى بالبصرة لقوم حدادين اشتروا باب حديد من قوم.

فقال أصحابه: الباب كذا وكذا منا، فصدقوهم وابتاعوا، فلما حملوا الباب على أعناقهم قالوا للمشتريين: ما فيه ما ذكره من الوزن، فسألوهم الحطيطة، فأبوا، فارتجعوا عليهم، فصاروا إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» فقال: أدلكم أحملوه إلى الماء.

فحمل فطرح في زورق صغير، وعلم على الموضع الذي بلغه

الماء. ثم قال: ارجعوا مكانه تمرأ موزوناً.

فما زالوا يطرحونه شيئاً بعد شيء موزوناً حتى بلغ الغاية.

فقال: كم طرحتم.

قالوا: كذا وكذا منأ ورطلاً.

فقال «عليه السلام»: هذا وزنه⁽¹⁾.

وزن الفيل:

روى الشيخ، عن الحسين بن سعيد، عن بعض أصحابنا، رفعه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» في رجل حلف أن يزن الفيل.

فأتوا به إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: ولم تحلفون بما لا تطيقون؟!

فقال: قد ابتليت.

فأمر بقرقور فيه قصب، فأخرج منه قصب كثير، ثم علم صبغ الماء بعدما عرف صبغ الماء قبل أن يخرج القصب، ثم صير الفيل إلى مقداره الذي كان انتهى إليه صبغ الماء أولاً.

ثم أمر بوزن القصب الذي أخرج، فلما وزن قال: هذا وزن

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي)

ص 182 ومستدرك الوسائل ج 17 ص 394 وجامع أحاديث الشيعة ج 25

ص 137 وبحار الأنوار ج 40 ص 286 عن كتاب صفوة الأخبار.

الفيل (1).

ونقول:

نظير هذه الحادثة:

1- قال التستري:

«قلت: هو نظير ما رواه الفقيه عن النضر بن سويد يرفعه: أن رجلاً حلف أن يزن فيلاً.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يدخل الفيل سفينة، ثم ينظر إلى موضع مبلغ الماء من السفينة، فيعلم عليه، ثم يخرج الفيل، ويلقى في السفينة حديد، أو صفر، أو ما شاء، فإذا بلغ الموضع الذي علم عليه أخرجه ووزنه.

نقل المجلسي والعاملي هذا الخبر في باب قضايا أمير المؤمنين «عليه السلام» مع أن الخبر عن النبي «صلى الله عليه وآله» (2).

(1) وسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 23 ص 284 و (ط دار الإسلامية) ج 16 ص 177 و 178 وتهذيب الأحكام ج 8 ص 318 وبحار الأنوار ج 40 ص 166 وجامع أحاديث الشيعة ج 19 ص 520 ونهج الإيمان ص 280 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 183 ومناقب آل أبي طالب ج 1 ص 328 والصراط المستقيم ج 1 ص 223.

(2) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 183.

2 - قال الحر العاملي «رحمه الله»: «هذا محمول على الاستحباب، بل التقية لما مر. أشار إليه الصدوق وغيره»⁽¹⁾.

الحلف على غير المقدور:

في الرواية: أن علياً «عليه السلام» قد لام من يحلف بما لا يطيق. فإن كان المراد: أنهم لا يطيقون ذلك حقيقة، فينبغي أن يحكم ببطالان هذا الحلف، لأن صحته تتوقف على كون المحلوف عليه مقدوراً. ولا يحتاج بعد هذا إلى أن يتولى هو أو غيره وزن الفيل.

وإن كان المراد أنهم لا يطيقون وزن الفيل. لأنهم لا يملكون بالفعل معرفة طريقة وزنه، فلا يضر ذلك بصحة الحلف، لأنهم وإن لم يعرفوا طريقة وزنه مباشرة، ولكنهم قادرون على معرفة هذه الكيفية بسؤال العالمين بها، كأمر المؤمنين «عليه السلام»، ولا يشترط في صحة الحلف أكثر من هذا.

فلومه «عليه السلام» لهم إنما هو على تسرعهم في الحلف على أمر لا يجدون لهم حيلة فيه ساعة حلفهم، أو يتعسر عليهم، أو من غير الميسور لهم عادة.

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 183 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 23 ص 284 و (ط دار الإسلامية) ج 16 ص 178.

خلل في نص الرواية:

يبدو لنا: أن ثمة خلطاً في نص الرواية.. فإن التصرف الطبيعي الموصل إلى النتيجة المتوخاة، هو أن يضع الفيل أولاً في السفينة، ثم يعلم موضع وصول الماء فيها..

ثم يخرج الفيل ويجعل مكانه قصباً إلى أن يبلغ الماء إلى نفس تلك العلامة، ثم يوزن القصب، فيكون الحاصل من وزنه هو وزن الفيل.

ولكن الرواية عكست الأمر، وأصبحت تحتاج إلى أن نعلم بوزن الفيل قبل وضع القصب فيه. إذ لا معنى لوزن القصب أولاً.

ثم جعل الفيل بعده إلا إذا كان يعلم بأن الماء سيبلغ إلى نفس الموضع الذي بلغه القصب، ولو كان يعلم بذلك لم تكن حاجة إلى وضع الفيل في السفينة أصلاً.

فتلخص: أنه لا بد من وضع الفيل أولاً، ثم وضع علامة على السفينة تبين موضع بلوغ الماء حال كون الفيل فيها. ثم يوضع القصب، حتى يبلغ الماء إلى تلك العلامة كما قلنا. ثم يوزن القصب.. فيعرف بذلك وزن الفيل.

كلب أم شاة؟!:

وروي: أن أعرابياً سأل علياً «عليه السلام»، فقال: إني رأيت كلباً وطأ شاةً، فأولدها ولداً، فما حكم ذلك في الحل؟!

فقال «عليه السلام»: اعتبره في الأكل، فإن أكل لحماً فكلب، وإن أكل علفاً فشاة.

فقال الأعرابي: رأيته يأكل هذا تارة، وهذا أخرى.

فقال «عليه السلام»: اعتبره في الشرب، فإن كرع فهو شاة، وإن ولغ فكلب.

فقال الأعرابي: وجدته ولغ مرة ويكرع أخرى.

فقال: اعتبره في المشي مع الماشية، فإن تأخر عنها فكلب، وإن تقدم أو توسط فهو شاة.

فقال: وجدته مرة هكذا ومرة هكذا.

قال: اعتبر في الجلوس، فإن برك فشاة، وإن أقعى فكلب.

قال: إنه يفعل هذا مرة وهذا أخرى.

قال: اذبحه، فإن وجدته له كرشاً فهو شاة، وإن وجدت أمعاء فكلب.

فبهت الأعرابي عند ذلك من علم أمير المؤمنين «عليه السلام» (1).

(1) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 58 عن كشكول البهائي. وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج 17 ص 491 عن حديقة الأفراح لإزالة الأتراح، لليماني الشيرواني (ط المطبعة الميمنية بالقاهرة) ص 51 عن البهائي، وشجرة طوبى ج 1 ص 67

ونقول:

علم الحيوان عند علي عليه السلام:

إن هذه الرواية أوضحت: معرفته «عليه السلام» بخصائص الحيوانات، وطباعها. وأيها له علاقة بتكوينه الذي يميزه عن غيره.. فإننا نعلم أن بعض الحيوانات قد تتعلم أموراً تشبه فيها بعض الفصائل الأخرى. ولكن ذلك يكون عارضاً وطارئاً، ولا يكون من خصوصيات خلقتها.

وقد ذكر «عليه السلام» هنا أربعة أمور تميز الكلب تمييزاً حقيقياً في أخلاقه وسلوكياته عن الشاة. فلما وجد أنها قد اختلطت، أو أن السائل أراد أن يتعنت عليه فيها، بما رآه مفيداً له في ذلك.. بادره بما حسم الأمر نهائياً، وبهته حين ذكر له أمراً خلقياً، إما أن يكون أو لا يكون. فكان لا بد له من أن يرفع اليد عن هذا التعنت رغماً عنه.

وقد ظهر بذلك شمولية علم علي «عليه السلام» لمختلف المجالات والحالات.

كما أن ذيل الرواية قد ألمح إلى أن مطلوب ذلك السائل هو متابعة الأسئلة إلى أن ينتهي إلى قطع أمير المؤمنين «عليه السلام» عن الجواب، فجاءت الأمور على عكس ما أراد، وظهر بذلك فضله «عليه السلام» بما لا مزيد عليه، وما لا سبيل لأحد غيره إلى

الوصول إليه..

الفرق بين الطحال والكبد:

عن أبي يحيى الواسطي، قال: مرَّ أمير المؤمنين «عليه السلام» بالقصابين، فنهاهم عن بيع سبعة أشياء من الشاة، نهاهم عن بيع: الدم والغدد وآذان الفؤاد والطحال والنخاع والخصي والقضيب، فقال له بعض القصابين: يا أمير المؤمنين، ما الكبد والطحال إلا سواء. فقال له: كذبت يا لكع، انتني بتورين من ماء، أنبتك بخلاف ما بينهما.

فأتى بكبد وطحال، وتورين من ماء.

فقال: شقوا الكبد من وسطه، والطحال من وسطه، ثم رماهما في الماء جميعاً، فابيضت الكبد، ولم ينقص منها شيء، ولم يبيض الطحال، وخرج ما فيه كله، وصار دماً كله. وبقي جلد وعروق. فقال له: هذا خلاف ما بينهما، هذا لحم، وهذا دم (1). ونقول:

(1) مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 377 و (ط المكتبة الحيدرية) ج 2 ص 197 وتهذيب = الأحكام ج 9 ص 74 وفقه القرآن للراوندي ج 2 ص 259 و 260 والكافي ج 6 ص 253 والخصال ص 341 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 24 ص 171 و (ط دار الإسلامية) ج 16 ص 360 وبحار الأنوار ج 63 ص 34 وجامع أحاديث الشيعة ج 23 ص 159.

ما أخطأ به القصاب:

إن ذلك القصاب قد اخطأ مرتين:

إحداهما: في تسويته بين الطحال والكبد، مع أنه إن لم يكن لديه أية معرفة بالعلوم، فقد كان عليه أن يعرف حده، فيقف عنده.. وإلا فقد كان ينبغي له أن يعرف أن مقولته لو صحت، لكانت بمثابة نسبة العبث إلى الله سبحانه حين خلقهما في جسد واحد.

الثانية: أنه اعترض على التشريع الإلهي، من دون أن يكون لديه أي اطلاع على علل التشريع، وعلى أسرار الخلقة. ومن الواضح: أن دين الله تعالى لا يصاب بالعقول.

كما أن هذا الاعتراض يستبطن الاستهانة بأحكام الله تعالى، وتسهيل مخالفتها، والعبث بها على الناس.

والثالثة: أنه يقول بغير علم، ولا هدى ولا كتاب منير، مستنداً إلى حدسه. وهذا مرفوض جملة وتفصيلاً، فكيف إذا أراد أن يبرر به اعتراضه على التشريع الإلهي؟!

لماذا وصف القصاب بالكذب؟!:

1 - لعل ما ذكرناه يوضح السبب في هذه الشدة التي أظهرها «عليه السلام» مع ذلك الرجل، حيث وصفه بالكذب. وهو كاذب بالفعل، فإنه يخبر بخلاف الواقع، وهو يدعي معرفته بأمر ظهر أنه يجهله جهلاً تاماً.

وهو أيضاً لكع، لأنه أحمق يتدخل فيما لا يعنيه، ويتصرف بما لا يحمد عليه، بلا روية ولا تعقل.

2 - إنه «عليه السلام» قد اثبت عملياً كذب ذلك القصاب، وقد ظهر أن التفاوت بين الطحال والكبد عظيم.. فقد بينت التجربة الحسية كيف أن أحدهما دم، والآخر لحم..

ولم يكتف «عليه السلام» بمجرد إخباره بهذا الأمر، بل جعله يتلمسه بنفسه، ليزيل كل وهم يمكن أن يراود خياله، أو خيال أي كان من الناس.

3 - إن ذلك القصاب قد أفتى بغير علم، بل استند إلى الحدس، والتخمين، والإستحسان، فحاله حال الذين (قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) (1).

تزوجت ولدها، فمنعه الله منها:

ورد: أن أمير المؤمنين قال للوشاء: ادن مني.

قال: فدنوت منه، فقال: امض إلى محلّكم، ستجد على باب المسجد رجلاً وامراًة يتنازعان، فائتني بهما.

قال: فمضيت فوجدتهما يختصمان، فقلت: إن أمير المؤمنين يدعوكما. فسرنا حتى دخلنا عليه، فقال: يا فتى، ما شأنك وهذه

(1) الآية 275 من سورة البقرة.

الإمرأة؟!!

قال: يا أمير المؤمنين، إني تزوجتها، وأمهرت، وأملك، وزففت، فلما قربت منها رأيت الدم، وقد حرت في أمري.

فقال «عليه السلام»: هي عليك حرام ولست لها بأهل.

فماج الناس في ذلك، فقال لها: هل تعرفيني؟!!

فقالت: سماع أسمع بذكرك، ولم أرك.

فقال: ما أنت فلانة بنت فلان من آل فلان؟!!

فقالت: بلى والله.

فقال: ألم تتزوجي بفلان بن فلان متعة سرّاً من أهلك؟! ألم تحملي منه حملاً ثم وضعتيه غلاماً ذكراً سوياً، ثم خشيت قومك وأهلك، فأخذتيه وخرجت ليلاً، حتى إذا صرت في موضع خال وضعتيه على الأرض، ثم وقفت مقابلته، فحننت عليه، فعدت أخذتيه، ثم عدت طرحتيه حتى بكى وخشيت الفضيحة، فجاءت الكلاب فأنبحت عليك، فخفت فهرولت فانفرد من الكلاب كلب فجاء إلى ولدك فشمه، ثم نهشه لأجل رائحة الزهومة، فرميت الكلب إشفافاً، فشججتيه فصاح، فخشيت أن يدركك الصباح فيشعر بك، فوليت منصرفة وفي قلبك من البلبال، فرفعت يديك نحو السماء وقلت: اللهم احفظه يا حافظ الودائع؟!!

قالت: بلى والله، كان هذا جميعه، وقد تحيرت في مقالتيك.

فقال: هائم الرجل، فجاء.

فقال «عليه السلام» للفتى: اكشف عن جبينك، فكشف فقال للمرأة: ها الشجة في قرن ولدك، وهذا الولد ولدك، والله تعالى منعه من وطئك بما أراه منك من الآية التي صدته، والله قد حفظ عليك كما سألتيه، فاشكري الله على ما أولاك وحباك (1).

ونقول:

1 - لم يظهر من الرواية المذكورة أن أحداً أخبر علياً «عليه السلام» بوجود امرأة ورجل يختصمان عند باب المسجد. فإن كان علي «عليه السلام» قد عرف بالأمر بعلم الإمامة، فلماذا لم يخبر «عليه السلام» هذه المرأة بحقيقة أمر هذا الرجل، وأنه ابنها قبل أن يتزوجها، وتحصل هذه الفضيحة لها وله؟!!

ويمكن أن يجاب:

بأن هذا الإخبار لم يكن مطلوباً، بل لعل المطلوب هو إظهار علم الإمامة، الذي سيكون له أثر كبير في هداية الكثيرين إلى هذا الدين، ثم في تعميق وترسيخ إيمان من كان قد آمن منهم، فإن ذلك يستتبع توفيقات وألطف إلهية، ما أحوجهم إليها.

على أن هذا الذي جرى للأم ولابنها من شأنه أن يزيد في درجات إيمانها، ويرسخ قدمهما في معنى الإمامة، ويعمق علاقتهما القلبية

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية - النجف) ج 2 ص 101 وقضاء أمير المؤمنين للتستري ص 237 و 238 وبحار الأنوار ج 40 ص 219.

بالإمام «عليه السلام». وهذا أيضاً من لطف الله تعالى بهما، ومحبته لهما.

ويتأكد ذلك: إذا كانت تلك المرأة ستشاهد ويشاهد الناس لطف الله بها وبولدها.. باستجابة دعائها، وحفظ ولدها، حتى من الكلاب التي كانت تتأهب لنهش لحمه، وكسر عظمه.

وقد حفظه الله تعالى لها، ليدرك أصحاب الغيرة الحمقاء، التي تعبر عن أنانيتهم وخزيهم وظلمهم، الذين كانوا السبب في تعريض هذا الطفل لما تعرض له: أنهم بعيديون عن رحمة الله تعالى، وأن هذه الأم هي التي يحبها الله إلى حد أنه يحفظ لها ولدها الذي يريدون بظلمهم وبغيهم أن يجري عليه ما جرى.

3 - إن هذه الحادثة تشير إلى مدى الظلم الاجتماعي الذي كان يمارس ضد الناس. حتى إن البعض ليضطر إلى تحمل أقسى أنواع الآلام، ولا يعرض نفسه لهذا الظلم الفاحش. كما فعلته هذه المرأة التي تتخلى عن فلذة كبدها، وهو نفس بريئة رغم أنها لم تفعل إلا ما أحله الله تعالى لها.

4 - إن لنا أن نطلق العنان لتصوراتنا عن الحالة التي انتابت تلك المرأة، وهي ترى الكلاب تحاول الفتك بولدها الرضيع، العاجز عن الدفع عن نفسه.

ولا ندري حقيقة المعاناة التي مرت بها، وهي تفارق ذلك الطفل، الذي تحتوشه الكلاب لافتراسه، وما هي المشاعر التي كانت تنتابها

حين كانت تراودها تلك الصورة المؤلمة أعني صورة الكلب وهو ينهش ولدها.. وأية نار كانت تضطرم في قلب تلك الأم المفجوعة.. وهل كانت تتردد تلك الصيحة وترن في مسامعها في كل حين.. فتدك بهولها حصون الصبر، في وجودها كله. لتعيش الألم والحرقة والمرارة، وعقدة الذنب، وتلقي بها في مهامه الحيرة والضياع، والشرود؟!!

5 - والأشد ألماء، والأمض حرقاً، والأكثر مرارة، أنها رأت نفسها تشارك الكلاب في قتل ولدها، بل كانت السبابة إلى ذلك، وترى حَجَرها وهو يشج رأس ذلك الطفل، وتتفجر الدماء من رأسه، الذي كانت تتمنى أن تغمره بقبلاتها، وأن تسكنه بلمسات الحب والرضا، والأنس والحنان في كل وقت وأن..

الفصل السادس:

علي عليه السلام والمنجمون..

المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر:

قال الشريف الرضي «رحمه الله»:

قال له [أي لعلي «عليه السلام»] بعض أصحابه لما عزم على
المسير إلى الخوارج: إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت
خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم.

فقال له «عليه السلام»: أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من
سار فيها صرف عنه السوء، وتخوف من الساعة التي من سار فيها
حاق به الضر؟!!

فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله
في نيل المحبوب ودفع المكروه.

وينبغي في قولك، العامل بأمرك أن يولييك الحمد دون ربه، لأنك
بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن فيها الضر.

ثم أقبل على الناس فقال:

أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر،
فإنها تدعو الكهانة والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر. والساحر

كالكافر. والكافر في النار. سيروا على اسم الله.

زاد في نص آخر: فخرج في الساعة التي نهاه عنها، فظفر وظهر (1).

وفيه: أنه «عليه السلام» قال لذلك المنجم: «أما والله إن بلغني أنك تعمل بالنجوم لأخلدك السجن أبداً ما بقيت، ولأحرمك العطاء ما كان لي سلطان..

إلى أن قال: أما إنه ما كان لمحمد منجم، ولا لنا بعده، حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر.

أيها الناس، توكلوا على الله، وثقوا به، فإنه يكفي ممن سواه» (2).

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ص 128 و 129 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 11 ص 373 و (ط الإسلامية) ج 8 ص 271 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 139 و 140 والإحتجاج ج 1 ص 357 وفرج المهموم ص 57 والفصول المهمة للحر العاملي ج 2 ص 238 وج 3 ص 341 وبحار الأنوار ج 33 ص 362 وج 55 ص 258 وجامع أحاديث الشيعة ج 17 ص 236 وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج 1 ص 213 وج 5 ص 64 وج 11 ص 265 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 6 ص 199 وتفسير نور الثقلين ج 4 ص 408 والجامع لأحكام القرآن ج 19 ص 29.

(2) بحار الأنوار ج 33 ص 346 وج 55 ص 224 و 258 و 264 وج 41 ص 336 ومستند الشيعة للزرقاني ج 14 ص 120 ومستدرك سفينة البحار

ونقول:

لا نريد أن نرهق القارئ ببيانات حول الكهانة، والسحر والتنجيم، فإن لذلك موضعاً آخر، ونكتفي هنا بالإشارة إلى ما يلي:

قيمة علم النجوم:**لا بأس بالنظر فيما يلي:**

1 - لقد أرشد القرآن الكريم إلى دور النجوم في هداية الناس إلى الجهات المختلفة، ليتمكنوا من التحرك نحو مقاصدهم، بأمان واطمئنان، وعلى أساس الوضوح والثقة والثبات قال تعالى: (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)(1).

وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ..)(2).

2 - أرشد القرآن أيضاً إلى أهمية مواقع النجوم في المنظومة الكونية العامة. حتى إنه لشدة حساسيتها أقسم بها بلسان إظهار أهميتها، فقال تعالى: (فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ

ج 9 ص 553 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 2 ص 270 وأعيان الشيعة ج 1 ص 523.

(1) الآية 16 من سورة النحل.

(2) الآية 97 من سورة الأنعام.

عَظِيمٌ(1).

3 - إنه تعالى ذكر أيضاً: أن النجوم مسخرات بأمره، كسائر الكواكب، فقال: (وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ)(2).

ونذكر: أنها تخضع وتسجد لله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ)(3).

وقد وصف أيضاً بعض النجوم بـ «الثاقب»، فقال: (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النُّجْمُ الثَّاقِبُ)(4).

وفي الحديث أيضاً: إشارات كثيرة إلى النجوم، وبعض ما يرتبط بها، ولسنا بصدد تتبع ذلك..

5 - إن علم النجوم الذي يريد أن يربط حركة الإنسان في الحياة ربطاً حدسياً وتكوينياً بمعارف عن النجوم، حصل على أكثرها أيضاً عن طريق الحدس والتخمين. إن هذا العلم ليس بعلم، بل هو جهل وتجهيل، وتخيل وتأهيل، من دون حجة ودليل، لأنه لا يملك أية مبررات لهذا الربط الذي يقترحه ويدعيه، لأن الربط الصحيح يحتاج

(1) الآية 75 من سورة الواقعة.

(2) الآية 54 من سورة الأعراف، وراجع الآية 12 من سورة النحل.

(3) الآية 18 من سورة الحج.

(4) الآيتان 3 و 4 من سورة الطارق.

إلى وقوف على أسرار الخلق والتكوين، ولا يستطيع أحد أن يدعي لنفسه ذلك.. بعد النبي والأئمة الأطهار «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين» إلا كاذب.

يضاف إلى هذا وذاك: أن التسويق لهذه النظرية الإعتباطية أو تلك يؤثر على حياة الناس وعلى حركتهم، وتطلعاتهم، وخططهم، ويجعلهم عرضةً للأعيب شياطين الأنس فيهم.. بالإضافة إلى شياطين الجن.

كما أنه يحدث لديهم خللاً رئيساً، وحساساً وأساسياً في المضمون الإعتقادي لهم بالله، ويؤثر على علاقتهم به تعالى. إلى حد الشعور بالاستغناء عنه، والاستئثار للجبرية التكوينية التي أراد لها أولئك الشياطين أن تهيمن على العقول والمشاعر، وعلى حركة الناس في الحياة.

ثم هو يعطي أولئك المتحذلقين الفرصة لادعاء التحكم بالأقدار، والإشراف على الغيب، وامتلاك مفاتيح السعادة والشقاء، والسلامة والبلاء، والمرض والشفاء، والموت والحياة.

ويفسح لهم المجال للتدخل في كل كبيرة وصغيرة، والتحكم بقرار الناس، حتى يصبحوا دمي في أيديهم، وهذا ما لا يرضاه الله تعالى لعباده، ولا يريد أن يرى له أي أثر في بلاده..

وقد كذب القرآن هؤلاء حين قال: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ

وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ(1)، وكذبهم أيضاً بأوامره وزواجره، التي لم تقيد بزمان، ولا أرشدت إلى وقت بعينه، ولا أشارت إلى مراعاة حالات النجوم في منازلها أو في حركتها، أو في غير ذلك..

وقد أرشد القرآن الناس إلى أن الله تعالى هو الذي يقرر ويقدر، وينفع ويضر، ويعطي ويمنع، ولم يقيد شيئاً من ذلك، ولا أياً مما يقدره، ويقضيه، ويفعله ويمضيه بشيء مما يدعيه المنجمون للنجوم أو لغيرها.

فالمنجم كالكاهن، يبني أحكامه على الحدس والتخمين، وقد يروق للكاهن أن يقلب الحقائق، ويخدع الناس بأباطيله وألأعييه، ويفسد حياة الناس، حتى يكون كالساحر، في تمويهه، وخداعه، وفي التدخل في حياة الناس لإفسادها.

كما أن الساحر والكاهن والمنجم ينتهيان إلى انتهاك الحرمات الإلهية، ويفسدون اعتقاد الناس بربهم، ويقطعون علاقتهم به تعالى.. ويقدمون أنفسهم لهم على أنهم هم الذين ينفعون ويضرون، ويدفعون الناس إلى الاعتقاد بالتعطيل الإلهي والكفر بصفاته الربوبية، وتشويشها، وتشويهها..

النجوم علامات لا مؤثرات:

قال المحقق التستري «رحمه الله»:

(1) الآية 39 من سورة الرعد.

أقول: المستفاد من كلامه «عليه السلام» وكلام المعصومين من عترته: أن النجوم علامات لا مؤثرات بالذات، ويدفع أثرهما بالتضرع إلى مبدعها، ومسخرها، ومدبرها، والتوسل إليه بالصدقات والقربات، ففي خبر ابن سبط عن الصادق «عليه السلام» قال: كان بيني وبين رجل قسمة أرض، وكان الرجل صاحب نجوم وكان يتوخى ساعة السعود، فيخرج فيها وأخرج أنا في ساعة النحوس.

فاقتسمنا، فخرج لي خير القسمين.

فضرب الرجل يده اليمنى على اليسرى، ثم قال: ما رأيت كالיום قط.

قلت: وما ذاك؟!

قال: إني صاحب نجوم، أخرجتك في ساعة النحوس، وخرجت أنا في ساعة السعود، ثم قسمنا، فخرج لك خير القسمين.

فقلت: ألا أحدثك بحديث حدثني به أبي.

قال: قال الرسول: «من سره أن يدفع الله عنه نحس يومه، فليفتتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه، ومن أحب أن يذهب الله عنه نحس ليلته، فليفتتح ليلته بصدقة، يدفع عنه نحس ليلته. وإنني افنتحت خروجي بصدقة فهذا خير لك من علم النجوم»⁽¹⁾.

(1) الكافي ج 4 ص 6 و 7 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 9 ص 392 و (ط دار الإسلامية) ج 6 ص 273 وبحار الأنوار ج 47 ص 52 وج 55

قلت: ومن جرى عليه تقدير من الله تعالى لا ينفعه أخبار المنجم له بذلك ولا يدفع تدبيره ولا يغنى عنه من الله شيئاً، فقد عرّف المنجمون فرعون أن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب هلاكه، فذبح الأنبياء [لعل الصحيح: الأبناء]، واستحيا النساء، لدفع ذلك، فأرغم الله أنفه حتى رباه بنفسه. وكذلك نمرود.

وكذلك أراد الحسن بن سهل دفع البلاء عن أخيه الفضل بالنجوم، فقال ياسر الخادم: لما عزم المأمون على الخروج من خراسان إلى بغداد، خرج معه الفضل بن سهل ذو الرياستين، وخرجنا مع أبي الحسن الرضا، فورد على الفضل بن سهل كتاب من أخيه الحسن ونحن في بعض المنازل: إني نظرت في تحويل السنة، فوجدت فيه أنك تذوق في شهر كذا وكذا يوم الأربعاء حر الحديد وحر النار.

وأرى أن تدخل أنت، وأمير المؤمنين، والرضا الحمام في هذا اليوم، وتحتجم، وتصب على بدنك الدم ليزول عنك نحسه. فكتب الفضل إلى المأمون بذلك، وسأله أن يسأل أبا الحسن «عليه السلام» فيه

فأجابه: لست بداخل الحمام غداً.

ص273 وجامع أحاديث الشيعة ج8 ص407 وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج6 ص67 وج11 ص278 وتفسير نور الثقلين ج4 ص409.

فأعاد عليه الرقعة مرتين.

فكتب إليه أبو الحسن: لست بدخل الحمام غداً، فإني رأيت رسول الله في هذه الليلة، فقال لي: يا علي، لا تدخل الحمام غداً، فلا أرى لك يا أمير المؤمنين ولا للفضل أن تدخل الحمام غداً.

فكتب إليه المأمون: صدقت يا أبا الحسن، وصدق رسول الله، لست بدخل الحمام غداً، والفضل أعلم.

قال ياسر: فلما أمسينا وغابت الشمس قال لنا الرضا: قولوا نعوذ بالله من شر ما ينزل في هذه الليلة، فلم نزل نقول ذلك.

فلما صلى الرضا «عليه السلام» الصبح قال لي: اصعد السطح، فاستمع هل تجد شيئاً.

فلما صعدت سمعت صيحة، وكثرت وزادت، فلم نشعر بشيء، فإذا نحن بالمأمون قد دخل الباب الذي كان من داره إلى دار الرضا، وهو يقول:

يا سيدي، أجرك الله في الفضل، فإنه دخل الحمام، ودخل عليه قوم بالسيوف فقتلوه.

وأخذ ممن دخل عليه ثلاثة نفر، أحدهم: ابن خالة الفضل بن ذي القلمين (1).

(1) راجع: بحار الأنوار ج 49 ص 168 والكافي ج 1 ص 490 و 491 و عيون أخبار الرضا ج 2 ص 163 و 164 ومناقب آل أبي طالب ج 4 ص 346 و

علم الأنبياء والأوصياء:

عن يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: جعلت فداك، أخبرني عن علم النجوم ما هو؟! فقال: هو علم من علم الأنبياء. قال: فقلت: كان علي بن أبي طالب يعلمه؟! فقال: كان أعلم الناس به⁽¹⁾.

الإمام الكاظم عليه السلام وعلم النجوم:

روي: أن هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر «عليه السلام»، فأحضره، فلما حضر عنده قال: إن الناس ينسبونكم يا بني فاطمة إلى علم النجوم، وإن معرفتكم بها معرفة جيدة، وفقهاء العامة

347 وروضة الواعظين ص 272 و 273 وكشف الغمة ج 3 ص 69 و 70 وإعلام الوري ص 323 و 324 وأعيان الشيعة ج 4 ق 2 ص 110 و 140 ومعادن الحكمة ص 183 وشرح ديوان أبي فراس ص 198 و 199 والإرشاد للمفيد (ط النجف) ص 314. وراجع: قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 140 و 141 وفرج المهموم ص 134 و 135.

(1) فرج المهموم ص 2 و 24 وبحار الأنوار ج 55 ص 235 والحديقة الهلالية = = للشيخ البهائي ص 143 وجواهر الكلام ج 22 ص 100 وكتاب المكاسب للشيخ الأنصاري ج 1 ص 228.

يقولون:

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: إذا ذكرني أصحابي فاسكتوا، وإذا ذكروا القدر فاسكتوا، وإذا ذكروا النجوم فاسكتوا. وأمير المؤمنين «عليه السلام» كان أعلم الخلائق بعلم النجوم. وأولاده وذريته الذين يقول الشيعة بإمامتهم كانوا عارفين بها. فقال له الكاظم «صلوات الله عليه»: هذا حديث ضعيف، وإسناده مطعون فيه. والله تبارك وتعالى قد مدح النجوم، ولولا أن النجوم صحيحة ما مدحها الله عز وجل والأنبياء «عليهم السلام» كانوا عالمين بها. وقد قال الله تعالى في حق إبراهيم خليل الرحمن «صلوات الله عليه»: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)⁽¹⁾

وقال في موضع آخر: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ)⁽²⁾، فلو لم يكن عالماً بعلم النجوم ما نظر فيها، وما قال: إني سقيم.

وإدريس «عليه السلام» كان أعلم أهل زمانه بالنجوم. والله تعالى قد أقسم بمواقع النجوم: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)⁽³⁾.

(1) الآية 75 من سورة الأنعام.

(2) الآيتان 88 و 89 من سورة الصافات.

(3) الآية 76 من سورة الواقعة.

وقال في موضع: (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا
وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) (1) يعني بذلك:
اثني عشر برجاً، وسبعة سيارات.

والذي يظهر بالليل والنهار بأمر الله عز وجل، وبعد علم القرآن
ما يكون أشرف من علم النجوم. وهو علم الأنبياء والأوصياء، وورثة
الأنبياء الذين قال عز وجل: (وَعَلَّمَاتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) (2) ونحن
نعرف هذا العلم وما نذكره.

فقال له هارون: بالله عليك يا موسى هذا العلم لا تظهره عند
الجهال وعوام الناس، حتى لا يشنعوا عليك. وانفس عن العوام به.
وغط هذا العلم، وأرجع إلى حرم جدك.

ثم قال له هارون: وقد بقي مسألة أخرى بالله عليك أخبرني بها.
قال له: سل.

فقال: بحق القبر والمنبر، وبحق قرابتك من رسول الله «صلى
الله عليه وآله»، أخبرني أنت تموت قبلي؟! أو أنا أموت قبلك؟! لأنك
تعرف هذا من علم النجوم.

فقال له موسى: آمني حتى أخبرك!
فقال: لك الأمان.

(1) الآيات 1 - 5 من سورة النازعات.

(2) الآية 16 من سورة النحل.

فقال: أنا أموت قبلك، وما كذبت ولا أكذب. ووفاتي قريب الخ.. (1).

ونقول:

دلت هذه الرواية على ما يلي:

ما يريده هارون:

1 - كأن هارون المبغض لآل علي «عليه السلام» يريد أن يدعي أن ما يصدر عن أهل البيت «عليهم السلام» هو مجرد تكهنات، وتنجيم، وليس علماً من ذي علم.. ولكنه نسب ذلك إلى الناس لأجل التعمية، وإبعاد التهمة.

2 - إن هارون أثار ما يوجب التهمة والريب بصحة ما يصدر عن المنجمين، لأنهم لا سبيل لهم إلى إثباته حين نقل عن فقهاء العامة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» الرواية، التي تأمر بالسكوت عند ذكر النجوم. حيث يحتمل أن يراد به السكوت الإتهامي، لأجل الصدق والكذب فيه.

3 - إن هذا الجو الذي أثاره هارون دعا الإمام «عليه السلام» للتصدي لإثبات صحة علم النجوم الذي يمتلكه الأنبياء وأوصياؤهم.

(1) بحار الأنوار ج 48 ص 145 و 146 و ج 55 ص 352 و 353 ومستدرك الوسائل ج 13 ص 102 - 104 و جامع أحاديث الشيعة ج 17 ص 229 و 230 و فرج المهموم ص 107 - 109 عن نزهة الكرام، وبستان العوام، تأليف محمد بن الحسين بن الحسن الرازي.

مستظهِراً بالعديد من الآيات المادحة للنجوم، مسهباً في الاستدلال على ذلك.

وهذا يدل على أن الرشيد كان بصدد تلمس مبرر لاتهام أهل البيت «عليهم السلام»، بما يراه منقصةً وخطأً.

4 - إن هارون قد صرح للإمام بأن علياً «عليه السلام» كان أعلم الخلائق بعلم النجوم، وكأنه يريد أن يتهمة في إخباراته عن الغيوب بأنها مجرد تخريصات تستند إلى التنجيم، حيث لا يمكنه الجهر بأنها نوع من الكهانة، أو السحر.

وهارون يعلم: أن علياً «عليه السلام» هو الأساس والمحور في دعوة أهل البيت، وهو المنشأ لكل ما قيل ويقال في أمر الإمام والإمامة، فالتشكيك والطعن فيه يغنيه عن التوسل بأي شيء آخر.

علم النجوم للأنبياء وأوصيائهم:

1 - ومن جهة أخرى: إنه «عليه السلام» بين لهارون الرشيد أمراً بالغ الحساسية والخطورة بالنسبة إليه حين ذكر له: أن هذا العلم هو من مختصات الأنبياء وأوصيائهم وورثة الأنبياء..

وهذا ما صرحت به رواية يونس عن الإمام الصادق أيضاً.

2 - ثم ترقى في البيان ليصرح بأنه «عليه السلام» وأهل البيت يعرفون هذا العلم، لكي يستنتج هارون وغيره: أنه «عليه السلام» وأهل بيته، وعلى رأسهم أمير المؤمنين هم ورثة الأنبياء، وهم الأئمة

والأوصياء.

فما يدعيه هارون، والعباسيون وأي كان من الناس غيرهم ما هو إلا ادعاء زائف، وباطل واقتتات، وعدوان، يستبطن التدليس على الناس والخداع لهم..

هارون للإمام: لا تظهر هذا العلم:

1 - وهنا وجدنا هارون يقسم على الإمام «عليه السلام» بالله أن لا يظهر هذا العلم لأنه يعرف عواقب إظهاره للناس. فإنه سينتهي بتعلق الناس بأهل البيت، وانصرافهم عن عداهم. ولن يرضى هارون وبنو أبيه بذلك أبداً.

2 - إنه حاول أن يغلف هذا الطلب بما يوهم أنه صادر عن حسن نية، وسلامة طوية، وأن الهدف هو الحفاظ على سمعة الإمام وكرامته، حيث أراد حفظه من التشنيع والطعن والتهمة.

لا يبغي هارون الإمام عنده:

إنه أمر الإمام «عليه السلام» بأن يعود إلى حرم جده وهو المدينة، لأنه يريد أن يبعده عن محيط العلم والعلماء، لأنهم سيدركون قيمة ما يملكه «عليه السلام» من علوم، وأن يعزله عن السياسة والسياسيين، وعن مركز القرار والنشاط في المجال العام. لأنه لا يريد لكنوز علمه أن تظهر، وعظيم فضله أن يتجلى.

هارون يريد أن يموت الإمام قبله:

وقد طلب هارون من الإمام «عليه السلام» أن يخبره عن وقت موته. ربما لأنه أراد أن يطمئن إلى عدم وصول أمر الخلافة إلى الإمام «عليه السلام» من بعده، فكشف عن أنه يعتقد: بأن الأئمة يعرفون علم المنايا.

ولكن هارون قد نسب معرفة الإمام هذه إلى علم النجوم لا إلى الغيب الذي اختصه الله تعالى بعلمه، ووصل إليه عن الرسول «صلى الله عليه وآله» بوسائل خاصة، لا تتيسر لسائر الناس.

11 - إن هذا القسم والطلب من قبل هارون يدل على أن مناوئي أهل البيت «عليهم السلام» كانوا على قناعة تامة بما لدى أهل البيت من علوم اختصهم الله بها، ولكنهم كانوا يكابرون في هذا الأمر، لأن الإعراف به يجعلهم في مأزق.

12 - إن إخباره «عليه السلام» بموته قبل هارون لا يتصادم مع الآية الكريمة التي تقول: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (1) فإن المقصود بالآية: أن النفوس لا تملك الدراية بذلك، لا ذاتاً، ولا فيما تملكه من وسائل، إلا إذا أخبرها الله تعالى به. أو أتاح لها وسيلة من الوسائل التي تمكنها من معرفة ذلك.

(1) الآية 34 من سورة لقمان.

وإخبارات الأنبياء والأئمة عن موتهم، وأزمته، وأمكنته كثيرة تدل على أنه تعالى قد عرّفهم ذلك، أو أتاح لهم وسائل تمكنهم من هذه المعرفة، وهو بنفسه قرينة على أن المقصود ما قلناه.

الدهقان المنجم:

بالإسناد إلى الشيخ السعيد محمد بن جرير الطبري، عن الحسين بن عبد الله الجرمي، ومحمد بن هارون التلعكبري، عن محمد بن أحمد بن محروم، عن أحمد بن القاسم، عن يحيى بن عبد الرحمن، عن علي بن صالح بن حي الكوفي، عن زياد بن المنذر، عن قيس بن سعد، قال: كنت كثيراً أساير أمير المؤمنين «عليه السلام» إذا سار إلى وجه من الوجوه، فلما قصد أهل النهروان وصرنا بالمدائن، وكنت يومئذ مسائراً له، إذ خرج إليه قوم من أهل المدائن من دهاقينهم، معهم براذين قد جاؤوا بها هدية إليه، فقبلها، وكان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى: (سرسفيل). وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى وترجع إلى قوله فيما سلف، فلما بصر بأمر المؤمنين «عليه السلام» قال له: يا أمير المؤمنين، لترجع عما قصدت!

قال: ولم ذاك يا دهقان؟!

قال: يا أمير المؤمنين! تناحست النجوم الطوامع، فنحس أصحاب السعود، وسعد أصحاب النحوس، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الإستخفاء والجلوس، وإن يومك هذا يوم مميت، قد اقترن فيه كوكبان

قتالان، وشرف فيه بهرام في برج الميزان، واتقدت من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان.

فتبسم أمير المؤمنين «عليه السلام» ثم قال: أيها الدهقان المنبئ بالإخبار، والمحذر من الأقدار، ما نزل البارحة في آخر الميزان؟! وأي نجم حل في السرطان؟!!

قال: سأنظر ذلك، واستخرج من كفه أسطرلاباً وتقويماً.

قال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنت مسير الجاريات؟! قال: لا.

قال: فأنت تقضي على الثابتات؟!!

قال: لا.

قال: فأخبرني عن طول الأسد وتباعده من المطالع والمراجع، وما الزهرة من التوابع والجوامع؟!!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: فما بين السراري إلى الدراري؟! وما بين الساعات إلى المعجرات؟! وكم قدر شعاع المبررات؟! وكم تحصل الفجر في الغدوات؟!!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: فهل علمت يا دهقان: أن الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت بالصين، وانقلب برج ماجين، و احترق دور بالزنج، وطفح جب

سرانديب، وتهدم حصن الأندلس، وهاج نمل الشيخ، وانهزم مراق الهندي، وفقد ديان اليهود بايلة، وهدم بطريق الروم برومية، وعمي راهب عمورية، وسقطت شرفات القسطنطينية، أفعالم أنت بهذه الحوادث وما الذي أحدثها، شرقيها أو غربيها من الفلك؟!!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: وبأي الكواكب تقضي في أعلى القطب؟!!

وبأيها تنحس من تنحس؟!!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: فهل علمت أنه سعد اليوم اثنان وسبعون عالماً، في كل عالم سبعون عالماً، منهم في البر، ومنهم في البحر، وبعض في الجبال، وبعض في الغياض، وبعض في العمران، وما الذي أسعدهم؟!!

قال: لا علم لي بذلك.

قال: يا دهقان، أظنك حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استنارا لك في الغسق، وظهر تلالؤ شعاع المريخ وتشريقه في السحر، وقد سار فاتصل جرمه بجرم تربيع القمر، وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم يولدون اليوم والليلة، ويموت مثلهم - وأشار بيده إلى جاسوس في عسكره لمعاوية، فقال - : ويموت هذا، فإنه منهم.

فلما قال ذلك، ظن الرجل أنه قال خذوه، فأخذه شيء بقلبه، وتكسرت نفسه في صدره، فمات لوقتته.

فقال «عليه السلام»: يا دهقان، ألم أرك غير التقدير في غاية التصوير؟!

قال: بلى يا أمير المؤمنين.

قال: يا دهقان! أنا مخبرك أنني وصحي هؤلاء لا شرقيون ولا غربيون، إنما نحن ناشئة القطب، وما زعمت أن البارحة انقذ من برج النيران، فقد كان يجب أن تحكم معه لي، لأن نوره وضيائه عندي، فلهبه ذاهب عني يا دهقان هذه قضية عيص، فأحسبها وولدها إن كنت عالماً بالأكوار والأدوار.

قال: لو علمت ذلك، لعلمت أنك تحصي عقود القصب في هذه الأجمة، ومضى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فهزم أهل النهروان وقتلهم، وعاد بالغنيمة والظفر.

فقال الدهقان: ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا، هذا علم مادته من السماء.

أقول: وروى السيد الخبر أيضاً عن الأصبع بن نباتة، قال: لما رحل أمير المؤمنين «عليه السلام» من (نهر بين) أتينا النهروان وقد قطع جسرهما، وسمرت سفنها، فنزل «صلى الله عليه وآله» وقد سرح الجيش إلى جسر بوران ومعه رجل من أصحابه، وقد شك في قتال الخوارج، فإذا برجل يركض، فلما رأى أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: البشرى يا أمير المؤمنين!

قال له: وما بشراك؟!

قال: لما بلغ الخوارج نزولك البارحة نهر بين ولوا هاربيين.

قال علي «عليه السلام»: أنت رأيتهم حين ولوا؟!

قال: نعم.

قال علي «عليه السلام»: كلا، والله لا عبروا النهران ولا تجاوزوا الأنثلات ولا النخيلات حتى يقتلهم الله على يدي، عهد معهود، وقدر مقدور، ولا يقتلون منا عشرة، ولا ينجو منهم عشرة.

إذا أقبل عليه رجل من الفرس يقتدى برأيه في حساب النجوم لمعرفته بالطوامع والمراجع، وتقويم القطب في الفلك، ومعرفته بالحساب والضرب، والجبر والمقابلة، وتاريخ السنداباد وغير ذلك، وهو الدهقان.

فلما بصر بأمير المؤمنين «عليه السلام»: نزل عن فرسه وسلم عليه، فقال له: أيها الأمير! لتعرجن عما قصدت إليه، وكان اسم الدهقان (سرسفيل سوار)، وكان دهقاناً من دهاقين المدائن.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: ولم يا سرسفيل سوار؟!

قال: تناحست النجوم الطالعات، وتباعدت النجوم الناحسات، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاختفاء والقعود، ويومك هذا مميت يقلب فيه رجمان، وانكشفت فيه الميزان، واقتدح من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان.

قال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: أخبرني يا دهقان عن

قصة الميزان، وفي أي مجرى كان برج السرطان؟!

قال: سأنظر لك في ذلك، ثم ضرب يده إلى كفه، فأخرج منها زيجاً واصطربلاًباً.

فتبسم أمير المؤمنين «عليه السلام»، ثم قال له: يا دهقان! أنت مسير الثابتات؟!

قال: لا.

قال: فأنت تقضي على الحادثات؟!

قال: لا.

قال له: يا دهقان! فما ساعة الأسد من الفلك؟! وما له من المطالع والمراجع؟! وما الزهرة من التوابع والجوامع؟!

قال: لا علم لي أيها الأمير.

قال: فعلى أي الكواكب تقضي على القطب؟! وما هي الساعات المتحركات؟! وكم قدر الساعات المدبرات؟! وكم تحصل المقدرات؟!

قال: لا علم لي بذلك.

قال له: يا دهقان! إن صح لك علمك [علمت] أن البارحة انقلب بيت في الصين، وانقلب بيتانسين [بيت انسين]، واحترقت دور الزنج، وانحطم منار الهند، وطفح جب سرانديب، وهلك ملك إفريقية، وانقض حصن أندلس، وهاج نمل الشيخ، وفقد ديان اليهود، وجذم شطرنج الرومي بأرمنية، وعتاعب عمورية، وسقطت شرفات القسطنطينية، وهاجت سباع البحر واثبة على أهلها، ورجعت رجال النوبة المراجيح، والتفت الزرق مع الفيلة، وطار الوحش إلى العلقين،

وهاجت الحيتان في الأخضرين، و اضطربت الوحوش بالأنقلين،
أفأنت عليم بهذه الحوادث وما أحدثها من الفلك شرقية أو غربية؟!
ومن أي برج سعد صاحب النحس؟! وأي برج انتحس صاحب
السعد؟!

قال الدهقان: لا علم لي بذلك .

قال: فهل ذلك علمك أن اليوم فيه سعد سبعون عالماً، في كل عالم
سبعون ألف عالم، منهم في البحر، ومنهم في البر، ومنهم في الجبال،
ومنهم في السهل والغياض والخراب والعمران؟! فأبن لنا ما الذي من
الفلك أسعدهم؟!

قال الدهقان: لا علم لي بذلك .

قال له: يا دهقان! أظنك حكمت على اقتران المشتري بزحل حين
لاحا لك في الغسق قد شارفها واتصل جرمه بجرم القمر، وذلك دليل
على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم مولدون في يوم واحد، ومائة
ألف من البشر كلهم يموتون الليلة وغداً، [وفي الرواية السابقة: يموت
مثلهم. أي مثلهم في العدد، وهو ألف ألف] وهذا منهم. وأوماً بيده إلى
سعد ابن مسعود الحارثي وكان في عسكره جاسوساً للخوارج.

فظن أن علياً «عليه السلام» يقول: خذوا هذا، فقبض على فؤاده
فمات في وقته.

فقال علي «عليه السلام»: لم أرك عين التوفيق، أنا وأصحابي
هؤلاء لا شرقيون ولا غربيون، إنما نحن ناشئة القطب، و أعلام الفلك،

وأما ما زعمت: أن البارحة اقتدح من برج النيران، فقد يجب عليك أن تحكم به لي، لأن ضيائه ونوره عندي، ولهبه وحريقه ذاهب عني، فهذه قضية عميقة، فأحسبها إن كنت حاسباً، واعرفها إن كنت عارفاً بالأكوار والأدوار، ولو علمت ذلك لعلمت عدد كل قصبة في هذه الأجمة وكانت عن يمينه أجمة قصب.

فتشهد الدهقان وقال: يا مولاي! الذي فهم إبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً «عليهم السلام» مفهمهم مفهمكما يا أمير المؤمنين، فهو والله المشار إليه، ولا أثر بعد عين، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنتك الإمام والوصي المفترض الطاعة(1).

توضيح المحقق المجلسي رحمته الله:

قال العلامة المحقق المجلسي «رحمه الله»: «أكثر السؤالات المذكورة في الرواية، على تقدير صحتها وضبطها، مبنية على

(1) راجع الحديثين في: بحار الأنوار ج 55 ص 229 - 234 وص 221 وراجع = ج 40 ص 167 وج 41 ص 336 عن الإحتجاج وغيره، وفرج المهموم ص 102 - 107 ودلائل الإمامة ص 57 - 61 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص 137 و 138 ومشارق أنوار اليقين، ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) ج 3 ص 211 - 214.

اصطلاحات معرفتها مختصة بهم «عليهم السلام»، أوردها «عليه السلام» لبيان عجزه⁽¹⁾، وجهله، وعدم إحاطة علمه بما لا بد منه في هذا العلم.

«وكم تحصل الفجر في الغدوات» يحتمل أن يكون المراد به: زمان ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإن ذلك يختلف في الفصول.

«وطفح جب سرنديب» أي امتلأ وارتفع، ومنه «سكران طافح». والشيخ: نبت معروف، ويحتمل أن يكون المراد هنا: الوادي الذي هو منبته، والمعمودية⁽²⁾ ماء للنصارى يغمسون فيه أولادهم.

«وما الذي أحدثها» عليه السلام» أي بزعمك «شرقيها» أي الكواكب.

«لم أرك غير التقدير» - بكسر الغين وفتح الياء - أي التغيرات الناشئة من تقديرات الله تعالى، وفي بعض النسخ «عين التقدير» أي أصله.

«هذه قضية عيص» بالإضافة أي أصل.

(1) الضمير راجع إلى الدهقان.

(2) في الرواية المتقدمة «عتاعب عمورية»، ولعل الرواية قد اختلفت أو أن الكلمات صحفت..

وفي توضيحات المجلسي مواضع كثيرة يظهر فيها هذا الاختلاف.

في القاموس: العيص - بالكسر -: الأصل.

وفي بعض النسخ «عويصة» أي صعبة شديدة.

«وولدها» بصيغة الأمر، وتشديد اللام، أي استنتج منها،
والعمورية - مشددة الميم -: بلد بالروم.
ولعل المراد بالعب الماء العظيم، وبعثوه طغيانه وكثرته، والمراجيح:
الحلماء.

والزرق كسكر طائر صياد، ذكره الفيروز آبادي.

وفي حياة الحيوان: طائر يصاد به بين الباز والباشق، وقيل: هو
الباز الأبيض «انتهى». والفيلة - بكسر الفاء، وفتح الفاء - جمع الفيل.
«فهو والله» أي مفهمك الله «المشار إليه» بالدلائل والآيات «ولا أثر
بعد عين» أي لا أطلب الآثار والدلائل والخبار على حقيقتك بعد ما
عأينت.

أقول: وكان في الخبرين فيما عندنا من النسخ تصحيفات كثيرة
تركناها كما وجدنا (1).

بطلان فرضية بطليموس:

قال المعلق على بحار الأنوار ما يلي:

«قال بعض علماء العصر ما حاصله: إن هذا الكلام يدل على

(1) راجع: بحار الأنوار ج 55 ص 234 و 235.

بطلان الفرضية البطلمية، حيث إن الظاهر منه إمكان اقتراب الكواكب بعضها من بعض، واتصال جرم المريخ بتربيع القمر وهو مستحيل على تلك الفرضية، لأن كل واحد من الكواكب بناء عليها مركز في ثخن فلك من الأفلاك لا يتحرك من مكانه ولا يتغير وضعه إلا بتبع فلكه، والأفلاك كرات متداخلة كطبقات البصل لا يتغير شيء منها عن مكانه.

وفلك القمر هو الفلك الأول، وفلك المريخ هو الفلك الخامس وبينهما ثلاثة أفلاك، فيستحيل اقتراب أحدهما من الآخر.

وأما على مباني الهيئة الجديدة فالأرض أحد السيارات، وأقرب الكواكب منها هو المريخ، والقمر يدور حول الأرض، ومدار الجميع على الشكل البيضي المستطيل.

ومدار الأرض في داخل مدار المريخ.

وعلى هذا يمكن للمريخ أن يقترب من القمر في بعض الأوضاع بحيث يتوهم اتصالهما من شدة قربهما، وعند ذلك يكون المريخ في غاية التألؤ، لكونه في أقرب نقطة من الأرض ومن الشمس أيضاً، ومن هنا يظهر سر جملة أخرى من كلامه «عليه السلام» وهي هذه: «وظهر تألؤ شعاع المريخ وتشريقه في السحر»...» (1).

(1) راجع بحار الأنوار ج 55 هامش ص 231.

توضيحات المحقق المستري:

قال العلامة المحقق المستري، تعقيباً على الرواية المتقدمة ما يلي:

قلت: قوله «عليه السلام» في الخبر: «وما الزهرة من التوابع والجوامع»، ذكر في الهيئة والإسلام له شرحاً، فقد اشتهر بين المتأخرين إطلاق التوابع على الأقمار، من جهة أنها تابعة في السير للكرات السيارة، وفي المولد أيضاً على ما يقولون، كمتابعة السيارات للشموس، وقد يصفون الشمس بالجوامع نظراً إلى أنها هي الجامعة بنظامها شمل السيارات والمحافظة بجذبها بناتها عن الشتات.

ويعتقدون توسط عنوان السيارات بين عنوان الأقمار التابعة، وبين عنوان الشمس الجامعة، وإن السيارات بنات الجوامع، وأمّهات التوابع، ومجذوبات لتلك وجاذبات لهذه.

وهكذا في أكثر الجهات ترتبط السيارات مع الجوامع والتوابع، ويتوسط بينهما في السير والجذب، وفي التكوين، وفي الحجم، وفي غير ذلك.

قال: وعلى هذا يتضح معنى قوله: وما الزهرة إلخ..

أي وما نسبة عنوان سيارة الزهرة من عنوانيهما

قال: ولو كان سرسفيل عالماً بالهيئة العصرية لقال: نسبة عنوانها هي التوسط بين التوابع والجوامع. أي أن نسبة الأقمار إلى السيارات كنسبة السيارات إلى الشمس كما فصلناه.

وبناء على هذا يكون المقصود من ذكر الزهرة مطلق السيارات وكلها إنما خص الزهرة بالذكر، لكونها أظهر أفراد السيارات لدى الحواس، وأعرفها بين الناس.

وقال أيضاً: قوله «عليه السلام»: البارحة سعد سبعون ألف عالم..

إلى قوله «عليه السلام»: والليلة يموت مثلهم هذا الإحصاء القريب من الإحصاءات الأخيرة في عصرنا، على ما قاله الفاضل جرجي زيدان⁽¹⁾ من صفحة 668 من أهل سنة (1315) أنه يموت على وجه أرضنا كل ليلة تسعون ألفاً إلخ..⁽²⁾.

ونقول:

إن المتتبع لما ذكرته الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها من أمور جرت بين الأئمة وبين أصحابهم وغيرهم - وهي كثير - يلاحظ: أن الأئمة كانوا مهتمين بإقناع الناس بأن في هذا العلم أسراراً لا يهتدون إليها، وأن ما بأيديهم وما يعلمونه منه ما هو إلا أقل القليل،

(1) قد يقال: إن كلام جرجي زيدان لا قيمة له، لأنه لا يقدم أموراً واقعية. كما أن المقصود بالعالم في الرواية ليس هو الشخص العادي.. بل المراد بالعالم: الجماعة الكبيرة والكثيرة من الناس.. ولو كان المراد الشخص، فلا بد أن يتصف بصفة العلم لا مجرد كونه فرداً من البشر.

(2) قضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي)

وأن فيه ما هو حق ولكنه قليل نفع، وفيه ما هو باطل وفيه ضرر لا يقدم عليه إلا أرعن أو سفيه. وهذا ما فهمه العلماء، فراجع.

فلاحظ بالإضافة إلى ما قدمناه ما جرى بين هشام الخفاف والإمام الصادق «عليه السلام»⁽¹⁾.

وأسئلة الإمام الرضا «عليه السلام» لذي القلمين: الحسن بن سهل⁽²⁾.

وأسئلة الإمام الصادق «عليه السلام» لبياع السابري⁽³⁾.

وأسئلة سعد المولى اليماني للإمام الصادق «عليه السلام»⁽⁴⁾.

(1) الكافي ج 8 ص 351 و 352 وبحار الأنوار ج 47 ص 224 وج 55 ص 243 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 17 ص 141 و 142 و (ط دار الإسلامية) ج 12 ص 102 وجامع أحاديث الشيعة ج 17 ص 225 وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج 11 ص 261 وتفسير نور الثقلين ج 4 ص 409.

(2) فرج المهموم ص 94 وبحار الأنوار ج 55 ص 245 ومستدرك سفينة البحار ج 9 ص 555.

(3) فرج المهموم ص 97 و 98 وبحار الأنوار ج 55 ص 250 ومستدرك الوسائل ج 13 ص 101 وجامع أحاديث الشيعة ج 17 ص 227 و 228.

(4) الخصال ص 489 والإحتجاج للطبرسي ج 2 ص 100 ومناقب آل أبي طالب (المطبعة الحيدرية) ج 3 ص 379 ومدينة المعاجز ج 6 ص 66 وبحار الأنوار ج 55 ص 219 و 269 وج 26 ص 112 وج 47 ص 218 ومستدرك سفينة البحار ج 9 ص 550 وموسوعة أحاديث أهل البيت

وما جرى بين الطبيب الهندي والإمام الصادق «عليه السلام»
في رسالة الإهليلجة (1).

وما جرى بين الإمام الصادق «عليه السلام» وصاحب علم
النجوم في قسمة الأرض (2).

«عليهم السلام» للنجفي ج 11 ص 262.

(1) بحار الأنوار ج 3 ص 152 فما بعد.

(2) الكافي ج 4 ص 6 و 7 وبحار الأنوار ج 47 ص 52 وج 55 ص 273 و 274

ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج 9 ص 392 و (ط دار الإسلامية)

ج 6 ص 273 وجامع أحاديث الشيعة ج 8 ص 407 وموسوعة أحاديث أهل

البيت «عليهم السلام» للنجفي ج 6 ص 67 وج 11 ص 278 وتفسير نور

الثقلين ج 4 ص 409.

الفهارس:

1. الفهرس الإجمالي

2. الفهرس التفصيلي

1. الفهرس الإجمالي

الباب الثالث: حوارات وأسئلة من بعض المسلمين..

الفصل الأول: لا تسأل تعنتاً.....	8 - 62
الفصل الثاني: ابن الكواء وعلي عليه السلام	67 - 104
الفصل الثالث: سلوني قبل أن تفقدوني.....	111 - 136
الفصل الرابع: أسئلة ذعلب.....	146 - 152
الفصل الخامس: امتداد نسل آدم عليه السلام	163 - 196

الباب الرابع: لولا علي عليه السلام..

الفصل الأول: ابن الأصفر يخرج معاوية فيلجأ لعلي عليه السلام ..	212 -
	222
الفصل الثاني: معاوية يسأل علياً عليه السلام	238 - 246
الفصل الثالث: معضلات حسابية.....	264 - 266
الفصل الرابع: وسائل إثبات من الواقع.....	285 - 296
الفصل الخامس: مشكلات وحلول.....	318 - 320

356 - 344.....	الفصل السادس: علي عليه السلام والمنجمون
384	الفهارس:

2. الفهرس التفصيلي

ا

الباب الثالث: حوارات وأسئلة من بعض المسلمين..

الفصل الأول: لا تسأل تعنتاً..

- 10 أسئلة شامي وآخرين:
- 24 توضيحات العلامة المجلسي رحمته الله:
- 26 سل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً:
- 27 ما لا طريق لمعرفته إلا النقل:
- 28 مكة أم القرى: لماذا؟!:
- 29 أحجام النيرات:
- 30 دموع آدم مثل دجلة:
- 30 حياء الثور من الله تعالى:
- 33 رومان ملك المد والجزر:
- 35 ملاحظة:
- 36 إسم إبليس في السماء:
- 38 المختونون من الأنبياء:

- 41 الخفاش يلد:
- 42 عصا موسى:
- 43 يوشع بن نون وذو الكفل:
- 44 الصرد دليل آدم:
- 44 عمر آدم:
- 48 اسم نوح:
- 50 لغة أهل النار:
- 50 للذكر مثل حظ الأنثيين:
- 52 عصا موسى:
- 53 أول شجرة نبتت في الأرض:
- 55 يوسف أكرم الناس نسباً:
- 57 أكرم وادٍ على وجه الأرض:
- 61 أين هبط آدم؟!:
- 62 الصلاة على ظهر الكعبة:
- 64 كسر رباعية الرسول الأكرم ﷺ:
- 65 هاجر تجر ذيلها:

الفصل الثاني: ابن الكواء وعلي عليه السلام..

- 69 ابن الكواء: هل كلم الله جميع خلقه؟!:

- 70 طرح المسائل المشككة على علي ؑ :
- 71 حيرة ابن الكواء :
- 71 المضمون العام للآية :
- 72 عالم الذر.. والإشهاد :
- 73 علي ؑ لابن الكواء: سل عما يعنك :
- 77 أسئلة ابن الكواء الخارجي :
- 79 ابن الكواء يسأل علياً ؑ :
- 87 إشكالات في تاريخ الحادثة :
- 89 خصوصيات ظاهرة :
- 89 الإخبار عن أهل النهروان :
- 90 قریش تبدل نعمة الله كفراً :
- 91 علي ؑ ذو قرنيها :
- 92 شرح السماء، والثقوب السوداء :
- 92 توضيحات ضرورية :
- 93 وطاً دجاجة، فحرمت بيضتها :
- 94 ماذا يريد ابن الكواء؟! :
- 94 ظاهرة سؤال الناس عن المبررات :
- 94 مبررات حرمة البيضة :
- 95 نحن باب الله :

- 98 فأتوا البيوت من أبوابها:
- 101 آيات سور الأعراف:
- 102 على الأعراف رجال:
- 104 التعريف بالواسطة:
- 106 العيون الكدرة:
- 107 نعرف أنصارنا بسيماهم:
- 109 دخول النار بإنكارهم عليهم السلام:
- الفصل الثالث: سلوني قبل أن تفقدوني..**
- 114 سائل آخر.. وأسئلة أخرى:
- 115 أخبرني عن القدر:
- 118 لو عرف حده فوقف عنده:
- 119 من خصوصيات القدر:
- 119 القدر في التكوينيات لا في الأحكام:
- 122 القدرية مجوس هذه الأمة:
- 123 ليس لك من المشية شيء:
- 124 كم شعرة في لحيتي ورأسي!:
- 125 هذا هو سعد:
- 125 بنو بناتنا أبناؤنا:

- 126 علي عليه السلام عالم بالفتن وبأهلها:
- 127 التركيز على ما فيه نجاة:
- 127 المحنة الكبرى:
- 129 لا يريد لعلي أن ينشر علمه:
- 129 جواب علي عليه السلام لكسر غرور سعد:
- 131 علي عليه السلام عالم بعدد الشعرات:
- 131 علي عليه السلام خليل رسول الله صلى الله عليه وآله:
- 131 سلوني قبل أن تفقدوني:
- 132 توضيحات:
- 133 هل يجهل علي عليه السلام طرق الأرض؟!:
- 136 يريد تحصينهم من الفتن:
- 137 يقطع سبع مئة فرسخ لأجل سبع كلمات:
- 138 وثمة نص آخر:
- 140 سل وإن كانت أربعين:
- 143 أنت الكريم، والعالم، والطيب:
- الفصل الرابع: أسئلة ذعلب..**
- 148 أسئلة ذعلب:
- 154 للتوضيح فقط:
- 155 علي عليه السلام يمثل الرسول صلى الله عليه وآله:

- 158 لا تجهلك قريش:
- 160 الحسان يخطبان:
- 160 خطبة الحسنين عليهما السلام:
- الفصل الخامس: امتداد نسل آدم عليه السلام..**
- 165 زواج أبناء آدم عليه السلام:
- 165 بداية توضيحية:
- 166 أكرم الخلق على الله:
- 166 قبح تزويج الأخوة بالأخوات:
- 168 الصحيح من القول:
- 169 ماذا عن الروايات؟!:
- 172 روايات الرأي المعتمد:
- 175 ملاحظة سنديّة:
- 185 تناقضات في الروايات المتقدمة:
- 187 هل هذا تناقض؟!:
- 188 وَبَيَّنَّا مِنْهُمْ رَجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً:
- 189 الضرورة تفرض تزويج الإخوة والأخوات:
- 191 هذا الزواج.. والفطرة:
- 198 لا إجماع على تزويج الإخوة بالأخوات:

- 199 لا سنخية بين الجن والإنسان!!
- 202 لزوجت زينب من القاسم:
- 202 موازنة بين الروايات:
- 203 الروايات التي نعتمدها:
- 204 النتيجة المتوخاة:
- 204 آدم وحواء أبوا البشر:
- 205 لماذا قتل هابيل؟!:
- 205 توضيح للمجلسي:
- 206 إشارات ودلالات:

الباب الرابع: لولا علي عليه السلام..

الفصل الأول: ابن الأصفر يخرج معاوية

- 212 فيلجأ لعلي عليه السلام:
- 214 معاوية وأسئلة ابن الأصفر:
- 222 بنو الأصفر:
- 223 معاوية أرسلك؟!:
- 223 الإمام الحسن عليه السلام يخبر بالغيب أيضاً:
- 224 من أنت؟!:
- 225 الأمن قبل كل شيء:
- 225 حكم الله بيني وبين الأمة:

- 226 قطعوا رحمي، كيف؟!:
- 226 أضاعوا أيامي، كيف؟!:
- 226 هل كان الإمام الحسن صبيّاً؟!:
- 227 فلاح علي عليه السلام وخذلان معاوية:
- 229 ملك الروم وشرائط الإمامة:
- 231 معاوية بنظر علي عليه السلام:
- 232 هذا ابني، وهذان ابنا الرسول صلى الله عليه وآله:
- 234 من قال غير هذا فكذبه؟!:

الفصل الثاني: معاوية يسأل علياً عليه السلام

- 240 معاوية يسأل علياً مباشرة:
- 241 سؤال معاوية عمن قتل من يزني بزوجته:
- 242 أحكام الشريعة بنظر معاوية:
- 244 معاوية يضطر لسؤال علي عليه السلام:
- 245 علي عليه السلام يسخو بعلمه:
- 246 تواطؤ أبي موسى:
- 247 واقعة واحدة أم وقائع؟!:
- 248 معاوية لا يعرف أن الحق لصاحب البينة:
- 251 ملك الروم يسأل معاوية ويجب علي عليه السلام:

- 254 ملك الروم لمعاوية: أخبرني عن لا شيء:
- 256 حرب الفكر والثقافة في عهد علي عليه السلام:
- 259 من أين يأتي العلم لمعاوية؟!:
- 260 لعلها ليست كرامة:
- 260 علي عليه السلام يشتري الخيل للحرب:
- 261 اذهب فخبره، لماذا؟!:

الفصل الثالث: معضلات حسابية..

- 266 قسمة السبعة عشر بغيراً:
- 267 تسعة عشر بغيراً أيضاً:
- 267 لا بد من إمام:
- 268 توضيحات للمحقق التستري:
- 268 الفعل أقوى دلالة:
- 269 لمزيد من التبصّر والإهتمام:
- 269 أضرب أيام أسبوعك في سنتك:
- 272 المسألة الدينارية:
- 273 الجواب بناءً على التعصيب، ولا تعصيب:
- 274 التعصيب لتصغير شأن الزهراء عليها السلام:
- 276 جوابه من دلائل إمامته:
- 277 صار ثمنها تسعاً:

- 278 العول باطل عند علي عليه السلام:
- 279 ما المراد بالعول؟!:
- 280 قسمة الدراهم في الأرغفة الثمانية:
- الفصل الرابع: وسائل إثبات من الواقع..**
- 288 كيفية اكتشاف أنه لا يسمع:
- 290 قياس البصر:
- 292 مولود له رأسان:
- 293 كيف يعرف العنين؟!:
- 294 معرفة سلامة حاسة الشم والبصر، واللسان:
- 295 لا بد من التثبت:
- 296 لكل معضلة حل:
- 297 قياس الأنفاس؟!:
- 297 مقدار الإستحقاق يتبع مقدار النقص:
- 298 الطريقة التي اختارها علي عليه السلام:
- 298 ليس الإمام مجرد فقيه:
- 299 خنثى ولدت، وأولدت!!:
- 301 الجرأة على الله!!:
- 302 لماذا أربع نساء؟!:

- 303 عد الأضلاع هل ينافي الإحتياط؟!:
- 303 النظر إلى العورة عبر المرأة:
- 304 خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام:
- 304 آيات قرآنية:
- 305 من روايات خلق حواء:
- 312 هل هذه فكرة توراتية؟!:
- 313 الدواء الشافي:

الفصل الخامس: مشكلات وحلول..

- 320 ضاع دينار من ثلاثة:
- 320 ليس على أمين ضمان:
- 321 لماذا لم يعمل بالقرعة؟!:
- 323 قاعدة اليد:
- 323 للمسألة نظائر:
- 324 اضرب عنق العبد منهما:
- 327 المفاجأة والصدمة:
- 327 إعداد وتمهيد:
- 327 الإفتراق أولى:
- 328 علي عليه السلام لم يعزر العبد على كذبه:
- 329 لم تصرح الرواية:

- وزن باب الحديد: 329
- وزن الفيل: 330
- نظير هذه الحادثة: 331
- الحلف على غير المقدور: 332
- خلل في نص الرواية: 333
- كلب أم شاة؟! : 333
- علم الحيوان عند علي عليه السلام: 335
- الفرق بين الطحال والكبد: 336
- ما أخطأ به القصاب: 337
- لماذا وصف القصاب بالكذب؟! : 337
- تزوجت ولدها، فمنعه الله منها: 338
- الفصل السادس: علي عليه السلام والمنجمون..**
- المنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر: 346
- قيمة علم النجوم: 348
- النجوم علامات لا مؤثرات: 351
- علم الأنبياء والأوصياء: 355
- الإمام الكاظم عليه السلام وعلم النجوم: 355
- ما يريده هارون: 358

- 359 علم النجوم للأنبياء وأوصيائهم:
- 360 هارون للإمام: لا تظهر هذا العلم:
- 360 لا يبقى هارون الإمام عنده:
- 361 هارون يريد أن يموت الإمام قبله:
- 362 الدهقان المنجم:
- 369 توضيح المحقق المجلسي رحمته الله:
- 371 بطلان فرضية بطليموس:
- 373 توضيحات المحقق التستري:
- الفهارس:**
- 381 1 - الفهرس الإجمالي
- 384 2 - الفهرس التفصيلي